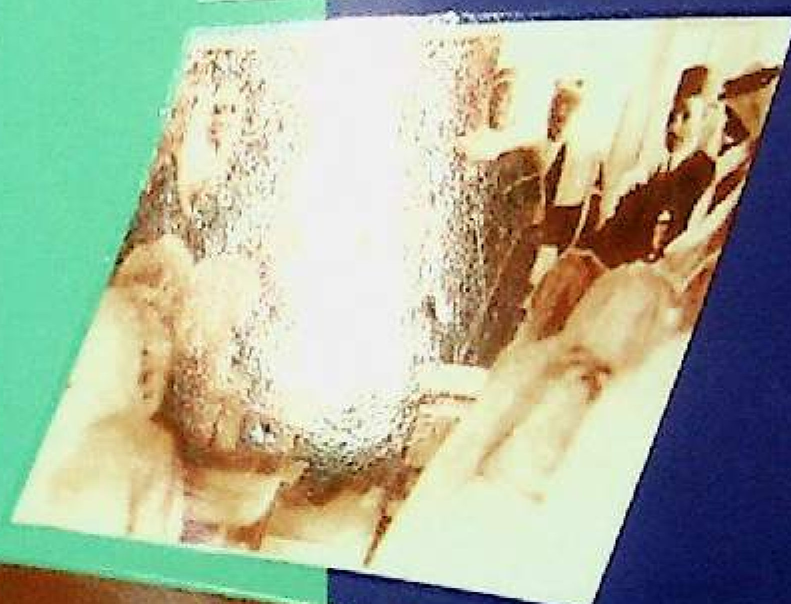
د. يعقوب يوسف الغنيم



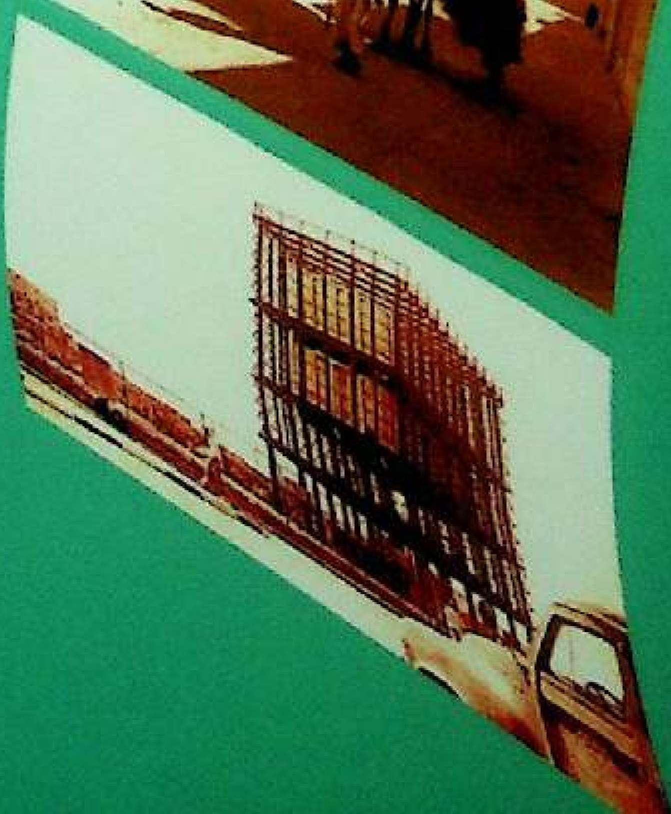


# الأزمنة والأمكنة









المجلد الرابع

وفي صفحة كاملة تحدث بعد ذلك عن حجم التغيير بكثير من الذهول وقد ذكر أن هذا التغيير تناول مختلف جوانب الحياة وعمت المباني الحديثة ووسائل الراحة البلاد وكثرت مجالات العمل بحيث اضطرت البلاد إلى استقدام العمالة من الخارج لتلبية حاجات سوق العمل الذي يستوعب كثيرين من العاملين على اختلاف مستوياتهم وقدراتهم. وتحدث أيضًا عن حاجة البلاد إلى المياه مجملاً مقارنة تقول إن ما تملكه الكويت من نفط غزير جدًّا يقابله شح كبير في موارد المياه، ولذا فإن الكويتيين يسعون بمختلف الطرق لإيجاد الوسائل التي تيسر لهم الحصول على المياه العذبة وقد ذكر بيربي أن وفدًا كويتيًّا ذهب إلى أمريكا في سنة ١٩٥١م من أجل البحث عن تجهيزات وآلات تقوم بتكرير مياه البحر. ولكنه أشار إلى توافر مثل ذلك في البلاد بوجود ماكينات تعمل ليلاً ونهارًا من أجل تحويل المياه البحرية المالحة إلى مياه عذبة، وعن الزراعة قال إنها شبه معدومة وتساءل: من يريد أن يكون فلاحًا في بلاد الملايين. وهذا القول هو الذي جعله يشير إلى أن شركة نفط الكويت كانت تجد صعوبة قصوى في المحافظة على الجهاز العامل لديها من الكويتيين لأنه من السهولة في الكويت جمع الثروة بحيث يجعل الأفراد ذوي الكفاءة يفضلون العمل الحر على الوظائف.

تحدث في هذا الفصل عن شركة نفط الكويت، وعن أعمالها في اكتشاف النفط في البلاد، وسلسلة تنقيباتها التي لم تكن مجدية في البداية إلى أن عثرت على أول بئر بترولي يعد بإنتاج غزير، ويصف ذلك بقوله: «ومنذ اللحظة الأولى بدأ الحوض يعطي بترولاً هو من حيث التركيب أفضل ما في العالم، وتمتاز عملية استخراج النفط في الكويت بعدم عمق الآبار كثيرًا بالنسبة لآبار أخرى في بلدان مختلفة، أما ظروف الإنتاج فهي غير مكلفة» وتحدث (بيربي) أيضًا عن الإنجازات النفطية وعن أول شحنة خرجت من الكويت في شهر يونيو لسنة ١٩٤٦م، وعن



المبالغ المالية التي تجنيها الكويت، وقد تم تعديلها في سنة ١٩٥١م بما يقضي بتقاسم الأرباح بين الكويت وشركة النفط. وقدَّم كشفًا بأطنان النفط المصدرة منذ سنة ١٩٤٦م حتى سنة ١٩٥٧م مبينًا الارتفاع المستمر في الكميات المنتجة. ثم تحدث حديثًا وافيًا عن مراكز استخراج النفط، والمواقع الفنية والإدارية للشركة في الأحمدي، أما ميناء الأحمدي المخصص لتصدير هذه المادة الثمينة فلم يزل حتى سنة تأليفه للكتاب في طليعة الموانئ المصدرة للنفط. ولم ينس أن يشير إلى تجارة الكويت فيما عدا النفط فقال: «والكويت بالإضافة إلى ذلك تعتبر مركزًا للتخزين، وتجارة العبور... وحركة الاستيراد والتصدير هي حركة تجارة خارجية متزايدة النشاط باستمرار».

وفي جزء من هذا الفصل تساءل المؤلف عن طريقة تصرف أمير البلاد بتلك الأموال المتدفقة فذكر أن هذه المبالغ تصرف بتعقل بوساطة حاكم واعٍ قرر أن يجعل من بلاده مثال الدولة الحديثة، لذا فقد وظّف قسمًا من الأموال في أسواق المال من أجل اكتساب مبالغ إضافية، وأنشأ عدداً من المشروعات المهمة منها مصانع تكرير المياه، وإنشاء الطرق والمطار والمستشفيات والمدارس وشبكات توزيع المياه، وكان الأمير يوزع الأموال توزيعًا جيدًا في كل ما يفيد الوطن بحيث لم تمض مدة يسيرة حتى وجدنا آثار عمله هذا في كل شيء وفي كل مكان في الكويت.

تحدث في الختام عن الأوضاع الاجتماعية، وعن طموح الشباب، والميول المسيطرة في أعقاف حرب السويس في سنة ١٩٥٦م ومدى تأثيرها على الناس من حيث إيقاظ الوعي القومي، وقدم توقعات لأحداث قد تحددت خلال سنوات قليلة ولكن كل توقعاته لم تحدث وذلك بفضل الحاكم المتفهم لواجباته تجاه وطنه إذ لم تأت سنة ١٩٦١م حتى انتهت اتفاقية الحماية مع بريطانيا وألحقها الأمير

بالمجلس التأسيسي والدستور ومجلس الأمة وكان التغيير الكبير هو البديل للثورة التي أشار إليها (بيربي).

ولم ينه المؤلف هذا الفصل حتى تحدث عن اتفاق الحماية الذي كان لايزال ساري المفعول عندما ألّف كتابه «جزيرة العرب» الذي نتحدث عنه هنا، وقد ذكر دور هذا الاتفاق في طبيعة علاقة الكويت ببريطانيا وتأثير ذلك اقتصاديًّا وسياسيًّا على الكويت، ثم تأثير الوفرة المالية والنفط المستخرج هنا في اقتصاد بريطانيا. ولاشك في أن هذا الموضوع قد تعداه الزمن منذ سنة ١٩٦١م ولكن ما ذكره المؤلف كان حديثًا عن أمر واقع وقت تأليف كتابه، ولذا فهو معذور حين يتحدث عن كل ذلك. ولا ننسى أنه منذ البداية كان يكتب لقومه لكي يطلعوا على ما لم يطلعوا عليه من قبل فيما يخص جزيرة العرب بعامة والكويت بخاصة. وعلى كل فإننا نستطيع أن نقول في الختام أن الرجل كان منصفًا، وكان قليل الخطأ في كل ما كتب عن الكويت بالذات.

وبعد، فإن متابعة ما ورد في كتاب «جزيرة العرب» الذي ألفه جان جاك بيربي تدل كما قلنا على قيمة الرجل العلمية وعلى نزاهته وصدقه في كل ما كتبه، غير أننا نلاحظ أنه كان يستطيع أن يجعل عمله أرحب لو أكثر من اطلاعه على أحوال الكويت في الفترة التي ألّف فيها كتابه.

إذا كان هذا الرجل قد أمضى سنوات في البحث والتنقيب حتى استطاع أن ينجز كتابه «جزيرة العرب» فإننا نريد أن نذكر ملامح عن بلادنا منذ سنة ١٩٥٧م إلى ١٩٦٠م التي نشر فيها الكتاب باللغة العربية، وذلك كله باختصار شديد مع لمحة عما أهمله فيما يتعلق بإنتاج النفط.



في سنة ١٩٥٧م جرى أول تعداد منظم للسكان، وأنشئت شركة ناقلات النفط وصدرت في اليوم الخامس من شهر فبراير جريدة «الشعب» وكان صاحبها الأستاذ خالد خلف، وجرت أنشطة رياضية عدة.

وفي سنة ١٩٥٨م تم افتتاح مكتب البريد الوطني في اليوم الأول من فبراير وتسلمت الكويت مسؤولية البريد فيه وجرت على النطاق النفطي بعض الأعمال التي سوف نعود إلى ذكرها فيما بعد. وعقد في شهر أكتوبر من السنة نفسها مؤتمر ضباط اتصال المكاتب الإقليمية لمقاطعة إسرائيل، وصدر العدد الأول من مجلة «العربي» في اليوم الأول من شهر ديسمبر لهذه السنة وعقد مؤتمر الأدباء العرب الرابع في شهر ديسمبر.

وفي سنة ١٩٥٩م جرى تثبيت أسماء رؤساء الدوائر الكويتية، وصدر قانون الجنسية، وتطور نظام القضاء بتشكيل أول دائرة للاستئناف، وفي شهر ديسمبر صدر مرسوم أميري لتنظيم القضاء، وتشكلت رئاسة الجيش والقوات المسلحة الأولى بقيادة الشيخ مبارك العبدالله الجابر الصباح، وصدرت طوابع البريد الكويتية الأولى في شهر فبراير. وأغلقت الأندية القائمة في البلاد يوم الثالث والعشرين من شهر فبراير، وفي اليوم الثاني عشر من شهر أبريل انضمَّت الكويت إلى المنظمة الاستشارية البحرية الحكومية لسلامة الأرواح في البحار.. وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر يوليو انضمت الكويت إلى الاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية، وبدأ عمل غرفة تجارة الكويت في شهر نوفمبر، وصدر قانون تنظيم العلاقة بين القطاعين العام والأهلي.

وفي سنة ١٩٦٠م تدافعت الأحداث بافتتاح محكمة الاستئناف العليا، وميناء الشويخ التجاري، وإدارة الفتوى والتشريع، وصدر القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٦٠

بتأسيس بنك الائتمان، وقد تحول مُسمّى هذا البنك فيما بعد إلى بنك التسليف والادخار، وتأسست شركة الكويت للتأمين وشركة الصناعات الكويتية، وشركة البترول الوطنية وتأسس بنك الخليج والبنك التجاري، وصار الدينار هو العملة الرسمية للكويت على أن يتم تداوله منذ سنة ١٩٦١م، وافتتحت شركة «نفط الكويت» مستشفى الأحمدي، وانضمت الكويت إلى الاتحاد البريدي العالمي يوم السادس عشر من شهر فبراير للسنة نفسها. وفي اليوم الأول من شهر أبريل صدر قانون المعاشات التقاعدية، وانضمت الكويت إلى المنظمة الدولية للطيران المدني في اليوم الخامس والعشرين من شهر أبريل، وإلى منظمة العمل الدولية في اليوم الثالث عشر من شهر يونيو، وإلى منظمة الأغذية والزراعة الدولية في اليوم التاسع والعشرين من شهر يونيو، وإلى منظمة الأوبيك في السنة ذاتها، وفي اليوم الثامن عشر من شهر نوفمبر انضمت الكويت إلى منظمة اليونسكو، وإلى المجلس الاقتصادي التابع لجامعة الدول العربية في اليوم الخامس عشر من شهر ديسمبر، واكتشفت في هذه السنة مياه الروضتين العذبة، وتأسست ثلاثة أندية رياضية هي نادي الكويت ونادي القادسية والنادي العربي.

هذه معلومات عامة تدل على جو الحياة في الكويت خلال فترة تأليف ونشر جان جاك بيربي لكتابه، وفي هذه الفترة جرت بعض الأمور المتعلقة بالنفط وهو الأمر الذي كان يهم المؤلف أن يحتوي عليه كتابه لأنه كان يرغب في إبلاغ مواطنيه الفرنسيين بكل ما يتعلق به. وهنا نجمل بعض الأمور التي لم يتطرق إليها:

- في سنة ١٩٥٩م تم تشغيل الرصيف الشمالي لميناء الأحمدي النفطي، وكان من أكبر المواني في العالم آنذاك فيما يتعلق بتصدير النفط الخام. ووصلت إلى البلاد أول ناقلة نفط كويتية هي «كاظمة»، ولكثرة أعمال شركة نفط الكويت فقد



أنشأت لها مطارًا قرب مدينة الأحمدي، وبقي هذا المطار يعمل حتى سنة ١٩٦٤م. وتأسست شركة البترول الوطنية برأسمال قدره سبعة ملايين ونصف مليون دينار.

أما الخبر المهم في هذا الوقت فهو منح الامتياز الخاص بالتنقيب عن النفط في المنطقة المحايدة (آنذاك) لشركة الزيت العربية المحدودة التي تمتلكها شركات يابانية وهذه أول مرة يتاح فيها لليابان مجال العمل النفطي في هذه المنطقة. وقد أثار هذا الأمر الكثير من المخاوف في الغرب، وكان له دلالاته الكبيرة على استقلالية الكويت وعدم خضوعها للعالم الغربي.

وفي هذا الخصوص نقلت جريدة «الكويت اليوم» الرسمية أن شركة النفط العربية اليابانية قد أعلنت في اليوم التاسع من شهر مايو لسنة ١٩٥٨م حصولها على الامتياز للتنقيب عن النفط في مياه المنطقة المحايدة بين الكويت والسعودية، وأضافت الجريدة نقلاً عن صحف أجنبية أنه «مما لاشك فيه أن الحكومة الكويتية بقبولها العرض الياباني قد تسببت في إثارة قلق شركات النفط البريطانية والأمريكية، وقد أثبتت بصورة أكيدة استقلال سياستها عن سياسة بريطانيا وأمريكا».

كان لابد لنا أن نقدم كل ما سبق في أعقاب انتهاء حديثنا عن كتاب «جزيرة العرب» لجان جاك بيربي وذلك لارتباط ما قدمناه هنا بما جاء في عرضنا للكتاب.

****

# الخليج العربي في نظرة بريطانية وأخرى فرنسية[1]

سوف يكون حديثنا اليوم بمثابة استعراض لكتابين من تأليف كاتبين أوروبيين أحدهما بريطاني وهو السير أرنولد ويلسون، والثاني فرنسي، وهو جان جاك بيربي. وقد تحدثنا عن هذا الأخير عندما عرضنا كتابه «جزيرة العرب» ضمن مقال لنا من «الأزمنة والأمكنة» نشرته جريدة «الوطن». وسوف نعرض له في هذا المقال كتابًا آخر عنوانه «الخليج العربي» وذلك بعد أن نتحدث عن السير أرنولد ويلسون وكتابه المسمى - أيضًا - «الخليج العربي».

عمل السير ويلسون في النطاق السياسي البريطاني فترة من الزمن. فقد ولد في سنة ١٨٨٤م، وتعلّم في كلية كليفتون في إنجلترا، وقد كان والده مديرًا لهذه الكلية، بدأ ويلسون حياته العملية ضابطًا في الجيش البريطاني في الهند إلى سنة ١٩٠٤م وفيها انتقل إلى العمل في إيران ضمن قيادة تعمل على حماية القنصلية البريطانية في الأهواز هناك، وحماية شركة النفط التي تتبع وطنه أثناء عملها في التنقيب عن النفط بعد أن حصلت على الامتياز.

في سنة ١٩٠٧م نقل صاحبنا إلى الدائرة السياسية وصار عمله في الخليج، وتدرج حتى بلغ مرتبة كبار المديرين، وفي سنة ١٩٢٠م عمل لحساب شركة النفط في إيران إلى سنة ١٩٣٢م.

أثناء الحرب العالمية الأولى كان ويلسون في سنة ١٩١٥م نائبًا للسير بيرسي كوكس السياسي البريطاني الشهير الذي كان عمله في العراق، وفي سنة ١٩٢٠م انتقل إلى عمل آخر بعيدًا عن الأعمال السياسية التي كان يمارسها.

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/٦/٣م.



المهم أن السير أرنولد ويلسون قد وجد في خضم هذه الأعمال الوقت الكافي لتأليف كتابه «الخليج العربي».

لم يكن أرنولد ويلسون كاتبًا متخصصًا في التاريخ ولكنه أجاد عمله في كتابه «الخليج العربي» أيما إجادة وحشد فيه مجموعة كبرى من المعلومات رتبها ترتيبًا علميًّا دقيقًا، وكان سر إجادته أنه استفاد من خبرات كثيرين من العاملين في هذا الحقل، وقد ذكرهم مُعبرًا عن شكره لهم لما أمدُّوه به من معلومات ونصائح.

ذكر من هؤلاء زميله ماردون وهو متخصص في الحقبة القديمة والقرون الوسطى، وقد أثنى عليه ويلسون ثناء عاطرًا وشكره لما قدمه له من دعم، وأتاحه له من معلومات.

وواضح من التمهيد الذي كتبه المؤلف أنه إنما ألَّف هذا الكتاب للبريطانيين الذين تُلقي بهم ظروف عملهم في هذه المنطقة، وقد عبر عن ذلك بقوله: «إن غرض الكاتب أن يُمكِّن أولئك الذين تأتي بهم ظروف الواجب أو الاضطرار إلى الخليج أو الذين يأتون بحكم الأعمال ليتعرفوا مشاكلهم، من أجل أن يدرسوا في نطاق عمل فردي مواكب تاريخه، ذلك التاريخ الذي لعبت بريطانيا العظمى فيه دورًا رائعًا». إذن فقد كتب هذا الكتاب لجماعته، ولكننا نستطيع أن نستفيد بكثير مما فيه، وقد قال مترجمه ما يؤيد هذا الكلام حين ذكر في مقدمته: «وهذا الكتاب في رأينا أحسن كتاب من نوعه يعالج قضايا الخليج العربي، على الرغم من أنه كتب في الربع الأول من هذا القرن (يقصد القرن العشرين) وهذا استعراض بتاريخ الخليج منذ أقدم الأزمنة ...».

ترجم الكتاب وقدم له مقدمة تعبر عن وجهة النظر العربية الخالصة الدكتور عبدالقادر يوسف، كما قدم له السيد: ل. س. إمري. وقامت مكتبة الأمل في الكويت بنشره في أواخر ستينيات القرن العشرين وقامت بطباعته مؤسسة فهد المرزوق الصحفية، وجاء في أربعمائة وست وثلاثين صفحة من الحجم المتوسط.

يتكون كتاب «الخليج العربي» الذي ألفه ويلسون من ثلاث مقدمات إحداهما للمترجم والثانية للمؤلف تحت عنوان: «تمهيد» والثالثة للسيد إيمري تحت عنوان «تصدير» وقد امتدح إيمري هذا صاحبنا كثيرًا بقوله: «ونحن إذا أردنا أن نشير إلى أحد الأحياء المختصين بشؤون منطقة الخليج» فلن نجد سجل خدمة أفضل من سجل سير أرنولد ويلسون، قليل أولئك الرجال الذين يعرفون الشرق الأوسط ككل معرفة وثيقة، والخليج بنوع خاص، وقليل أولئك الذين يستطيعون أن يرسموا الصورة بألوانها الحقيقية وأن يقدموا للقراء الإنجليز القصة الكاملة لما أنجزه أبناء جلدتهم».

تأتي بعد ذلك فصول الكتاب وعددها ستة عشر فصلاً تبدأ بفصل عنوانه هو عنوان الكتاب: الخليج العربي، ولهذا الفصل مدخل هو عبارة عن سرد تاريخي ثم وصف جغرافي لهذه المنطقة الحساسة من العالم، ولم يكتف المؤلف بذلك بل بحث الأطوار الجيولوجية التي مرت بالموقع، وعلاقة البحر باليابسة وتأثيره فيها، ولم ينس أن يذكر كميات الأمطار أو درجات الحرارة في عدد من الدول. ونقل معلومات عن تنقيب السيد وولي في سنة ١٩٢٥م مما يدل على أن ويلسون ألف كتابه بعد الربع الأول من القرن العشرين على خلاف ما ذكر المترجم فيما سقنا في مقالنا نقلاً عنه. وتحدث - أيضًا - عن طبيعة السكان وعن الأمن والقرصنة، ثم عن حيوانات البيئة وأعشابها وفي ختام هذا المدخل نراه وقد عاد إلى مهمته الرسمية فيؤكد أن المرسل من بريطانيا إلى هذه المنطقة ينبغي له أن يكون ملمًّا بكل شيء عنها، كما ينبغي أن يتحلى بروح المودة والرغبة في التعارف.

في الفصل الثاني حديث عن الرجل البدائي في الخليج وعمان، وهو بحث في التاريخ القديم. ينتقل منه إلى الحديث عن الخليج في العصور التاريخية الغابرة، وذلك في الفصل الثالث أما في الفصل الرابع فقد استعرض ما كتب قديمًا،



ليصل في الفصل الخامس إلى الحديث عن الخليج في العصور الوسطى، وقد جاء الفصل السادس ليستكمل المؤلف فيه الموضوع نفسه، أما في الفصل السابع فقد تحدث عن بعض المدن المهمة فيما سبق وهي سيراف وقيس وهرمز وكلها على الخليج.

ومن سيراف جاء عدد من علماء المسلمين البارزين منهم الحسن بن عبدالله السيرافي صاحب المؤلفات الكثيرة في النحو واللغة منها كتاب أخبار النحويين، وكتاب شرح سيبويه وكتاب صنعة الشعر، وكتاب البلاغة، وغيرها..

ولد في سنة ٨٩٧ ميلادية.

وله ابن اسمه يوسف سار في العلم على سيرة والده، وله مؤلفات قيمة، ولد في سنة ٩٤١م.

وفي الفصل الثامن تحدث عن مجيء البرتغاليين إلى هذه المنطقة، وفي الفصل التاسع أورد ما حدث من تنافس بين هؤلاء والإنجليز، إلى أن وصل الى الفصل العاشر وعنوانه: «طرد البرتغاليين» وأورد في الفصل الحادي عشر حكاية الهولنديين في المنطقة ووصل في الفصل الثاني عشر إلى القرن الثامن عشر، ونمو النفوذ البريطاني في الخليج. وخصص الفصل الثالث عشر للحديث عن القرصنة وفي الفصل الرابع عشر تحدث عن الرق، وهو موضوع زال من المنطقة نهائيًّا.

أما الفصل الذي يخص الكويت فهو الفصل الخامس عشر وهو بعنوان «نمو الإمارات العربية» وقد تحدث عن عدد من الإمارات العربية الواقعة على الخليج وأفرد للكويت عددًا من الصفحات وسوف نعود إلى الحديث عنها. وقد ختم الكتاب بالفصل السادس عشر وهو عن الخليج في السياسات الدولية وهو حديث مجمل عن هذا الموضوع وكأنه يحاول أن يسرع في إنهاء الكتاب.

كان ما كتبه ويلسون عن الكويت شبه معروف فهو يتحدث عن الموقع قائلاً: «تشكل الكويت نصف دائرة من الأرض قليلة التضاريس على الجانب الغربي من رأس الخليج، وقاعدتها امتداد لخط ساحلي منخفض يمتد إلى مسافة ما يقرب من مئتي ميل».

وقال أن بيللي ذكر أن عمر الكويت من مائة سنة إلى مائتين، والواقع أن بيللي ذكر أن تقديره لنشأة الكويت هو ٢٥٠ سنة عند رحلته إليها في سنة ١٨٨٦م، «انظر كتابنا: الكويت تواجه الأطماع ص ٣٧» كما نقل ويلسون عن بلجريف، وأورد أن حصار البصرة منذ سنة ١٧٧٦م حتى سنة ١٧٧٩م هو الذي أعطى الكويت قوة دافعة للنمو. وأورد الأسباب التي حدت ببريطانيا إلى قبول توقيع اتفاق الحماية مع الكويت، ونص على أن التحركات الروسية كان لها دور مهم في إسراع البريطانيين إلى عقد الاتفاق.

وبعد الثناء على الشيخ مبارك الصباح تحدث عن الشعب الكويتي قائلاً: «ويعتبر شعب المدينة بوجه عام اسمى من شعب أي مرفأ غربي آخر، في المقدرة التجارية، وفي تلك الخصائص المرنة التي تعمل على خلق المواطن الصالح المعتمد على نفسه وما من جزء في الخليج يحتفظ أهله بعلائق شبيهة بعلاقات الشيخ وشعبه مع الحكومة البريطانية وممثليها ومع التجار البريطانيين، تلك العلائق التي تتسم بالاحترام والحفاوة والمودة».

هذا هو نهاية حديثنا عن أرنولد ويلسون وكتابه الذي ضمنه نظرته البريطانية إلى الخليج العربي.

نبدأ الآن في الحديث عن النظرة الفرنسية إلى الخليج العربي، وقد ذكرنا آنفا أن صاحب هذه النظرة هو جان جاك بيربي، ولا أظن أننا هنا في حاجة إلى الحديث عنه فقد مر بنا ذكره عندما تحدثنا في مقال سابق من «الأزمنة والأمكنة» بجريدة «الوطن» عن كتابه «جزيرة العرب» ولا داعي هنا لإعادة ذلك الحديث.



أما هنا فإننا نكتب عن النظرة إلى الخليج عبر كتابه القيم «الخليج العربي» وهو كتاب سار فيه على النهج المحايد الذي سار فيه عندما ألف كتابه «جزيرة العرب» وهو يقول في مقدمته «لا يجوز للفرنسيين يوم يتخلصون من الميل المشؤوم إلى الاستعمار، أن يقفلوا على أنفسهم حدود الوطن، إنّ عليهم أن يتذكروا دائمًا أن مصير وطنهم الجميل يدعوهم باستمرار إلى التفكير في الشرق، وذلك ليس من أجل الاستعمار أو السيطرة أو الاحتلال بل للتثقيف والتحرير والقيم الروحية».

ترجم هذا الكتاب مترجمًا كتاب بيربي الأول، وهما نجدة هاجر وسعيد الغز، ونشرته دار المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ببيروت في شهر ديسمبر لسنة ١٩٥٩م، وهي سنة قريبة من سنة صدور الكتاب بلغته الفرنسية. وقد قدم المترجمان له بمقدمة جيدة عبَّرا فيها عن تقديرهما لعمل بيربي وقالا إنهما لم يكادا يتلقفان الكتاب ويطلعان على محتوياته القيمة حتى وجدا أن هذه المحتويات بما فيها من صدق واضح؛ ينبغي أن تكون بين يدي القارئ العربي، وقالا إنهما عقدا العزم على تعريبه لكي يؤديا الواجب الذي يفرضه عليهما الضمير القومي من جهة والمسؤولية الفكرية من جهة أخرى.

الكتاب الذي نتحدث عنه وهو «الخليج العربي» لجان جاك بيربي يتألف من ستة عشر فصلاً وزعها المؤلف على ثلاثة أقسام رئيسية، وكلها فصول مهمة مليئة بالحقائق، مدعمة بالأدلة العلمية والأرقام والخلفيات التاريخية وكلها تضم ملحوظات المؤلف الدقيقة والصريحة التي تتميز ببعد النظر إضافة إلى حسن الأسلوب ورقته وشاعرية عرض بعض المواقف التي أعجب بها الكاتب.

وفي مقدمة المؤلف ما يدل على إعجاب بيربي بموقع الخليج والإمكانات المتوافرة فيه وبخاصة فيما يتعلق بالثروة النفطية فهو يقول: «لقد أراد التاريخ من هذا الوطن البحري أن يكون طريقًا حتميًا، ومعقلاً لأكبر المغامرات وأخطرها، ومستودعًا لمختلف الثروات منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا».

يبدأ الكاتب بقسم عنوانه «في بلاد الجن والذهب الأسود» وتحت عنوان داخلي هو «بحيرة داخلية» وصف جغرافي للخليج وحديث عن الازدهار النفطي الذي جاء بعد عدة سنوات من البؤس، فحل بذلك الثراء. وتحدث المؤلف عن الجانب الايراني من الخليج، وعن الأطماع المحدقة بهذا الممر المائي الخطير. وتحت عنوان القراصنة والبترول تحدث في فصل عن ارتباط العمل القرصني بالعمل النفطي، راجعًا الى الوراء للنظر في خبايا التاريخ متحدثًا عن الناس ومعيشتهم قبل ظهور الذهب الأسود. وقد عاد الى الحديث عن النوع المألوف من القراصنة وهم الخارجون عن القانون وذكر أن تفاقم أعمالهم دفعت الأوروبين عمومًا إلى التنبه إلى المنطقة ودفعت البريطانيين بالذات إلى التدخل إلى أن صارت لهم السيادة في هذا المكان. ولقد جر هذا التدخل تنافسات خطيرة بما في ذلك الاندفاع الأمريكي. وحتى ص ١١٢ من الكتاب ظل بيربي يتحدث عن إيران ونفطها وعن العراق ونفطه. وعن السطح القاحل في المنطقة والجوف الغني بالنفط فيها وفي خلال ص٦٤ وص٦٥ تحدث قليلاً عن الكويت، وقد جاء نص ما كتبه في هذا الفصل كما يلي:

«لم تتجمع الشروط التي من شأنها أن تجعل الثروة متوفرة في أي مكان كما تجمعت هنا في الكويت. وقد اكتشفت أقدم الآبار «الأحمدي» و«البرقان» و«المقوع» جنوبي الجون الذي تقوم عليه مدينة الكويت التي أعطت اسمها للإمارة كلها. وكلمة الكويت هي تصغير كلمة «كوت» أي الحصن الصغير. والحقول البترولية المنتجة توجد على مسافة خمسة عشر كيلومتراً على الأكثر من الشاطئ وعلى ارتفاع يقارب أربعمائة قدم عن سطح البحر مما يجعل البترول يندفع بقوة في الأنابيب ليصبّ مباشرة في الناقلات الراسية في ميناء الاحمدي.. وثروة هذه الحقول تنافس ثروة حقول السعودية على احتلال المركز الأول في العالم. وقد أتاحت للكويت أن تضاعف إنتاجها مضاعفة هائلة من ثمانماية ألف طن سنة ١٩٤٦ إلى



خمسة وخمسين مليون طن سنة ١٩٥٦ وإلى سبعين مليون طن سنة ١٩٥٨. وعلاوة على ذلك فقد دلت التنقيبات التي أجراها الخبراء مؤخرًا على مسافة ٩٣ كيلو متراً من شمالي الإمارة على وجود البترول بغزارة. وبعد إجراء الحفريات اللازمة تدفق البترول في «الروضتين» ليزيد من ثروة الكويت، ومد أنابيب لتصل هذه البئر الجديدة بميناء الأحمدي. وكذلك عند شمال الجون اكتشف البترول في «بحرة» قرب الخليج وفي «الصابرية» مقابل جزيرة «بوبيان».

وعلى الرغم من كل هذه الكنوز التي تتضاءل أمامها كنوز مغارة علي بابا الشهيرة ما زالت الحياة صعبة في الإمارة السعيدة القائمة على الرمال بسبب افتقارها إلى المياه العذبة الحلوة ويمكن القول على حد رأي الخبراء أن الكويت التي خلقتها العناية الآلهية فوق رمال حامية على ضفاف الخليج الأخضر ليست سوى إسفنجة مشبعة بالبترول.. لذلك صرف الجيولوجيون النظر عن حفر أية حفرة في الأرض لاستخراج المياه لأنهم واثقون من أن ما سيتدفق إنما هو البترول وليس الماء.. وقد استطاعت شركة البترول الكويتية بعد جهود جبارة مضنية ومصروفات طائلة أن تجر مياه السقي من مسافة خمسة وعشرين كيلومترًا بواسطة أنابيب إلى مدينة الأحمدي من أجل إنبات بعض شجيرات وحيدة لتلطيف الجو هناك غير أن الرياح الساخنة التي تهب من الصحراء لا تلبث حتى تجففها.

وهي تنظر عن بعد كأنها بستان حقيقي أخضر غض وهذا الاخضرار العجيب الذي يعتبر معجزة في هذه المنطقة يترك أثراً فعالاً في نفس كل قادم. فهل ندهش بعد ذلك إذا عرفنا أن أمير الكويت عندما زار باريس للمرة الأولى كان أول ما طلبه هو رؤية غابة بولونيا التي كان لها في نفسه كبير الأثر.

ويمضي المؤلف بعد ذلك في حديثه عن الدول المحيطة بالكويت، وعن تزاحم البريطانيين والأمريكان والروس وغيرهم على هذه المنطقة، ويذكر كثيراً من

الدسائس والمؤامرات التي فرضها الحصول على النفط في حقول كل من إيران والعراق إلى أن يصل إلى الفصل الثامن وهو ضمن باب عقده في الكتاب تحت اسم: «علي بابا لم ير شيئاً» وفي هذا الفصل (الثامن) حديث طويل عن الكويت امتد من ص ١١٣ حتى ص ١٣٥، وسوف نعود إليه بعد أن نختتم حديثنا عن الكتاب وهو حديث أوشك أن ينتهي. بعد أن انتهى المؤلف من سرد كل ما يتعلق بالكويت ونفطها وتحدث عن الاكتشافات النفطية في الجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية، وعن جشع شركات النفط التي لا حد لها، وعن البحرين ونفطها ذاكراً في البداية موسم الغوص ومدى اعتماد البحرين - قديماً - عليه، ثم تحدث عن قطر والنزاعات التي كانت تدور إلى الجنوب منها كما حدث في مسألة واحة البريمي، وتحدث عن عمان تاريخاً ونفطاً واقتصاداً.

وفي باب عن الشرق الأوسط تحدث عن اكتشاف هذا الشرق، وعن الحقائق والأساطير الواردة عنه، وألحق بالكتاب عدة ملاحق تتعلق كلها بالنفط من حيث الامتيازات والمصالح وكميات الإنتاج وغير ذلك.

هذا هو ما انتهى إليه كتاب «الخليج العربي» أما الفصل الذي وعدنا بالعودة إليه، فقد جاء كما قلنا من قبل تحت عنوان «رواية صادقة من القرن العشرين» ضمن باب «علي بابا لم ير شيئاً».

بدأ الفصل بعبارة نقلها المؤلف عن الشيخ عبدالله السالم الصباح وهي قوله: «إن المهم أن تكون محبوباً في الشرق الأوسط».

بدأ الفصل بوصف شاعري جميل للكويت جاء فيه «إن أغرب الروايات العربية وأكثرها مدعاة للدهشة لم تكن من نتاج خيال سكان بحر الزمرد الواسع. إن ما سيأخذ بلب السندباد البحري إذا ما عاد اليوم ما يجده وراء البصرة المرفأ الذي كان ينطلق منه في مغامراته الغريبة، يصبح شيئاً تافهاً إذا ما قيس بالتقدم



والتطور اللذين أصابا تلك البلدة الصغيرة الواقعة على الخليج التي كانت فيما مضى ملجأ للصيادين فإذا بها تصبح فردوس الذهب الأسود.

إن هذا الجون الرائع بمياهه الفيروزية العميقة الذي يشق قلب الصحراء قد جذب في الماضي فريقًا من الناس للإقامة فيه عند ساحله، وحاولت الصحراء مرارًا أن تصب عليهم جام غضبها لتلقي بهم في البحر نافخة عليهم رياحها القاتلة التي تحمل الرمال والقيظ.. ولكن هؤلاء صمدوا في وجه غضبات الصحراء وتمسكوا بتلك البقعة القاحلة.. إننا لا ندري لماذا فعلوا ذلك؟.. ربما كانت العناية قد أوحت إليهم منذ ذلك الحين عما تنطوي عليه الأرض في جوفها من ثروات طائلة.

كانت الكويت منطقة محرومة حرمانًا كاملاً من المياه العذبة الحلوة والنباتات الظليلة، بلدًا منسيًّا مهملاً لا أهمية له على الرغم من كونها المرفأ الطبيعي الوحيد للصحراء. وولى الكويتيون وجوههم شطر البحار بسبب الحصار الذي فرضته عليهم الأرض البخيلة القاحلة الصحراوية.. وأصبحوا من أشجع البحارة وأبرع بُناة السفن والمراكب وأجرأ الغطاسين وراء اللؤلؤ. وأخيرًا منّ الله عليهم بالبترول.

وفي ظرف عشر سنوات لا غير انهالت على هذا البلد الفقير ثروة لا تقدر ولا يحصيها حساب وصبت في خزائنه كما كان يتدفق البترول غزيرًا من آباره. وفي هذه الحقبة القصيرة التي لا تقاس في حياة الأمم والشعوب غيرت هذه الثروة الطائلة معالم الحياة كلها في الكويت الجديدة.

إن الأمير الذي يحكمها يتناول كل يوم نصف مليار فرنك.. وهو يشيد القصور ويشق الطرقات المعبدة الواسعة ويبني المدارس والمعاهد وينشئ المستشفيات وينشر الثقافة مجانًا بين مواطنيه ويؤمن لهم التطبيب المجاني. وهو كحاكم مسلم مطلق السلطة والصلاحية يصرف الأمور في الإمارة السعيدة الصغيرة وفقًا لمبادئ وتقاليد ورثها عن الأجداد».

ثم تحدث بيربي عن السكان، وطبيعة النظام في البلاد، بما في ذلك نظام المرور، والشرطة الذين يديرونه، ونقص المياه وأشكال ملابس الناس والمحلات التجارية والسفن المتهادية على سطح الماء، والمآذن السّامقة.

وانتقل بعد ذلك إلى قصة اكتشاف البترول في البلاد وقد جاء ذلك في حديث طويل جداً أخذ عدداً كبيراً من الصفحات التي كتب فيها هذا الفصل.

وفي الختام انظر وصفه الجميل لليل في «برقان» إذ يقول: «إلى الجنوب يمتد الطريق السريع الواسع الجميل المزفت الذي يربط مدينة الكويت بميناء (الأحمدي)، ويجتاز حقل (برقان) النفطي، وهنا عوضًا عن أن يشتعل الغاز - دون هدف - في الفضاء، يشكل صفوفًا أفقية من الأضواء طويلة على جانبي الطريق تجعل الليل نهارًا، وتخال هذا المنظر كأنه تنانين هرمة تلهث، وتلفظ أنفاسها الحارة اللاهبة على طرف الصحراء».

وبعد فهاتان نظرتان إحداهما بريطانية والأخرى فرنسية، وقد رأينا أن نظرة الفرنسي كانت أكثر واقعية، وأدل على الرغبة في مَدّ يَد الصداقة لأهل هذه المنطقة، وكانت كتاباته أقل خطأ في السرد. أما النظرة التي ألقاها البريطاني على خليجنا العربي، فكنا نَشُمُّ منها الروائح الاستعمارية التي كانت مسيطرة عليه ولا غرو أن يحدث ذلك من شخص يعمل في الحقول ذاتها. ولكنه على الرغم من ذلك كان أقل من غيره من البريطانيين حساسية، وإن كانت له أخطاء طفيفة أشار إليها المترجم في مواقعها من الكتاب.

****



## ملحاق خير

قدم لي أخي الأستاذ الدكتور مرزوق يوسف الغنيم هدية قيمة، هي البطاقة الخاصة بالدعوة إلى زواج الأخ الكريم عبدالعزيز عبدالرزاق يوسف المطوع، وأنا أسعى للحصول على مثل هذه الهدية لأنها قديمة العهد من جهة، ثم لأنها تخص أخاً عزيزاً (هو أبو صافي) من جهة أخرى، ولذا قابلتها بشكر مهديها، وقررت أن أقوم بعرضها ضمن (ملحاق خير).

صلتي بالأخ عبدالعزيز المطوع قديمة، فقد كنا نلتقي في مناسبات عديدة عندما كنا نعمل في القطاع الحكومي، وصلتي به اليوم أكثر عمقاً، فهو يسكن في منطقة المنصورية التي أسكنها، ولذا فإن من اليسير أن نلتقي بين وقت وآخر، وهو رجل طيب القلب، حبيب إلى النفس، لا يستطيع الإنسان أن ينسى صداقته التي تقرب من حدّ الأخوة، وأنا سعيد بهذه الصلة، ولأنه قد تميز بصفاته الكريمة التي ألمحت إلى شيء منها فقد اكتسب محبة كل أصدقائه ومعارفه، بل وكل من يلتقي به ولو لمرة واحدة، وهو يستحق هذه المحبة عن جدارة.

أبو صافي من مواليد الكويت لسنة ١٩٣٢م، وكان مولده في فريج القناعات (الحي الشرقي) بدأ دراسته في المدرسة المباركية، منذ سنة ١٩٣٩م، ثم انتقل منها إلى المدرسة الشرقية الثانوية وانتهى من دراسته في القسم التجاري فيها في سنة ١٩٤٨م، وبعد أن انتهى من دراسته بدأ في سلك العمل وكان ذلك في دائرة المحاكم التي تحولت فيما بعد إلى: وزارة العدل، وسوف نذكر تفصيل أعماله فيما بعد،

لكننا هنا نذكر أنه تزوج في اليوم الثاني والعشرين من شهر يوليه لسنة ١٩٥٤م، وهذا هو موضوع بطاقة الدعوة إلى الزواج التي ذكرتها في بداية هذا الملحاق، وكان نصها: «أتشرف بدعوتكم لحضور حفلة زفاف ولدنا عبدالعزيز عبدالرزاق المطوع التي ستقام في ديوان عبدالله العلي المطوع. محلة القناعات، وذلك في مساء يوم الخميس الموافق ٢٢ ذي القعدة ١٣٤٣هـ، الساعة الثانية عربي، وبحضوركم يتم السرور، وفي أسفلها اسم الداعي وهو والد (المعرس) عبدالرزاق اليوسف المطوع، وكانت هذه البطاقة من نصيب الأستاذ الفنان أيوب حسين، وقد احتفظ بها إلى هذا الوقت.

نتيجة لهذا الزواج أنجب الأخ عبدالعزيز ثلاثة أولاد وثلاث بنات وهو سعيد بما وهبه الله، وهم وهن في غاية السعادة والفخر بهذا الوالد الكريم.

نعود هنا إلى عمله:

في سنة ١٩٧٥م صار وكيلاً لوزارة العدل، وعضوًا في مجلس القضاء الأعلى، وفي هذه الفترة - أيضًا - كان عضوًا في لجنة قبول المحامين، وعضوًا في لجنة شؤون المختارين.

في سنة ١٩٨٥م صار عضواً في المجلس الأعلى للهيئة العامة لشؤون القصّر، ورئيسًا للجنة الاجتماعية والتربوية بها، كما كان عضوًا في لجنة تنمية واستثمار أموال القصّر.

وفي سنة ١٩٨٨م صار عضوًا في لجنة شؤون البلدية، ورئيسًا للجنة المالية والقانونية بها، كما كان عضواً في لجنة الخلافات العقارية، وكان ممثلاً لبلدية الكويت في لجنة شؤون المختارين.

وفي سنة ١٩٩٢م تطوع للعمل في مؤسسة سعود البابطين للدراسات.



وهو عضو مجلس أمناء وقف عبدالعزيز البابطين الثقافي.

ورئيس لجمعية المحاسبين والمراجعين لمدة ست سنوات، ويعمل حالياً بصفته شريكاً ومديراً بمكتب المحاسبة الدولي.

وهو - كذلك - عضو بمجلس شؤون الأوقاف العامة.

وحاصل على شهادة الدكتوراه الفخرية من الجامعة القرقيزية الكويتية.

وفي سنة ١٩٩٣م تم تعيينه مستشاراً في المكتب الاستشاري بديوان سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، وصار في سنة ١٩٩٤م عضواً في مجلس إدارة بيت الزكاة، ونائباً لرئيس مجلس الإدارة فيه، كما كان رئيس لجنة العمل الخارجي، ولجنة تنمية الموارد التابعتين للبيت.

وصار في سنة ١٩٩٥م رئيسًا للجنة الإشراف على مشروع رعاية طالب العلم، بالأمانة العامة للأوقاف، وذلك حتى سنة ٢٠٠٥م.

وهذه الأعمال تدلنا على أمرين مهمين بالنسبة لأبي صافي أولهما أنه موضع ثقة الجميع في الحكومة وفي خارجها وهو - فعلاً - يستحق هذه الثقة، وثانيهما: أنه حريص على القيام بالأعمال التطوعية رغبة منه في خدمة الناس وخدمة الوطن، وطلباً للأجر من الله سبحانه وتعالى.

الأخ الكريم عبدالعزيز عبدالرزاق المطوع يستحق أن ننوه بذكره، وأن نعدد مزاياه الكريمة. رعاه الله وألبسه ثياب الصحة والعافية، وكتب له العمر المديد.

****

## تلفزيون دولة الكويت في مجلة قديمة - ١٩٦٤م[١]

في إحدى الليالي القريبة الماضية كنت في زيارة الأخ الكريم محمد صقر المعوشرجي في ديوانيته لكي أقوم بواجب زيارته والاطمئنان على صحته شفاه الله وعافاه من كل سوء. اعتدت أن ألتقي في ذلك المجلس الطيب عدداً من الإخوة الأعزاء الذين آنس بهم، وأسعد بالحديث معهم، وكان من حسن حظي أن وجدت عند أبي خالد في تلك الليلة أخًا فاضلاً لم أره منذ أمد طويل هو الأخ الأستاذ عبدالرحمن الخرجي، الذي تكرم آنذاك فأهداني مجلة من المجلات التي كانت تصدر في سنة ١٩٦٤م، وبعض الأوراق التي تضم أسماء طلاب المدرسة المباركية عند بدء الدراسة بها.

معرفتي بالأستاذ عبدالرحمن الخرجي قديمة، ترجع إلى بداية الخمسينيات من القرن الماضي، ولكن الأيام وتقلباتها اقتضت أن ننقطع عن التلاقي إلى أن حانت هذه الفرصة السعيدة.

افتتح صاحبي في ذلك الوقت مكتبته المسماة: «مكتبة الطلبة» التي كان جل اعتمادها على بيع الكتب، وقد كانت فيها أعداد كبيرة من الكتب في موضوعات متعددة، وكان يجلب أغلب كتب هذه المكتبة من بيروت، من هذه المكتبة اطلع شباب الكويت على الأدب الحديث، وقرأوا التيارات الأدبية المعاصرة، وقد كان لصاحب هذه المكتبة الفضل في اطلاع القراء على كثير من الموضوعات التي لم

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/٦/٣م.



يطلعوا عليها من قبل، وذلك في تنوع جميل، واختيارات للكتب رائعة، وقد افتتح عبدالرحمن الخرجي إلى جانب مكتبته مطبعة سماها «مطبعة الطلبة» وكان ينوي تخصيصها لإصدار الكتب ونشرها، وطبع بالفعل كتاب الرحالة الأمريكي أ.لوثر المسمى «الكويت ١٨٦٨م»، ولكنه لم يوفق في هذا المجال بسبب طبيعة السوق التي كانت ضيقة للغاية في ذلك الوقت.

واستمر في إدارة مكتبته بعد ذلك، ولكن السوق عاد فلعب لعبته، إذ قل الإقبال على شراء الكتب وقراءتها وانشغل الناس بأمور أخرى، فاضطر عبدالرحمن إلى إغلاق المكتبة مأسوفًا عليها.

لقد كان سوق بيع الكتب في وقته رائجًا وكان هناك عدد من المكتبات تتنوع عروضها من الكتب، ويقبل عليها محبو القراءة كل يبحث عما يهمه من موضوعات، وكنت أقف فترة غير قصيرة حتى يأتي دوري في الشراء من أي مكتبة من مكتبات تلك الأيام.

تضم المجلة التي أهداها إليَّ الأخ عبدالرحمن الخرجي موضوعًا شيقًا بالنسبة لي، ذلك لأنها أوردت ضمن مقالاتها مقابلة صحفية أجراها مندوبها معي يوم كنت مديرًا لتلفزيون دولة الكويت، ولما في هذه المقابلة من معلومات، واشتملت عليه من صور أضحت قديمة بل تاريخية آثرت أن اقدمها ضمن «الأزمنة والأمكنة» مع حديث قصير عن هذا الجهاز. والمجلة المعنية هي مجلة «العالم» وهي لبنانية المصدر، لا نعرف الجهة التي كانت تنشرها، وقد صدر أول عدد لها في بيروت سنة ١٩٥٣م وكانت شهرية إلى أن توقفت فترة من الزمن في سنة ١٩٦٦م، ثم عادت إلى الصدور كل أسبوع، ولا أعرف مصيرها الآن. وأما العدد الذي يضم المقابلة المذكورة فكان صادرًا في شهر سبتمبر لسنة ١٩٦٤م.

كان تلفزيون الكويت حديث النشأة، وكان يتولى إدارته المرحوم الاستاذ خالد المسعود الفهيد، ولم تكن به من المعدات ما يتناسب مع المطلوب في جهاز مثله، لذا حرص الأستاذ خالد على أن يطعّم برامجه ببعض البرامج التي كان ينتجها التلفزيون المصري، وهكذا اقتصرت برامج تلفزيون الكويت - آنذاك - على هذه البرامج وبعض الأفلام والأخبار بالإضافة إلى القرآن الكريم وبعض الأحاديث الدينية، ويستدعي - أحياناً - أحد الأطباء وهو الدكتور سعيد النجار رحمه الله لتقديم برنامج صحي يذاع على الهواء مباشرة لعدم وجود جهاز تسجيل لدى التلفزيون وقتها، أو يستدعي من يلقي حديثاً بمناسبة من المناسبات كما حصل معي عندما دعيت لإلقاء كلمة في إحدى أمسيات شهر رمضان عندما كنت مدرساً في ثانوية الشويخ.

وكنت قد انتقلت من عملي بالتدريس إلى وزارة الإرشاد والأنباء التي كانت هي المسؤولة عن التلفزيون، وكان الأستاذ خالد المسعود قد اختط لنفسه خطاً جديداً حين عزم على ترشيح نفسه لعضوية مجلس الأمة، وقد فاز في أول انتخابات رشح نفسه فيها، وصار وزيراً للكهرباء والماء ثم وزيراً للتربية، وقد سعدت بالعمل معه في هذه الوزارة الأخيرة حين صرت وكيلاً لها.

عندما جئت إلى وزارة الإرشاد والأنباء (الإعلام) كان وزيرها هو سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر، وحين انتقل منها إلى وزارة الخارجية حل محله الشيخ مبارك العبدالله الأحمد الصباح ثم الشيخ جابر العلي السالم الصباح.

كان كل وزراء تلك الفترة حريصين على هذا الجهاز الوليد، وكانوا يكثرون من زيارته للاطمئنان والتوجيه ويلبون الحاجات التي يقتضيها العمل. وذلك حتى شب هذا الوليد عن الطوق - كما يقال - وأصبح جهازاً يملأ السمع والعين، وقبل أن تنتشر المحطات التلفزيونية في الأقطار المجاورة كان تلفزيون الكويت هو السلوى الوحيدة لسكان هذه الأقطار.



قام بكتابة التحقيق الصحفي والمقابلة الصحفية أحد العاملين في المجلة المذكورة حضر إلى الكويت للكتابة عن مظاهر النهضة فيها. ويبدو أنه كتب عن مواقع أخرى في البلاد، ولكن العدد الذي بين يدي لا يضم إلا هذا الموضوع الذي أتحدث عنه الآن، لأن السيد إلياس مقدسي إلياس قد ذكر في بداية حديثه ما يدل على ذلك حين قال: «سجلت في خواطري السابقة، دون تحديد انطباعاتي، ومشاعري عن دولة الكويت، هادفًا إلى إعطاء فكرة عامة لقراء مجلة (العالم) الأعزاء عن هذه البقعة من الوطن العربي، التي تعتبر - بحق - نموذجًا للدولة الناشطة الحديثة».

ثم يذكر اختياره لموضوع تلفزيون الكويت، ويبين سبب اختياره له، والمحاولة التي بذلها من أجل الحصول على المعلومات عنه وبالتالي التمكن من إجراء المقابلة التي كان يريدها.

يقول: «وهنا سأتحدث بإسهاب، عن واحد من أهم وجوه الحياة في دولة الكويت - التلفزيون - هذا الوجه الذي يعتبر مثالاً رائعًا للمبادهة الفردية، المدعومة برعاية الدولة الساهرة على مصالح الشعب ورفاهيته.

ولقد كان عليّ أن أبذل جهودًا كبيرة في سبيل الحصول على دقائق وتفاصيل عن تأسيس التلفزيون. فوراء ذلك قصة متشابكة وخيوط متعددة، وكان هدفي أن أعطي القراء صورة حية مسهبة عن هذا المخلوق العجيب».

ويواصل حديثه بعد هذه العبارات فيقول: «تبدأ قصة تأسيس التلفزيون منذ ثلاث سنوات تقريبًا، وذلك عندما صمم أحد مواطني الكويت الكبار - الاقتصادي المعروف السيد مراد يوسف بهبهاني - على إنشاء محطة تلفزيونية على نفقته الخاصة.

وبالفعل، استورد السيد البهبهاني أجهزة البث عام ١٩٦٠م، وفي مخيلته مطامح متشعبة يبغي تحقيقها لشعبه من وراء التلفزيون. وقال لي السيد البهبهاني، عندما زرته في مكاتب مؤسسته في ساحة الصفاة، أنه عندما خطرت له الفكرة، لم يكن يجهل أبدًا الخدمات التي يستطيع التلفزيون تأديتها في مختلف الحقول والنشاطات التعليمية والتربوية والثقافية والاجتماعية والإعلانية أيضًا.. بل إن معرفته بهذه الأمور هي التي أخرجت الفكرة إلى حيز التنفيذ، فضلاً عن أنه كان يريد أن يوضح للدولة، بالدليل المادي القاطع، مدى صلاحية التلفزيون للترفيه عن الجمهور وتعليم الناشئة وتوجيه المجتمع الكويتي الجديد إلى الحياة اللائقة.

وهكذا جاء بأجهزة للبث تعرض بعض الأفلام المصورة ذات الـ ١٦مم، والغاية من وراء ذلك تشجيع الشعب على اقتناء الأجهزة التلفزيونية، وشعرت الدولة بالقيمة المتزايدة لهذه المؤسسة، فاستعارت أجهزة البث من السيد البهبهاني لمدة عام، وبدأت بالبث الفعلي في شهر شباط (فبراير) ١٩٦٠م، ثم اشترتها في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) من ذات العام. وكانت قوة المحطة آنذاك ١٠٠ واط. وبدأت تعرض أفلامًا قصيرة عربية وأجنبية، ثم ما لبث بعد ذلك أن شرعت تذيع القرآن الكريم، ونشرة الأخبار، بالإضافة إلى برامج تثقيفية للأطفال والأخبار المصورة، والبرامج الشعبية المختلفة إلا أن مؤسسة التلفزيون، وانطلاقها من منهاج الدولة في تقديم أوفر الوسائل لراحة الشعب والترفيه عنه وضمان تقدمه في مختلف المجالات، أخذت توسع نطاقها وتدفع دمًا أقوى في شرايينها».

لقد مهد بأقواله هذه للحديث القادم، وهو المقابلة الصحفية التي تمت بينه وبين مدير تلفزيون الكويت. وهي المقصود من جولته في البلاد، كما أنها إحدى حلقات المقابلات التي أجراها في مرافق أخرى ذكرت سلفًا أنني لم أطلع على ما كتبه عنها.



وفي البداية تحدث عن تنقله في سبيل جمع المعلومات عن الجهاز الذي كان حريصًا على جمع المعلومات عنه، فذكر أنه مر بالسيد مراد بهبهاني بصفته مؤسس هذا الجهاز كما وضح لنا قبل قليل، ثم مر. كما يقول بديوان الأستاذ ابراهيم الشطي في وزارة الإرشاد والأنباء، كل ذلك من أجل جمع المعلومات بتفصيلاتها، ثم يقول: «... ومن ديوان الأستاذ الشطي قصدت محطة التلفزيون في (دسمان) برفقة المصور مصطفى حشيشو صاحب ستديو (سكوب) حيث كان في انتظاري مدير التلفزيون الأستاذ يعقوب يوسف الغنيم، فاستقبلني ورحب بمجلة «العالم» كثيرًا وأخبرني أنه من المواظبين على قراءتها.

وبعد أحاديث على هامش الموضوع، بادرته سائلاً:

**● هل لكم أن تحدثوا قراء «العالم» عن نشوء التلفزيون في الكويت؟**

الحقيقة أن التلفزيون قد مر في مرحلتين مهمتين: الأولى تبدأ منذ أن أنشأه السيد مراد يوسف البهبهاني، الى أن اشترته منه الدولة في أواسط شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٦١م. الثانية تبدأ منذ ذلك التاريخ حتى نهاية عام ١٩٦٢م، وهذه المرحلة كانت تجريبية، إذ لم تكن المحطة قد اكتملت من مختلف النواحي، وحينما اجتازت هذه الفترة، أصبحت المحطة رسمية، وانتهت منها الصفة التجريبية، لتنبثق عنها المرحلة الثالثة التي نحن فيها الآن، إذ اكتمل التجهيز بكافة الوسائل والأجهزة العصرية، وبدأ العمل الجدي والمثمر الذي يضاهي ما تقدمه كبريات المؤسسات التلفزيونية، بل أستطيع أن أقول، بلا مبالغة، إن التلفزيون عندنا قد استطاع أن يحقق في عامين ما لم تستطع مؤسسات أخرى تحقيقه في سنوات.

**● هل لنا أن نعرف ما هي أقسام التلفزيون؟**

بالتأكيد. هناك الأقسام والشعب التالية، ولنبدأ بالقسم الهندسي: بدأ هذا القسم مع بداية التلفزيون ذاته وكانت المعدات والأجهزة التي تستعمل في المحطة

عبارة عن كاميرا تصوير الكترونية واحدة، وكاميرا أخرى لعرض الأفلام، إلا أنه بعد مضي سبعة أشهر، استطاع هذا القسم أن يوسع مساحة المحطة من ٢٥٠ مترًا مربعًا الى ١٥٠٠ متر مربع، كما استوردنا كاميرات الكترونية أخرى، حتى أصبح لدينا الآن ست منها، ووصل عدد الفنيين العاملين في التلفزيون إلى خمسة عشر فنيًا، بالإضافة إلى عشرة مهندسين الكترونيين أكفاء، والتحقت بهذا القسم وحدة للنقل الخارجي، بدأت أعمالها بنقل صورة حية لاحتفالات العيد الوطني في العام الماضي. كما نقلت العديد من الحفلات والسهرات...

**• وما هي مهمة القسم الهندسي في التلفزيون؟**

- يقوم القسم الهندسي بتصميم جميع المعدات اللازمة للمحطة وتجهيزها، ويستطيع الآن القيام بأي عمل يحتاج إليه، ابتداء من عملية اللحام البسيط، إلى عملية تركيب الأسلاك الهندسية الدقيقة الصنع، ومن المعدات الالكترونية، إلى عملية التصوير السينمائي الحديثة.

**• وماذا عن أقسام المحطة الأخرى؟**

- لقد استمرت الجهود في تقوية المحطة ومختلف أقسامها، وخاصة قسم البث. فبعد أن كانت في منطقة «دسمان» تبث برامجها على النظام ذي ال «٥٢٥» خطًا بقوة مئة واط، أصبحت تبث على النظام الذي يقدم الصورة للمشاهدين على ستمائة وخمسة وعشرين خطًا، فيزيد ذلك من وضوحها وسهولة التقاطها. ولهذا الغرض أقيمت محطة البث على النظام الأوروبي في منطقة «المطلاع» شمالي الكويت، وقوتها (٢ كيلو واط)، كما بنيت أيضًا محطة تقوية أخرى في «الروضتين»، قوتها (٢ كيلو واط). ومهمة هاتين المحطتين هي إيصال برامج التلفزيون واضحة مسموعة إلى جنوب العراق بأكمله. وقامت الوزارة ببناء محطة تقوية إلى الجنوب



من مدينة «الأحمدي» قوتها (٦ كيلو واط)، في استطاعتها بلوغ أكبر جزء من إمارات الخليج المجاورة.

**• باعتبارك مديراً للبرامج، هل لك أن تعطينا فكرة مفصلة عن البرامج؟**

- برامجنا الآن تنقسم إلى عدة مجموعات:

المجموعة الأولى، وهي ثقافية، وتشتمل على برامج ثقافية وترفيهية موجهة للأطفال. وبرامج «عالم الحيوان»، وهو عرض لدنيا الحيوان وما فيها من غرائب وطرائف. و«حديث الأسبوع»، وهو مجموعة من المحاضرات الدينية والاجتماعية والاقتصادية، وبرنامج «رسالة» الذي يعرض إحدى المشاكل الإجتماعية التي يستفسر عنها الجمهور في رسائل، ويعالج هذا البرنامج المشاكل المعروضة فيها، في قالب تمثيلي، فتعرض على المتفرجين بطريقة طريفة جديدة، ويناقش كل مشكلة معروضة إخصائي. وبرنامج «التثقيف الصحي»، وهو يعرض المشاكل الصحية ويناقشها، ويهدف إلى رفع مستوى المعرفة الصحية بين الجماهير. وبرنامج «مجلة المرأة»، وهو ركن خاص بالمرأة، ويهدف إلى الأخذ بيدها في طريق قويم، ويثقفها ويوضح لها شؤون بيتها ويوسع مداركها. وبرنامج «علم وفن»، وهدف هذا البرنامج توسيع مدارك المشاهدين وإطلاعهم على كل جديد في دنيا العلم والفن. وبرنامج «جولة الكاميرا» وهو خاص بنقل تطور الحياة في الكويت بشكل واضح من خلال زيارة الكاميرا إلى المصانع والمعامل والموانئ ومنشآت النفط، لإطلاع المشاهدين على سير الحياة في بلدهم، كما تنقل صورة حية عن نشاط الوزارات وأقسامها المختلفة في جميع المجالات.

- أما المجموعة الثانية فإنها برامج تعليمية، وفي طليعة هذه البرامج (تعليم اللغة الإنجليزية) على الأصول القويمة، وهذا البرنامج تشرف عليه وزارة التربية

والتعليم، بالاشتراك مع (المجلس الثقافي البريطاني)، ويلاقي استحساناً منقطع النظير في أوساط الجمهور، نظرًا للإقبال الشديد من المشاهدين واهتمامهم بتعلم اللغة الانجليزية عن هذا الطريق، وخاصة أن الكويت أصبحت مركزًا لتلاقي الكثير من الأجانب من مختلف الطبقات، وهذا ما يجعل لهذا البرنامج هذه الحظوة والاهتمام لدى الجمهور، لأنه برنامج مفيد للغاية، خاصة بالنسبة إلى المواطنين الذين فاتهم تعلم اللغة الانجليزية في المدارس، وإننا نلمس هذا الأمر من خلال الاهتمام العام الذي يلقاه لدى الجمهور، وفي مخططنا أن نوسع نطاقه، بحيث يشمل أبوابًا أخرى لا تقتصر على تعلم اللغة والتحدث بها، بل وأصول كتابتها أيضًا. ويظهر هذا الاهتمام بمئات، بل قل بألوف الرسائل التي ترد إلينا، وبالمخابرات الهاتفية التي تثني عليه وتطلب المزيد من دروسه، وكثير من هذه الرسائل والمخابرات الهاتفية تتضمن بعض الاستفسارات والأسئلة عن دروس سبقت.

**• وماذا يا أستاذ يعقوب عن البرامج الأخرى؟**

- البرامج الأخرى، أو المجموعة الثالثة، تتضمن برامج متنوعة، وهدفها التسلية والترفيه، ومن هذه البرامج: «ما يطلبه المشاهدون»، تلبية للرغبات التي يبديها المشاهدون، فنعرض الأغنيات والمشاهد واللقطات المحببة إلى نفوسهم. ثم «المسلسلات الأجنبية»، وهي عبارة عن حلقات مسلية غربية، يتراوح عرضها بين ربع الساعة والساعة، وتتضمن الفكاهات والمغامرات. ثم «سهرة الفن»، وهذا البرنامج يقدم من وقت لآخر، ويشترك في إحيائه الفنانون المحليون والفنانون الضيوف. ثم هناك «مجلة التلفزيون، التي تضم أبوابا مختلفة في الرياضة والثقافة والعلوم والفنون...».



**• ومن هي العناصر الفنية التي تتضافر لتقديم كل هذه البرامج؟**

- يضم قسم البرامج خمسة مخرجين، وسبعة مذيعين ومذيعات، وثمانية مصورين الكترونيين، ومصورًا سينمائيًّا، وثمانية مراقبين للكاميرات، وأربعة للتحويل، وثلاثة لمكتبة الأفلام، وثلاثة لمكتبة شرائط التسجيل الالكتروني (فيديوتيب)، واثنين لمكتبة شرائط الأسطوانات الصوتية، وثلاثة لقسم إنتاج البرامج على أفلام سينمائية.

أما المجموعة الرابعة، فهي تتعلق بالأفلام السينمائية، فالتلفزيون يعرض ألوانًا مختلفة من الأفلام العربية والأجنبية، ونحن نراعي الناحية الإجتماعية، إذ يهمنا أن تتبلور المثل العليا وروح الإيثار والمحبة.

وأما المجموعة الخامسة، فهي الدراما التي تشتمل على تمثيليات محلية، أهدافها رفع مستوى المعرفة وتنمية الحس الاجتماعي ومعالجة نواقص المجتمع.

بقيت المجموعة السادسة، وهي قسم تبادل البرامج، ووظيفته عقد الاتفاقيات والتبادل. فمثلاً، عقد تلفزيون الكويت اتفاقيات مع تلفزيون لبنان والجمهورية العربية المتحدة وشركات: «اي بي سي» و«ان بي سي» و«سي بي اس» لتزويدنا ببرامج وأفلام متسلسلة وأفلام طويلة وأفلام للأطفال (كارتون) وأشرطة أخرى.

وهناك أيضاً قسم الأخبار الذي يقدم يومياً نشرة أخبار مصورة، بالإضافة إلى باب «نافذة على العالم»، الذي يقدم مرتين في الأسبوع. وترتكز مصادرنا الإخبارية على «وكالة الأنباء الدولية البريطانية» للأخبار المصورة، و«وكالة رويترز» و«وكالة الأنباء المتحدة» و«وكالة أنباء كولومبيا».

ويعتبر قسم الديكور بالطبع ركيزة حيوية في المحطة، وقد استقدمت وزارة الإرشاد والأنباء رهطًا من أمهر الاختصاصيين في فن الديكور. ويشتمل هذا القسم على فروع عديدة...

وأخيراً، هناك الشعبة الإدارية التي تنظم سير العمل في المؤسسة، وتتبعها شعبة مالية، وأخرى للخدمات الإنتاجية.

**• ما البرامج التي ترتؤون إدخالها لمضاعفة إقبال الجمهور على تتبع برامج التلفزيون؟**

- إننا الآن في سبيل إعداد برامج جديدة طريفة، وأمامنا أشياء كثيرة نحاول تطبيقها، ومفاجآت وخطوات مهمة نعدها للجمهور لإغناء البرامج وتقديم كل ما يهم الجمهور وينسجم مع رسالة التلفزيون بخطوطها العامة، فالتلفزيون مصدر للبهجة والفرح، وأفضل وسيلة لاستثمار الوقت أثناء الراحة....

**يقول المحرر:**

وهنا كنت قد استعرضت، برفقة الأستاذ يعقوب الغنيم والمصور جميع أقسام التلفزيون، فشاهدت أحدث الأجهزة، وجيشاً دائباً نشيطاً من الفنانين والفنانات والخبراء والمهندسين والمذيعين والمذيعات، وكانت الساعة قد جاوزت الثانية بعد الظهر، والحديث قد طال وتشعب، فاستأذنت الأستاذ الغنيم بالانصراف، شاكرًا له هذا الحديث المفيد، وما بذله في سبيل تزويدي بالمعلومات، وخرجت من مؤسسة التلفزيون وأنا أحمل أطيب الأثر، متمنياً لهذه المؤسسة دوام التقدم والنمو والازدهار، لتعم فائدتها الجميع، وتنشر معارفها ومباهجها في كل منزل.



كان الأستاذ إلياس مقدسي إلياس الصحفي بمجلة «العالم» اللبنانية صادقاً وأميناً في نقله، وأحاط بكل ما يتعلق بتلفزيون الكويت في ذلك الوقت إحاطة تامة، على خلاف كثيرين ممن كانوا يأتون إلى الكويت فيكتبون ما يعنُّ لهم وهم في فنادقهم لا يكلفون أنفسهم عناء الزيارة، ولا تقديم الأسئلة من أجل الوصول إلى الحقائق، ونحمد الله أننا انتهينا من تلك المرحلة بقيام حركة صحفية نشطة في وطننا الكويت صارت مثالاً يحتذى في الإجادة المهنية، وبلغت بمستواها مراتب الكمال، وقد أكسبتها حرية القول المتاحة لها مزيداً من التقدم والازدهار.

وبعد، فإنه لا يسعني في النهاية إلا أن أقدم الشكر للأخ الكريم الأستاذ عبدالرحمن الخرجي على هديته التي أتاحت لي فرصة العودة إلى ذلك الزمان الجميل، وتذكر ما كان فيه من محاسن.

****

## ملحاق خير

للتعليم في الكويت مسيرة عظيمة، ويكفي أن يطلع المرء على (موسوعة تاريخ التعليم في الكويت) المكونة من ستة مجلدات ليرى جهود أبناء الكويت في متابعة نشر العلم، وطلبه في كل مكان، ولقد سافر عدد من أبناء البلاد على نفقتهم الخاصة قبل سنة ١٩٢٤م، إلى الهند ومصر وغيرهما من أجل الدراسة في المعاهد المتاحة هناك.

أما في هذه السنة (١٩٢٤م)، فقد أرسلت أول بعثة دراسية كانت وجهتها إلى الكلية الأعظمية في بغداد، وكانت هذه البعثة مكونة من:

- الشيخ فهد السالم الصباح
- أحمد بن عمر العلي
- عبدالله عبداللطيف العبدالجليل
- عبد الكريم محمد البدر
- محمود عبدالرزاق الدوسري
- خالد بن سليمان العدساني
- سليمان العنيزي

وقد كان الشيخ أحمد الجابر الصباح أمير الكويت الأسبق راعياً لهذه البعثة، وكان يدفع لأفرادها خمس ربيات شهرياً لمصروفاتهم، ومواصلاتهم، وأدواتهم الدراسية، وكانت هذه الأمور رخيصة جداً في ذلك الوقت.



ولقد عادت هذه البعثة الرائدة في سنة ١٩٢٦م، بعد أن أمضت في دراستها مدة سنتين.

أذكر هذا الموضوع لأنه لابد وأن يذكر، وأذكره - أيضًا - لأمر آخر، فقد لفت نظري الأخ الدكتور عبدالله القتم إلى أنني ذكرت ضمن هذه البعثة اسم السيد سليمان العدساني في مقال الأزمنة والأمكنة المنشور في «الوطن» بتاريخ ٢٠٠٩/٤/٢٩م، ويبدو أن تشابه الأسماء وضع الأب في مكان الابن، فللأخ عبدالله الشكر، وللقارئ الاعتذار.

****

# العلامة الشيخ عبدالله الخلف الدحيان ورحلة الحج[1]

لا يخفى على أحد من المسلمين أن الحج ركن من أركان الإسلام يجب على كل مسلم أن يؤديه إن استطاع إلى ذلك سبيلا، ولذا نجد الناس في موسم الحج يتقاطرون على مكة المكرمة لأداء المناسك تنفيذاً لما ورد في القرآن الكريم الذي جاءت منه آيات بينات تصف مراحل الحج، وتوضح لكل مسلم الطريق إلى أداء هذا الركن المهم من أركان الإسلام.

تعلقت قلوب المسلمين بمكة المكرمة، والمدينة المنورة حيث قبر الرسول الكريم ومقر هجرته. ومع سهولة المواصلات في العصر الحاضر فقد كثرت زيارات الناس إلى هذين البلدين الكريمين لأداء العمرة وللزيارة حتى في خارج موسم الحج المعروف. ونحن لا نستغرب أن تتعلق القلوب ببيت الله الحرام، ففي ذلك تحقيق لدعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام إذ دعا قائلا: (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) (سورة إبراهيم الآية ٣٧) لذا وجدنا القلوب تفد إلى مكة قبل الأجسام، وهذا ما فسره لنا شيخنا الأستاذ محمود محمد شاكر رحمه الله.

وعلى مر الزمن وحتى يومنا هذا فإننا نرى اهتمام جميع المسلمين يزداد سنة بعد أخرى فهم يتجهون دائمًا إلى هذه الأماكن الكريمة، ويتذكرون زياراتهم لها ويتمنى غير القادرين أن تتاح لهم الفرصة كي يقوموا بأداء مناسك الحج على الوجه المطلوب.

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/٦/١٧م.



ومن الأدلة القاطعة على هذا الاهتمام ما نجده عند علماء المسلمين من عناية بتأليف الكتب التي تصف طريق الحج ومناسكه، وتاريخ الحرم الشريف، أو التي تضم الأدعية الخاصة بكل موقف من تلك المواقف التي يقفها الحاج في بيت الله الحرام وما حوله. وإضافة إلى ذلك فقد صدرت كتب تصف الطريق المؤدي إلى الحج بحسب المراحل التي يتوقف عندها الحاج وهو في طريقه، وتفنن آخرون من العلماء فوصفوا ذلك شعراً، ولذا فقد وردتنا أراجيز وقصائد من هذا النوع الذي يصف رحلة الراجز أو الشاعر وبعضها فيه تعبير عاطفي عن المشاعر التي تملأ نفس كل واحد منهما وهو في الطريق يريد أن يطوي الفيافي حتى يصل إلى مقصوده.

كان السفر صعباً والشقة بعيدة ووسيلة الوصول هي الجمل أو السفن في أحسن الأحوال، ولكن قلوب الحجاج كلها تهوي إلى البيت العتيق، الذي ما إن يدخله الفرد منهم حتى ينشرح صدره ويطمئن قلبه، ويجد أن استجابة الله سبحانه لدعاء نبيه إبراهيم عليه السلام؛ لا تزال قائمة.

وفي إيجاز شديد نتحدث هنا عن أولئك الذين اهتموا بالكتابة عن الحج والطريق إليه نثراً وشعراً من علماء الأمة الإسلامية وأدبائها وشعرائها، وسوف نجد أن الإلمام بكل ما كتب حول هذا الأمر صعب للغاية لكثرة ما جاءنا منه على مدى السنين الكثيرة الماضية ولكثرة أولئك الرجال الذين تصدوا لذلك قديمًا وحديثًا. فمن الكتب التي تم تأليفها عن الحج كتاب عنوانه «كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة». للإمام إبراهيم بن إسحق الحربي - حققه الشيخ حمد الجاسر، وطبعه في سنة ١٩٦٩م بالرياض، وتولت نشره دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

يتحدث هذا الكتاب عن الطرق داخل جزيرة العرب وعلى الأخص الطرق المؤدية إلى مكة والمدينة وهي التي يسلكها الحجاج في طريقهم خلال فترة تأليف

الكتاب الذي تم نسخ النسخة الفريدة التي وجدت منه واعتمد عليها الشيخ حمد الجاسر في أوائل القرن السادس الهجري.

يدلنا هذا الكتاب على أربع أراجيز كلها تتحدث عن طريق مكة والمدينة.

أولها أرجوزة أحمد بن عمر في المنازل التي نزلتها السيدة زبيدة وهي في طريقها إلى الحج.

والثانية أرجوزة لم يسمِّ الحربي قائلها ولكنها في وصف الطريق المذكور ومطلعها:

الحمد لله البديع الهادي
ذي المنِّ والقدرةِ والأيادي
أحمدُه على جميل صنعهِ
حمداً له في ضرِّهِ ونفعه

والثالثة هي أرجوزة صنعها أبوجعفر أحمد بن محمد الحماني الكوفي في الموضوع ذاته.

أما الأرجوزة الرابعة فهي على العكس من الأراجيز الثلاث السابقة فهي تتحدث عن الطريق رجوعًا من مكة إلى الكوفة.

وليس من السهولة بمكان استعراض هذه الأراجيز ولا البحث عن نظير لها في مراجع أخرى، لأننا لو فعلنا ذلك لاحتجنا إلى مجال واسع ووقت طويل، ويكفي ما تقدم للدلالة على أن هذا الموضوع مطروق عند عدد من علماء المسلمين، ولعلنا نجد في مستقبل الأيام من يقوم بجمع القصائد والأراجيز الخاصة بطريق الحج، على أن يضع لها دراسة مناسبة بحيث يستطيع القارئ أن يلم بكل ما ورد عند السلف حول هذا الموضوع المهم والشيق.



ولا نترك مقامنا هذا قبل الحديث عن السيدة زبيدة التي ورد ذكرها مع الأرجوزة الأولى. وهي امرأة من شهيرات النساء في العالم الإسلامي، اسمها زبيدة بنت جعفر بن المنصور، وتكنى: أم جعفر، وهي زوجة الخليفة هارون الرشيد، ووالدة الأمين، وكان جدها ثاني الخلفاء العباسيين وهو المنصور، وهو الذي أطلق عليها اسم (زبيدة) الذي عاش معها حتى توفيت في سنة ٨٣١م وكان ابنها الأمين هو الخليفة الذي تولى الخلافة بعد الرشيد إلى أن قتل في قصة مشهورة.

إلى هذه المرأة الكريمة تنسب عين زبيدة في مكة، وقد جلبت إليها الماء من واد قصي يقع في شرقي مكة، وأنشأت أقنية ساعدت على وصول الماء، وصفها أحد المؤرخين بقوله: «أعظم نساء عصرها دينًا وأصلاً وجمالاً وصيانة ومعروفًا» رحمها الله وأجزل لها الثواب.

نقدم بعد ذلك ثلاثاً من القصائد المخصصة للحج هي: قصيدة قالها: محمد ابن اسماعيل الصنعاني الشهير باسم الأمير الصنعاني. وقصيدة الشيخ عبدالله ابن الشيخ حسن الكوهجي، والثالثة هي التي قالها الشيخ عبدالله الخلف الدحيان أحد كبار علماء الدين الكويتيين.

أما القصيدة الأولى فتتحدث عن الحج بصورة عامة وتتناول ما فيه من البركة واليمن دون الحديث عن الطريق إليه وفق ماتحدثنا به قبل ذلك.

والصنعاني صاحب هذه القصيدة هو أحد علماء اليمن، وهو من بيت الإمامة عندهم، له عدد من الكتب النافعة أكثرها مطبوع مثل كتابه الذي نال شهرة كبيرة وهو كتاب سبل السلام، وهو شرح لكتاب «بلوغ المرام من أدلة الأحكام» لابن حجر العسقلاني وقد طبع في عدة طبعات، واستفاد منه طلاب العلم كثيرًا، وله غير هذا اثنا عشر كتابًا منها ديوان شعر مطبوع، وقد توفي الصنعاني في مدينة صنعاء سنة ١٧٦٨م.

من ضمن أعمال الصنعاني كتيب صغير جمع فيه مناسك الحج، وهو دليل قيم للراغب في التوجه إلى أداء فريضة الحج دون أن يكون عارفًا بالمناسك التي يجب عليه أن يؤديها أثناء حجه، وقد طبع هذا الكتيب ضمن مجموع يضم غيره، طبعته قديما دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) بمصر ويتكون هذا المجموع من هذا الذي ذكرناه هنا، وكتيب آخر في مناسك الحج من تأليف ابن تيمية، وهو عالم من علماء الإسلام معروف ومشهور. أما القسم الثالث من المجموع المشار إليه فهو القصيدة التي ذكرناها للصنعاني وهي تتحدث عن ذكرى الحج.

يبدأ القصيدة بأبيات نلاحظ فيها الغزل على طريقة الشعراء الماضين ليتخذ منها مدخلا على ما يريده، فيقول:

**أيَا عذباتِ البان من أيمن الحمى**
**رعا الله عيشًا في رباك قطعناهُ**
**سرقناه من شرخ الشباب وروقِهِ**
**فلما سرقنا الصفو منه سُرقناه**
**وجاءت جيوش البين يقدمها القضا**
**فبدَّد شملاً بالحجاز نظمناه**
**حرام بذي الدنيا دوام اجتماعنا**
**فكم صرمت للشمل حبلاً وصلناه**

ثم يستمر في الحديث عن الأماكن التي أقام بها عند رحلته الى الحج ويأسف لانقضاء تلك الايام الجميلة التي لا يرى العيش الصافي الجميل إلا بها، وإلا في تلك الأماكن التي يصفها:

**فما العيش إلا ما قضينا على الحمى**
**فذاك الذي من عمرنا قد عددناهُ**
**فيا ليتَ عنا اغمض البين طرفهُ**
**ويا ليت وقتا للفراق فقدناه**



وبعد أن انتهى من حديث الأشواق، ألحق كل ذلك بحديث عنوانه «ذكر البيت والطواف» وذلك إذ يقول:

**ففي ربعهم لله بيت مباركٌ**
**إليه قلوب الخلق تهوي وتهواهُ**
**يطوف به الجاني فَيغفَرُ ذنبُهُ**
**ويسقطُ عنه جرمُهُ وخطاياه**

أما الطواف فيقول عنه:

**نطوف كأنا في الجنان نطوفها**
**ولا همَّ لا غمٌّ فذاك نسيناه**

إلى آخر القصيدة التي امتلأت بوصف مشاعر الشاعر تجاه تلك الأماكن الكريمة، وبتشوقه إلى معاودة زيارتها والأنس بالعيش فيها، وهي نموذج من نماذج القصائد التي تحدثت عن الحج دون ذكر منازل الطريق إليه كما سبق ان أوضحناه، وبينا الفرق بينها وتلك التي تصف المنازل التي يمر الحج بها.

بقي أن نقول: إن الصنعاني الذي قرأنا معًا نموذجًا لما قال، له شعر لطيف ورقيق، جيد العبارة، حافظ للغة العالية.

قلنا إن القصيدة الثانية هي التي قالها الشيخ عبدالله ابن الشيخ حسن الكوهجي، وهو أحد علماء بلدة كوهج الواقعة في بر فارس، وكان على صلة قوية بالكويت، يتردد عليها ويلقي فيها بعض الدروس في الدعوة إلى الله، وكان قد مر بنا وهو في طريقه إلى الحج، وذكر ذلك منذ بداية قصيدته التي مطلعها:

**بربِّ الورى خلاقنا الواحد العلي**
**أقول مقالاً منبئًا عن ترحلي**
**تنقلتُ من أرض الكويت لأربعٍ**
**وعشرين من ذي قعدة متفضل**

وتتألف القصيدة من ثمانية وسبعين بيتًا، قالها في اليوم الثالث والعشرين من شهر جمادى الثانية لسنة ١٣٦٩م التي توافق اليوم الحادي عشر من شهر إبريل لسنة ١٩٥٠م. وهي كلها على وزن واحد وقافية واحدة. وفيها تفصيل شديد للرحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، لا يترك شيئًا إلا ذكره حتى أكله للغداء في لحظة استراحة من المسير. وينبغي أن نذكر هنا أن الرجل يغتصب الكلام اغتصابًا، فهو ليس بذلك الشاعر المتمرس في قول الشعر، ولا حتى في أساليب اللغة العربية السليمة، ولكنه مجتهد محب لما هو مقبل عليه من أداء لركن من أركان دينه فهو يعبر التعبير الصادق، وإن خانه هذا التعبير في أحيان كثيرة، ولكننا نأمل له من الله تعالى الأجر الجزيل على نيته الطيبة ومحبته لله ولرسوله وللبيت الحرام، وكل ذلك عبر عنه في هذه القصيدة.

لقد تحدث عن مشاهداته في الطريق وعن البيت الحرام وأدائه للفريضة، ثم عن زيارته لقبر الرسول الكريم في المدينة، وختم القصيدة بالدعاء له ولوالديه ولكل من له انتساب إليه. فما علينا إلا أن نتقبل نيته الصادقة ونتجاوز عن الضعف الواضح في التعبير اللغوي الذي كنا نأمل منه أن يسير به على نهج سليم خلال كتابته لقصيدته.

بعد أن قدمنا هذه النماذج الدالة على مدى اهتمام علماء الدين المسلمين بالتعبير عن مشاعرهم في موسم الحج، وما يصحبه من مظاهر محببة إلى النفوس، جاء دور الحديث عن موضوع عنوان هذا المقال، وهو عن الشيخ عبدالله الخلف الدحيان. وعن قصيدته المطولة التي قالها في طريقه الى الحج.

والشيخ عبدالله من علماء الدين الكويتيين، وهو من القدماء الذين ورد ذكرهم في مختلف مجالات الحياة فهو قاض ومعلم وخطيب ومشارك في الأنشطة المختلفة في البلاد، وهو قبل كل ذلك رجل فقيه ورع، يعد من الصالحين الذين وثق



الناس بهم، فصار مستودع الأسرار، وموضع الفُتيا، يتلقى الناس أحكامه بالقبول ويستمعون إلى نصائحه، ويتبعون ما يشير به عليهم.

ولد الشيخ عبدالله الخلف الدحيان في سنة ١٢٩٢هـ التي توافق سنة ١٨٧٥م، وقرأ القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة على أبيه، ولازم الشيخ محمد بن فارس منذ كان في سنه الثانية عشرة، ورحل في طلب العلم إلى عدة بلدان، وعندما سافر إلى مكة المكرمة بعد ذلك بنية الحج لقي عدداً من علمائها.

كان مشهوداً له بالعلم الغزير والصلاح والوداعة والأخلاق الحميدة والزهد في الدنيا، يستشعر دائماً تقوى الله، ويتحلى بالورع، ولذا فقد كان مسجد البدر الذي يؤم فيه الناس ويخطب فيه خطبة الجمعة يغص بالناس الراغبين في سماع خطبته رغبة في الاستفادة مما يقدمه في هذا اليوم من أحاديث وعظات قيمة، وما يستمعون إليه منه من إرشاد وتوجيه، وبالمثل فإن منزله كان قبلة لطلبة العلم يأتون إليه ويتلقون عنه العلم، ولذا فإننا نجد عدداً كبيراً من علماء الكويت قد تتلمذوا عليه، ونجد عددًا آخر من رجال البلاد كانوا من تلاميذه، ولشدة ورعه فإنه كان يأبى العمل في سلك القضاء، وعندما ألزمه الشيخ أحمد الجابر الصباح بذلك في سنة ١٩٢٩م، باعتبار عدم وجود من هو أجدر بهذا المنصب منه فإنه لم يستمر فيه إلا سنة واحدة لم يأخذ عليها أجرًا، ترك مكتبة كبيرة تحتفظ بها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وألّفَ عددًا من المؤلفات النافعة منها المسائل الفقهية، والفتوحات الربانية، ورسالة في مناسك الحج، وخطب الجمعة والعيدين، وله شعر جيد منه القصيدة الخاصة بالحج التي سوف نتحدث عنها بعد قليل، توفي في سنة ١٣٤٩هـ التي توافق سنة ١٩٣١م، رحمه الله وأحسن مثواه، هذا وقد قام مركز البحوث والدراسات الكويتية بإصدار كتاب عنه تحت عنوان: «علاّمة الكويت، الشيخ عبدالله الخلف الدحيان» ألّفه الأخ الشيخ محمد بن ناصر العجمي،

واستطاع أن يلم فيه بكثير من المعلومات عن هذا الرجل المبارك الذي لا تزال آثاره العلمية موجودة بيننا في الكتب وفي البشر الذين يتناقلون العلم بينهم منذ وفاته إلى اليوم.

كانت رحلة الشيخ عبدالله إلى الحج في سنة ١٣٢٤م التي توافق سنة ١٩٠٦م، وعنها كتب القصيدة التي نوهنا عنها واصفًا الطريق والمشاهدات والأصحاب الذين رافقوه فيها والبلدان التي مر بها ورجال العلم الذين سعد بلقائهم، وكانت عودته من الحج عن طريق مختلف إذ ركب البحر إلى الهند وجاء إلى الكويت عن طريق مسقط، وكان أثر هذه الرحلة بارزًا في المراسلات التي جرت بينه وبين من قابلهم من الفضلاء، فقد استمرت صلته بهم، وصارت المكاتبات تجري بين الطرفين باستمرار.

وكما أشرنا من قبل فإن قصيدته طويلة طبعت مفردة في نحو عشرين صفحة، وكان ذلك منذ زمن مضى، ومطلعها قوله:

لنيلِ العُلا والمجدِ سيرُ الرَّواحلِ
يحثحثها بالجدِّ كلّ خلاحلِ
ويسعى يطوف البيد لا متوانيًا
ويرمي حصى التَّسويف رمي التكاسل

ويتحدث عن الابل في سيرها:

وللبعملاتِ اليومَ يلتذُّ راكبٌ
لقطع الفيافي غير وانٍ وهازلِ
إذا زمزم الحادي ترامت إلى الحمى
ومدت لأعناق وراء الدلائل
عليها من الفتيان كل موحد
تخبُّ به نحو العُلا والفواضل



كانت هذه هي بداية القصيدة التي استطالت بقدر ما كانت الرحلة طويلة، ويبدو أنه كان مستمتعًا بما شاهد، سعيدًا بمن لقي من الرجال، وبمن صاحب في رحلته منهم. ولقد كانت المجموعة التي تحيط به أثناء مسيره من كبار القوم في البلاد، وكانوا سعداء إذ يقودهم إلى المناسك رجل مثله. وهو لم ينس في قصيدته ذكر أولئك الذين أحسنوا صحبته، وهوَّنوا عليه صعوبة الطريق، فمدحهم وذكر مآثرهم، ومن أولئك كان مرزوق الداود البدر الذي تحدث الشيخ عن أفعاله الطيبة:

جزى الله مرزوق الرضى عن فعاله
وأولاه إحسانًا وحُسن الشمائلِ
وفيّ وفَى بالوعد إذ كان أصلُهُ
من البدر داود حميد الخصائل

هذا هو بعض ما قيل في الحج من شعر ولو كان المجال أمامنا واسعًا لقدمنا مزيدًا من النماذج، وَلَكان بالإمكان أن نستشهد بمقاطع كثيرة من قصيدة الشيخ عبدالله الخلف الدحيان التي نأمل من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن تقوم بطبعها محققة حتى يطلع عليها من فاته الحصول على تلك النسخة القديمة التي لم تعد منها في المكتبات نسخة واحدة في هذه الأيام.

****

## ذكريات في كتاب[1]

في السنوات الأولى من خمسينيات القرن الماضي، بدت الحال غير الحال في الكويت، فبعد أزمة انهيار سوق اللؤلؤ وتعرض البلاد لهزة اقتصادية مؤلمة، جاء النفط، وبدأ في التدفق من آبار تبشر بإنتاج غزيز، وأغدقت على الكويت أموالاً تلقتها أرجاء البلاد كما تتلقى الأرض العطشى ماء السماء. سرعان ما بدأ الانفاق في مجالات شتى لكي يكون فيه تعويض عن الفترة الماضية. وتم الاتساع في المدارس والمستوصفات، ورصفت الطرق وتم تنظيمها إلى غير ذلك من الأمور التي لفتت أنظار الناس في الخارج إلى هذه الحياة الجديدة التي بدأت تدب عندنا.

من المعروف أن اكتشاف النفط كان في سنة ١٩٣٨م ولكن تصديره توقف إلى سنة ١٩٤٦م بسبب الحرب العالمية الثانية؛ ولم تكن المبالغ الواردة بسببه إلى ميزانية الدولة كافية لأن التدفق لم يكن بالقوة المطلوبة منذ البداية وهذا أمر معروف في كل مشروع مشابه، ولكن السنوات القليلة التي لحقت غيرت الأوضاع كما قلنا وأصبح في يد الحكومة مال كافٍ للإنفاق على الصورة التي ذكرناها في بداية حديثنا هذا.

ونتيجة اشتهار بلدنا في هذه الفترة، والتفات الكثيرين من الخارج إلى ما تقوم به الكويت من أعمال مهمة في قطاعات مختلفة. تدفق إليها الكثيرون، وكان من هؤلاء عدد من الصحافيين والكتاب الذين وجدوا في الأوضاع الكويتية الجديدة

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/٦/٢٤م.



فرصة للكسب لا ينبغي تضييعها. وما هي إلا بضع سنوات حتى تكونت للكويت بضعة كتب، تمت كتابتها على عجل، فمنها ما تغلب عليه الإعلانات التجارية، ومنها ما يغلب عليه النفاق، ومنها ما يجتمع عدد من منتهزي الفرص هؤلاء لكي يكتبوا كتابًا واحدًا لا تجمعه رابطة وليس له منهج محدد. ولم تستفد البلاد في ذلك الوقت بأي كتاب مما كتبوه، ولكننا اليوم نجد في بعضها ما يثير الذكريات.

من تلك الكتب التي أشرنا إليها كتاب صغير لا تزيد صفحاته على تسع وخمسين صفحة. مكتوب على عجل، يغلب عليه الإعلان التجاري، وفي بعض صفحاته معلومات عن بعض الدوائر الحكومية واضح أنها مستقاة من الجهة الرسمية التي كتبتها وقدمتها مع الصور إلى البرت طانيوس وفؤاد عبده اللذين وضعا اسميهما على الغلاف باعتبارهما مؤلفين له، يضاف إليهما مصور اسمه ميشيل خوري لا نظن أنه صور شيئاً لأن كل الصور الواردة في الكتاب كانت جاهزة عند أصحابها، انتقلت منهم إلى الشخصين اللذين وضعا اسميهما على الغلاف.

اسم الكتاب (الكويت بلد الأحرار..) وهو مطبوع بمطبعة جريدة السفير في الإسكندرية وليس فيه ما يدل على سنة النشر غير أننا نستطيع أن نتوصل إلى معرفة هذه السنة من ثنايا الحديث الذي يدور في الكتاب عن بعض الدوائر، فعلى سبيل المثال نجده يقول عند الحديث عن دائرة الشؤون الاجتماعية: (لقد حققت هذه الدائرة خلال أربع سنوات ما حققته أية دولة في العالم في عشر سنوات) وإذا عرفنا أن هذه الدائرة قد نشأت في سنة ١٩٥٤م علمنا أن تأليف كتاب (الكويت بلد الأحرار..) قد نشر بعد أربع سنوات من تلك السنة أي في سنة ١٩٥٨م.

يبدأ الكتاب مباشرة بصورة بقدر الصفحة كاملة للشيخ عبدالله السالم الصباح أمير البلاد آنذاك، ومن باب التوفير لم يضع المؤلفان غلافاً داخلياً كما هو معتاد في بقية الكتب، وبعد الصورة وقع (البير وفؤاد) تحت مقدمة قصيرة

قالا فيها: (إلى صاحب السمو الأمير عبدالله السالم الصباح حاكم الكويت، نقدم هذا الكتاب في وقت يمر به الكويت بمرحلة التكوين والتقدم، حيث ينظر إليه العالم العربي على أنه بلد عربي كريم، وإذ نحن نضع هذا الكتاب بين يدي القارئ العربي لنبين ما خفي عن هذا البلد الحر الذي يسير في خطوات سريعة نحو التقدم والرقي. وهذا الكتاب يُبيّن حقائق وإحصاءات لما شاهدناه ولمسناه خلال إقامتنا هناك) ويلاحظ القارئ أن المؤلفين قد ذكرا أن الكويت كانت عند تأليف الكتاب في مرحلة التكوين، وهذا خطأ لأن الكويت قد تكوّنت منذ سنة ١٦١٣م، وكان ينبغي لهما أن يكتفيا بالكلمة الثانية فقط وهي (الرقي) كما يلاحظ القارئ بعض الاضطراب في الكلمة بسبب أنهما يحاولان الابتعاد بقدر الإمكان عن الخطأ ولكنهما وقعا فيه، فالمعلومات والإحصاءات حصلا عليها مباشرة من المسؤولين في الدوائر الحكومية. وكلمة هناك تدل على أنهما طبعا الكتاب وأرسلاه من الاسكندرية مع أن المعروف أن كل هؤلاء يجلبون بضاعتهم معهم من أجل تسلم المقابل فوراً فهم في الواقع هنا لا هناك كما في نهاية المقدمة أما الإلحاح على كلمة (بلد كريم) فمغزاه معروف لدى الجميع.

وتحت عنوان (الكويت العربي) تحدث المؤلفان بكلمات قليلة عن مساحة الكويت واسم العاصمة وبعض القرى والجزر، وذكرا أن أهم المدن في ذلك الوقت هي مدينة الأحمدي، وهي ميناء كبير للسفن التي تنقل النفط إلى جميع أنحاء العالم. ثم أوردا أسماء حكام الكويت الماضين أمام كل منهم السنوات التي تولى حكم البلاد خلالها. كل ذلك في صفحة واحدة من صفحات الكتاب، وقد أخطأ المؤلفان حين ذكرا أن مساحة الكويت هي ستة آلاف ميل مربع بينما هي سبعة آلاف.

تحت عنوان (دوائر الأمن العام) جاء أول مبحث من مباحث الكتاب بعد ما سبق. وفيه أن الأمن العام ينقسم إلى عدة مديريات وأقسام يجري العمل فيها بكل



دقة وسرعة انتباه ولدى هذه المديريات من الاستعدادات والمعدات الضرورية ما يكفل الطمأنينة، ويجلب الهدوء إلى النفوس.

وكما قالا فإن رئيس هذا الجهاز - آنذاك - هو الشيخ عبدالله المبارك الصباح، وينوب عنه الشيخ مبارك العبدالله الأحمد الصباح وقد نسيا دور الشيخ عبدالله الأحمد الجابر الصباح في المسؤولية عن هذا العمل الذي توفي في السنة السابقة لتأليف كتابهما.

لفت النظر في ذلك الموقع مديره، وقد ذكر المؤلفان عنه - نصًا - ما يلي:

(ويديرها شاب في مقتبل العمر مثال الدأب والنشاط والحزم، يتمتع بذكاء خارق نادر، يصرف أمور هذه الدائرة الجبارة الحساسة بدقة فائقة، ويقظة وهدوء عجيبين، إضافة إلى ذلك فهو عذب الحديث، حلو النكتة، يتقن عدة لغات شرقية وغربية، ويندر أن ترى أحدًا لا يعرف (المقدم) عبداللطيف الثويني).

والأخ الكريم اللواء عبداللطيف الثويني يستحق هذا الاطراء، وقد صار بعد هذه الفترة التي طبع فيها الكتاب الذي نتحدث عنه وكيلاً لوزارة الداخلية، وخدم البلاد وأهلها من خلال مركزه هذا أجل الخدمات، ولا يزال الناس يتذكرونه بكل خير، ويشكرون له ما قدم.

بعد ذلك جاء دور التفصيل، وتبين منه أن دائرة الأمن العام كانت في ذلك الوقت تنقسم إلى عدة أقسام منها التحقيق الجنائي والتحقيق المدني، وقسم المباحث وتحقيق الشخصية، وهكذا....

وكان للجيش الذي كان ناشئًا آنذاك مجال من الحديث ولكنه مجال ضيق تناول الحديث عن هذا المرفق باختصار شديد.

وبعد أن قدما عددًا من الصور لدائرة الأمن العام وأنشطتها وبعض رجالها. جاء دور الحديث عن دائرة الشرطة العامة. وكانت هذه الدائرة قد دخلت في طور جديد منذ تولى رئاستها سمو الشيخ صباح السالم منذ سنة ١٩٣٨م، ثم صار سمو الشيخ سعد العبدالله السالم نائبًا له. لقد كانت هذه الدائرة من الدوائر النشطة في البلاد يعتمد عليها كثيرًا في حماية الأمن ورعاية المواطنين وقد تحدث مؤلفا الكتاب عن دائرة الشرطة العامة كثيرًا، وذكرا أقسامها المتعددة، وأسماء عدد من العاملين بها، وكان منهم نوري عبدالسلام شعيب الذي كان مسؤولاً عن القسم الفني الذي يشمل تحقيق الشخصية والبصمات والتصوير الجنائي، وكان مديرها نوري قد تلقى تعليمًا جيدًا في بريطانيا أهَّله للقيام بهذه المهمة.

وأورد الكتاب اسمًا آخر له دوره الكبير في تلك الدائرة آنذاك ثم تدرج في وظائف عليا كثيرة بعدها ذلك هو الأخ العزيز عبدالرحمن العتيقي الذي انتقل من هذا العمل إلى دائرة الصحة ليكون مديرًا لها، وكان قد صار مديرًا لدائرة الشرطة العامة في سنة ١٩٥٩م. أما دوره بعد الاستقلال فقد مثل الكويت لدى الأمم المتحدة ومثلها في تأسيس منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط. وصار وكيلاً لوزارة الخارجية في اليوم الحادي والعشرين من شهر فبراير لسنة ١٩٦٣م. ثم صار وزيرًا للنفط في سنة ١٩٦٧م ووزيرًا للمالية في سنة ١٩٧١م ثم صار مستشارًا لسمو الأمير منذ سنة ١٩٨١م.

ومن المفيد أن نذكر أن أبا أنور كان سكرتيرًا لدائرة الشرطة العامة حين صدر الكتاب الذي نتحدث عنه، ثم صار مديرًا لها فيما بعد. وفي ختام الموضوع الوارد عن دائرة الشرطة ألحقت إحصائية جاء فيها: إن عدد السيارات في سنة ١٩٥٦م بلغ ١١٦٥٦ سيارة، وفي سنة ١٩٥٧م ارتفع العدد إلى ٢٢٤٥٣ سيارة، ولا تدخل ضمن هذا العدد سيارات الجيش والشرطة وأفراد الأسرة الحاكمة.



انتقل الكتاب بعد ذلك إلى دائرة المعارف (التربية حاليًا)، فقال: (دائرة المعارف، ويرأسها الشيخ عبدالله الجابر الصباح، وهو من الذين يشجعون العلم والأدب، وله الفضل الأكبر في نهضة الكويت العلمية والأدبية).

ثم جرى الحديث عن مجانية التعليم وكل ما يتعلق به من كتب وملابس، وذكر المطبخ المركزي الذي يوزع الوجبات الضرورية على المدارس، ورياض الأطفال التي هي من مفاخر الكويت إلى يومنا هذا. وكذلك البعثات الدراسية إلى الخارج وجاء فيه أن عدد المدارس في ذلك الوقت حوالي خمسين مدرسة منها عشرون مدرسة للبنات. وأشار إلى نية حكومة الكويت القوية في إنشاء جامعة تقدم التعليم الراقي لأبناء البلاد.

أما دائرة الشؤون الاجتماعية التي كانت - في ذلك الوقت - برئاسة سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح؛ فقد كانت من أحدث الدوائر الحكومية، ولكنها كانت دائرة نشيطة منتجة بفضل رئيسها ومديرها الأستاذ حمد الرجيب.

كانت الدائرة تتكون من عدة أقسام هي: قسم العمل، وقسم الخدمات الاجتماعية، وقسم الإرشاد الاجتماعي، والمكتب الفني، وشؤون الموظفين، وتعنى دائرة الشؤون الاجتماعية برعاية المحتاجين فتقدم لهم المساعدات المادية، كما تعنى بشؤون العمال من كويتيين وغيرهم. ومن الجدير بالذكر أن أعمال هذه الدائرة قد اتسعت فيما بعد، وضمت إليها النشاط الرياضي والإشراف على الجمعيات ذات النفع العام، والجمعيات التعاونية.

وفي أثناء فترة تأليف هذا الكتاب كانت هذه الدائرة النشطة تعنى بمراقبة الأفلام السينمائية، وتنتج بعض الأشرطة الإعلامية والتثقيفية، وتشرف على المسارح وأورد الكتاب بعد ذلك صفحتين عن الغوص الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة في ذلك الوقت بل ربما كان لفظها نهائيًّا.

انتقل المؤلفان بعد ذلك إلى الحديث عن دائرة الصحة العامة، فتحدثا عن اهتمام الكويت بصحة المواطنين، وعن تهيئتها لكل الوسائل المساعدة على رعاية كل محتاج إلى العلاج. وذلك عن طريق إنشاء المستوصفات، وبثها في كل موقع بالبلاد، والاهتمام بالمستشفى الأميري الذي هو من أوائل المستشفيات الحكومية الكويتية.

كان رئيس دائرة الصحة العامة في ذلك الوقت هو الشيخ فهد السالم الصباح وكان في ذلك الوقت - أيضًا - رئيس دائرة الأشغال العامة. وقد أثنى المؤلفان عليه كثيرًا.

وكان مدير الدائرة هو السيد علي الداود، وكان نعم العون لرئيسها الذي لم يدخر وسعًا في سبيل العمل على أداء رسالة الصحة، ونشر الرحمة والشفاء بين المرضى الذين يقبلون على مراكز العلاج التابعة لدائرة الصحة العامة.

وعلى الرغم من أن هذا النوع من النشاط الحكومي كان في بداياته، ولم يكن التوسع كبيرًا لا في عدد مراكزه الطبية ولا في عدد المحتاجين إليه من المرضى إلا أن الجهاز المشرف على دائرة الصحة العامة كان يتطلع إلى المستقبل، ويهيئ السبل لاستيعاب الأعداد التي سوف تتوافد على مراكزه فيما بعد، وذلك عن طريق تقسيم العمل في الدائرة إلى أقسام منها: الصحة الوقائية، والصحة المدرسية، وشعبة مكافحة السل وغيرها من الأقسام. وقد ذكر المؤلفان أن أمين قسم الطب الوقائي هو المرحوم حمد بن صالح الرومي، وأن أمين شعبة الصحة المدرسية كان السيد مساعد بورسلي.

ويبدو أنهما كانا ينويان نشر شيء عن دائرة الأوقاف العامة، ولكن المعلومات المطلوبة لم تتهيأ لهما، ولذا فقد اكتفيا بوضع صورة تمثل مبنى هذه الدائرة ومثل هذا حدث مع دائرة العدل، فقد وضع المؤلفان صورة لمبناها دون أن يتحدثا عنها. أما بقية الكتاب فقد كان عن بعض الشخصيات الكويتية، وكان عدد الذين تحدث عنهم



قليلاً جدًّا مع أن الأمر يقتضي الكتابة عن أكبر عدد من رجال ذلك الزمان، مادام لديهما الرغبة في كتابة شيء من هذا القبيل. لكنهما تحدثا عن عبدالله عبداللطيف العثمان في أكثر من صفحتين، ثم أوردا صوراً وأسماء ثلاثة أشخاص هم: الأستاذ عبدالعزيز محمد جعفر، وعبدالمطلب سيد رجب الرفاعي، وخالد خلف.

يستطيع قارئ كتاب (الكويت بلد الأحرار..) أن يجد عددًا لا بأس به من الإعلانات، كلها تدل على النشاط التجاري الذي كان سائدًا آنذاك. ومن تلك الإعلانات ما هو عن سلع قد توقف إنتاجها أو استيرادها منها إعلان عن مكتبة بورسعيد، وكان مقرها في شارع فهد السالم (كان اسمه آنذاك: شارع الجهراء) كما في صيغة الإعلان. وإعلان عن مسحوق صابون مستورد اسمه: سبل وكيله حمزة عباس وإخوانه. وإعلان عن مشروب الصباح وهو من إنتاج شركة الصباح لتعبئة القوارير والتبريد، وكان صاحبها الشيخ دعيج السلمان الصباح. وهناك إعلان عن مشروب غازي اسمه: كامافروت، يملك مصانع تعبئته: على أكبر عبدالله بستيكي. وفي الكتاب - أيضًا - إعلان يحث على استعمال زيت للسيارات اسمه: أبو الشجرة الأصلي، وكيله عبدالرحمن يوسف العيسى. أما الإعلان الأخير فهو عن دهانات وكيلها السيد رجب الرفاعي، وكان مقره في الشارع الجديد (شارع عبدالله السالم) ورقم هاتف المكتب ٣٠٣٢ فقط.

هذا بالاضافة إلى إعلانات أخرى متنوعة لا مجال لذكرها كلها، وسوف نضع بعض صور الإعلانات التي نعتبرها نوعًا من التذكير بالأسواق الكويتية القديمة.

وهذا هو الحديث عن الكتاب ولكننا سوف نقدم معه إضافة يجدها القارئ في ملحاق خير، إتمامًا للحديث الذي بدأناه في أول مقالنا هذا.

****

# ملحاق خير

هذه نبذة قصيرة عن بعض الكتب التي أشرت في بداية المقال إلى أنها صدرت في الفترة التي حددتها هناك، وقد اخترت سبعة كتب لكي أعرضها عرضاً سريعاً، وهي:

١ - كتاب: (معلومات ومشاهدات عن الكويت الحديثة) وقد جمع هذه المعلومات والمشاهدات وفد صحفي لبناني مكون من فاضل سعيد عقل، ومصطفى خرسا، وأوجين أبيلا، وهو مكون من ٩٦ صفحة ثمنها خمسون ربية، وهو في تقديري لا يستحق في ذلك الوقت أكثر من ربيتين (مائة وخمسين فلسًا بصرف اليوم) ولكن السعر المكتوب على الغلاف يمثل أكبر دليل على ما سبق لنا ذكره من أن القصد الذي دفع هؤلاء وأمثالهم إلى التأليف هو الرغبة في الحصول على المال من حكومة الكويت، لأنهم يعرفون أنه لا يمكن لأحد من الناس أن يشتري كتابهم بهذا الثمن.

٢ - كتاب: (الكويت المدينة الفاضلة أو سويسرا الشرق) والمبالغة الطافحة التي نراها في عنوان الكتاب تدلنا على ما أشرنا إليه من قبل. ألف الكتاب عبدالكريم محمد والواقع أنه مجرد تجميع من مجلة البعثة وغيرها، يقع في ٢٨٠ صفحة وهو غير مؤرخ، وليس على غلافه ثمن فالأمر متروك لحسن استقبال حكومتنا له.



٣ - كتاب: (الكويت الحديثة) تأليف محمود قلعة جي، صدر في سنة ١٩٥٥م، فيه معلومات وصور، وإعلانات كثيرة، وقد حرص المؤلف على وضع صور لأشخاص مع ذكر أسمائهم وذلك رغبة في التوزيع على أكبر عدد ممكن، ولكن الكتاب على كل حال أفضل من غيره.

٤ - كتاب: (الكويت بين الأمس واليوم) تأليف شريف شرف الدين، نشره في سنة ١٩٥٩م ببيروت وهو كسابقه.

٥ - كتاب: (الكويت بأقلام نخبة من كتاب العرب)، وهو كتاب يضم عدداً من المقالات المتعلقة بالكويت كتبها عدد من الكتاب العرب من مختلف دول الوطن العربي، واهتم بجمعها في هذا الكتاب الأستاذ قدري قلعجي وكنت قد زاملته في وزارة الإرشاد والأنباء حين كنا نعمل فيها معاً، ثم افتتح داراً للنشر في بيروت اسمها (دار الكتاب العربي).

وهذا الكتاب على الرغم من أنه تجميع لمقالات إلا أنه جاء أفضل الجميع بالمقدمة الضافية التي كتبها الأستاذ قدري تحت عنوان (تحية إلى الكويت... دولة عربية مثلى) وبما اختاره من مقالات رصينة، ولخلوه من الإعلانات التي تعودنا على مشاهدتها في الكتب التي تحدثنا عنها آنفاً.

هذا وليس في الكتاب ما يدل على تاريخ نشره مباشرة ولكن بعض المعلومات في المقدمة تدل على أنه صدر بعد انضمام الكويت إلى هيئة الأمم المتحدة، وقد كان انضمامها في اليوم الخامس عشر من شهر مايو لسنة ١٩٦٣م.

٦ - كتاب: (كويت وكويتيون، دراسات في ماضي الكويت وحاضرها) كتبه راسم رشدي مندوب وكالة الصحافة الأمريكية المتحدة (يونايتد برس) في الكويت سابقاً. والكتاب من الناحية الفنية جيد، ولا يحتوي على إعلانات تجارية وهو في

مائة وإحدى وثلاثين صفحة. أما من ناحية المعلومات فلا أستطيع هنا أن أقدم تعليقاً عليها لأنني لم أتمكن بعد من قراءته القراءة المتأنية التي يفتش المرء فيها عن الملاحظات.

٧ - كتاب: (الكويت المستقلة، الدولة العربية الناشئة) من تأليف محمود قلعة جي. وهو الكتاب الثاني لهذا المؤلف عن الكويت. وليس فيه حس فني إذ هو عبارة عن تجميع أقوال ومقالات وبرقيات وصور ورصفها مع بعضها دون أن يكلف المؤلف نفسه صياغتها صياغة تعطيها قوة التوثيق أو تجعل قارئها قادراً على الاحتجاج بها.

هذه هي النبذة التي أردت تقديمها بصفتها نموذجاً للكتب التي صدرت في الفترة التي ذكرتها، ولكنها ليست كل ما صدر من نوعها، إلا أنني اكتفيت بهذه الكتب السبعة حتى لا أطيل على القارئ.

****



## ... يا زمان الوصل بالأندلس..[1]

## الدكتور حسين مؤنس في الكويت

فجأة، وجدت نفسي أترنم بهذا الموشح الأندلسي الجميل، وأردد ألفاظه، وأتمثل معانيه، هذا الموشح من شعر لسان الدين محمد بن الخطيب المتوفى سنة ١٣٧٤م، وكان وزيرًا في بلاده الأندلس وفي مطلع الموشح:

جادك الغيث إذا الغيث همَى
يا زمان الوصل بالأندلسِ
لم يكن وصلك الا حُلمًا
في الكرى، أو خلسةَ المختلس

وقد ذكرنى هذا الموشح بجلسة لطيفة جمعت في منزلي عددًا من العلماء والأدباء في أمسية جميلة تبادلنا خلالها أطراف الحديث، وتشعب بنا هذا إلى مجالات عدة.

كان من ضيوفنا في تلك الليلة الأستاذ الدكتور حسين مؤنس الذي يتولى التدريس بجامعة الكويت في ذلك الوقت، وهو أديب عالم يكتب مادته بأساليب متعددة كان منها الرواية التاريخية التي أبدع فيها وأجاد. وهو ذو أسلوب طيع رقيق يستمتع المرء بالإبحار معه في كل ما يكتب، فما بالك إذا تحدث؟

كان الدكتور مؤنس في تلك الأيام التي لا تنسى محط الأنظار، وكان الجميع يتوقون إلى سماع حديثه الطلي وقد حقق أمالنا حين كان حديثه عن الأندلس التي

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/٧/١م.

قضى على أرضها فترة من الزمن فعلاً وخيالاً لأنه عمل هناك لعدة سنوات، ولأنه قرأ كتب الأندلسيين وعرف أحوالهم، فكان وهو يحدثنا يترسل بالحديث لا يتوقف فيه لحظة، وكأنه يعايش أولئك القوم فهو يذكر الأسماء البشرية والأسماء المكانية، وفترات الحروب والاختلافات منذ قيام دولة العرب هناك إلى زمن انهيارها.

استمعنا منه في تلك الليلة إلى كثير من أخبار الأندلس وعرفنا أوضاعها وكأنها لاتزال ماثلة بين أعيننا إذ كان خبيرًا برجالها ومدنها وطرقها وأنهارها وكنا ونحن نستمع نظنه رجلاً قد قفز لتوه من أحد كتب التاريخ الموسوعية التي لا تترك شيئًا إلا ذكرته ذلك لأنه كان يتمتع بعلم وافر واطلاع واسع، وكان فوق ذلك كله محبًّا للأندلس التي عاش فيها وجال في أنحائها بعد أن قرأ كل شيء عنها. وكأن الفترة التي قضاها هناك قد نقلته من عصره الذي يعيش فيه بيننا إلى عصر قديم بائد إلا من بعض أطلال، وعدد من الكتب. وهو عندما عاد من الأندلس ظلت تلك الأيام في ذاكرته فهو يعيشها على الرغم من انتهاء مهمته في تلك البلاد وتنقله من عمل إلى عمل ومن بلد إلى آخر.

ذلك هو الأستاذ الدكتور حسين مؤنس الذي آنسنا بحديثه، وفتح لنا صفحة من صفحات التاريخ لا نستطيع أن نلم بما فيها لولا وجود شخص متمكن مثله يلقي علينا ما فيها من معارف بأسلوبه الجميل وبمشاعره الفياضة التي تثيرها ذكريات عصر الأندلس الغابر.

ولد الأديب المؤرخ الأستاذ الدكتور حسين مؤنس في مدينة السويس المصرية في اليوم الثامن والعشرين من شهر أغسطس لسنة ١٩١١م، وقد تعهدته أسرته الكريمة بالرعاية والتربية السليمة ووجهته إلى الدراسة، وبفضل هذا كان محبًّا للعلم تواقًا إلى التقدم وإحراز الصدارة فيه بين أقرانه كان في السنة التاسعة عشرة من عمره حين نال شهادة الدراسة الثانوية، ومن ثم اتجه إلى الالتحاق



بالجامعة، والدراسة في كلية الآداب بها، وكانت هذه الكلية - يومذاك - تضم خيرة رجال الفكر والأدب في مصر. التحق بقسم التاريخ بهذه الكلية وسرعان ما برز بين الطلاب النابهين مما لفت إليه أنظار أساتذته، وتخرج متفوقاً في سنة ١٩٣٤م، وبعد التخرج عمل في عدة مجالات آخرها التأليف حيث صدر له كتاب: (الشرق الإسلامي في العصر الحديث) ولم يتمكن من العمل في الكلية لأنها لم تكن قد أخذت بعد بنظام المعيدين، ولكنه حصل منها على درجة الماجستير برسالة موضوعها : فتح العرب للمغرب، وذلك في سنة ١٩٣٧م.

عين الدكتور حسين مؤنس بعد ذلك بالجامعة وتم اختياره مبعوثًا للدراسة في فرنسا لاستكمال دراسته بالحصول على شهادة الدكتوراه، والتحق بجامعة باريس حيث حصل منها على عدة دبلومات، ولكنه اضطر بسبب الحرب العالمية الثانية إلى الانتقال إلى سويسرا ومن جامعة زيوريخ حصل على الشهادة المطلوبة وذلك في سنة ١٩٤٣م.

وقد اضطر بسبب الحرب إلى البقاء حيث هو وعمل مدرسًا في جامعته السويسرية بمعهد الأبحاث التابع لها. ولم يعد إلى وطنه إلا في سنة ١٩٤٥م حين انتهت الحرب.

صار بعد ذلك مدرسًا في جامعة القاهرة، ومنتدبًا لوزارة التربية في سنة ١٩٥٥م حيث تولى إدارة الثقافة بهذه الوزارة، ومن هنا سارع إلى القيام بعمل عظيم لا نزال نذكره وهو «مشروع الألف كتاب» وقد ترجم من خلال هذا المشروع ألف كتاب أجنبي، ونشرت هذه الكتب وبيعت بأسعار زهيدة استطاع كل طالب علم أن يقتني منها ما يشاء.

أما ما يتعلق بصلاته مع الأندلس فقد كان ذلك حين انتدب لإدارة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد فأمضى سنة ١٩٥٤م هناك واستطاع أن يعمل في خلال هذه السنة أعمالاً جليلة رفعت من قيمة المركز وجعلته في المقدمة.

في سنة ١٩٥٨م كان الدكتور حسين مؤنس في أسبانيا مرة أخرى، ليتولى إدارة المعهد الذي كان مديرًا له من قبل وبقي هناك حتى سنة ١٩٦٩م وفيها تقاعد عن الوظيفة الحكومية وقد وصفت هذه الفترة بأنها: (تعد من أزهى عصور المعهد المصري هناك، فقد أصبح ملتقى للمستشرقين وأساتذة الجامعة المهتمين بتاريخ المسلمين في الأندلس، وأقبل عدد كبير من الطلاب على دروس اللغة العربية التي ينظمها، وتردد الجمهور على المحاضرات والندوات التي تعقد، وصارت مجلة المعهد معرضًا لما حفلت به من أبحاث عميقة حول التاريخ والحضارة في الأندلس، ونشطت مطبوعات المعهد سواء ما كان فيها بالعربية أو الأسبانية، وكان يقف وراء هذا النشاط حسين مؤنس).

ولقد كانت هذه الفترة من أهم فترات حياة صاحبنا وأصعبها فقد أنتج الكثير من الكتب ودبج الكثير من المقالات، واستطاع أن يستوعب استيعابًا كاملاً تاريخ الأندلس وأنماط الحياة فيه حتى صار كأنه يعيش في تلك الفترة من الزمان.

جاء الآن دور الحديث عن الدكتور حسين مؤنس في الكويت، التي جاءها ليعمل في جامعتها لمدة ثماني سنوات كان خلالها مثالاً للنشاط في مقاعد الدرس وفي المجتمع تولى تدريس مادته وهي التاريخ بكلية الآداب، ثم صار رئيسًا لقسم التاريخ في الكلية ذاتها، ونشط نشاطًا علميًّا لا نظير له، ألّف الكتب وألقى المحاضرات، وكتب مقالات كثيرة في الصحف منها عمود يومي كان يكتبه في جريدة القبس تحت عنوان: (كلمة طيبة) يتناول فيه الأفكار التي يريد أن يعبر عنها والأحاسيس التي تشغل باله.

وفي الكويت كانت لي معه لقاءات كثيرة غير التي أشرت إليها في صدر هذا المقال، وكانت جلساته ممتعة مليئة بالمعلومات المفيدة، والأفكار التي لا غنى عن الانتباه إليها لأنها كانت تصدر عن رجل مجرب محنك عالم غزير العلم.



ولقد شارك في أعمال خارج جامعة الكويت منها عضويته في عدد من اللجان الفنية وبخاصة تلك اللجان التي كانت وزارة التربية تنشئها من أجل مراجعة المناهج بين فترة وأخرى، وكذلك شارك في تأليف بعض الكتب لهذه الوزارة. وقام بتأليف كتابين نشرهما المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت وهما:

١ - كتاب (الحضارة) الذي صدر في شهر يناير لسنة ١٩٧٨م، ضمن سلسلة (عالم المعرفة) وهو كتاب يضم دراسة في أصول وعوامل قيام الحضارة وتدهورها، وهو مكون من ستة فصول تحتويها ثلاثمائة وثلاث وتسعون صفحة.

٢ - كتاب المساجد، وقد صدر عن السلسلة ذاتها في شهر يناير لسنة ١٩٨١م، وهو كتاب علمي تاريخي مفيد، وقد طلب مني أن أفاتح وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بشأن طبعه أسوة بالمطبوعات التي يقومون بطبعها إلا أنهم رفضوا ذلك لأن الرجل لا ينتمي إلى الحزب الذي ينتمون اليه، وكان مسيطراً على الوزارة المذكورة آنذاك، وقد تكرر هذا الموقف مع عدد من الرجال الذين انقلب بعضهم علينا وصار عدواً بعد أن كان صديقاً، ومع ذلك فقد عصم الله الدكتور حسين مؤنس عن أن يتحول عن محبته للكويت وشاء الله أن يقوم المجلس الوطني في الكويت بطبع كتابه القيم.

كانت حياة صاحبنا عريضة من حيث حركته ونشاطه وتأليفه ومشاركته في الأعمال العلمية المختلفة، وكان يكتب في موضوعات مختلفة تعينه على الكتابة بها قراءاته الموسوعية ومتابعاته الدائمة لتطور الحياة في أي مكان يعيش فيه. ولذا جاء إنتاجه غزيراً ومتنوعاً يلفت إليه الأنظار، يضاف إليه أسلوب بديع آسر، وتقريب للمعلومات لا يقدر عليها إلا المتمكن منها، ألم نقل أنه حين يتحدث عن الأندلس فكأنه قد خرج توًّا من أحد كتب التاريخ.

وقد كان هذا الأسلوب الرقيق السهل الممتنع سبباً من أسباب كتابته للصحافة، فقد ذكرنا أنه يكتب لصحافة الكويت، ولقد كان يكتب لجريدة الأهرام المصرية الذائعة الصيت، وكان في أربعينيات القرن الماضي يكتب في مجلة الإثنين، ثم تولى قبل نهاية القرن العشرين بقليل رئاسة مجلة (الهلال). وقد نهضت هذه المجلة في الوقت الذي كان يرأس تحريرها فيه، وأكسبها بخبرته وعلمه واتصالاته الواسعة مقدرة جديدة على المنافسة، وأعادها إلى واجهة المجلات الثقافية الكبرى في الوطن العربي.

وإذا كان اهتمامه في الأساس بالتاريخ باعتباره تخصصه العلمي فإنه أنتج فيه الكثير يقول الأستاذ أحمد تمام في مقال كتبه عنه بمناسبة ذكرى وفاته: (في ميدان الكتابة التاريخية ألف كتابه الجامع فجر الأندلس، وهو حجة في موضوعه، استقصى فيه الفترة المبكرة من تاريخ الأندلس في عمق ودقة، وكتاب تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح الاسلامي إلى بداية الاحتلال الفرنسي، في مجلدين كبيرين، ومعالم تاريخ المغرب والأندلس، وتاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ورحلة الأندلس) ثم يضيف: (ولم يكن حسين مؤنس مؤرخًا فذًّا فحسب بل كان أديبًا موهوبًا، صاحب بيان وأسلوب، ولو تفرغ للأدب لكان له شأن كبير، وما تركه من إبداع في ميدان الكتابة الأدبية شاهد على ملكاته الأدبية في الرواية والقصة القصيرة والأدب المسرحي، فمن أعماله القصصية (إدارة عموم الزير) وهي تدور حول البيروقراطية المصرية، وقد بلغ من شهرة هذه القصة أن سارت مثلا سائرًا بين الناس. و(أهلا وسهلا) و(الجارية والشاعر) وحكايات (خير ستان) وهكذا ...).

وبالإضافة إلى ذلك فإن للدكتور مؤنس ترجمات كثيرة قام بها مع تنوع في موضوعاتها، وكان يجيد إلى جانب لغته الأم عدة لغات فترجم من الكتب الصادرة



بهذه اللغات عددًا من أبرز ما قدمه علماؤها وكتابها، وترجم نصوصًا أدبية منها مسرحية «الزفاف الدامي» للوركا ومسرحية (ثم غاب القمر) لجون شتاينبيك، وغيرها.

وكان لكل ذلك موضع تقدير وإجلال الهيئات العلمية التي كانت تدعوه للمساهمة في إلقاء المحاضرات على أساتذتها وطلابها فكان أستاذًا زائرًا في جامعات الرباط، ولندن، ودرهام، واندرو، وكمبرج، وأدنبره، وهامبورج، وبون.

وتم اختياره عضوًا في عدد من المجامع العلمية منها الجمعية المصرية التاريخية، والمجمع العلمي المصري، والمجلس الأعلى للفنون والآداب، والمجالس القومية المتخصصة في مصر، وانتخب عضوًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ سنة ١٩٨٥م إضافة إلى حصوله على عدد من الجوائز والأوسمة من مختلف البلدان التي زارها وعمل بها.

في رحلة الدكتور مؤنس الثانية إلى أسبانيا حيث مكث بها مديرًا للمعهد المصري حتى سنة ١٩٦٩م كما أشرنا فيما سبق كان يساعده في إدارة المعهد رجل من علماء الأمة الكبار هو الدكتور محمود علي مكي الذي يعد في وقتنا الحاضر من أبرز العلماء في مادة الأندلسيات، فقد كان هذا الرجل وكيلاً للمعهد المذكور وكان - وقتذاك - اليد اليمنى لصاحبنا والحق أن وجود هذين الرجلين على قمة المعهد كان له الأثر الكبير في نجاح العمل وتطويره.

كان الدكتور مكي من الطلاب الدارسين في الجامعة المصرية حين كان الدكتور مؤنس مدرسًا بها، وكان التلميذ معجبًا بأستاذه أيما إعجاب يحضر دروسه دون انقطاع ويتابع أنشطته الخارجية كثيرًا ويقرأ الكتب التي يؤلفها، وكان من الصدف أن التقى الأستاذ بتلميذه في مقر عمل واحد وهو المعهد المصري القائم في مدريد بأرض الأندلس التي أحبها الرجلان وأمضيا فيها زمنًا،

يقول الدكتور مكي: (كنا نعمل في المعهد صباحاً ومساء، لا ننقطع عنه إلا نحو ساعتين في وسط النهار، كانت المجلة معرضًا لما خصت به من أبحاث علمية».

ثم تحدث مكي عن عمل حسين مؤنس في الكويت، وذكر نشاطه الكبير في مجال التدريس والمحاضرات والتأليف وفي مجال الكتابة الصحفية مما أشرنا اليه من قبل، فقد أتاحت إقامته في الكويت الفرصة له ليعاود كافة أعماله البحثية والأدبية التي كان قد انغمس بها ثم توقف في الفترة التي أعقبت عودته من مدريد، وكانت فترة راحة له بعد عناء العمل الطويل. وقد أحسنت جامعة الكويت حين دعته إلى الانضمام اليها، فقد كان ذلك مكسبًا لها ومكسبًا للعلم والأدب لما أنجز خلال سنوات مكثه في الكويت من أعمال جليلة.

لقد ورد ما ذكرناه عن الأستاذ محمود مكي في كلمته التي ألقاها في احتفال مجمع اللغة العربية بمصر لتأبين الدكتور مؤنس في اليوم التاسع والعشرين من شهر مايو لسنة ١٩٩٦م، وقد قال في ختامها: (رحم الله هذا القلم الذي لم يخلد إلى الراحة، والذي كان غذاء روحياً وعقلياً ممتعًا لجمهور عريض من القراء على مدى أكثر من نصف قرن).

لقد كان حسين مؤنس بجهوده الكثيرة المتشعبة أمة وحده كما قال الدكتور مكي.

****



## ملحاق خير (١)

أهدى إليّ الأخ الكريم الدكتور عبدالرؤوف بن محمد الكمالي، كتاباً أشرف على إعداده والعناية بنشره، هو كتاب «بغية الواعظين ومنار المتعظين» وفيه شرح لأركان الإسلام من تأليف عمه الشيخ عبدالرحمن بن أحمد الكمالي.

كانت عناية الدكتور عبدالرؤوف بالكتاب كبيرة من نواح عدة منها حسن الطبع والتنسيق، وجمال الخط، ورونق الورق، ومنها أنه وضع على الغلاف الأخير صورة جميلة تمثل شجرة النسب المحمدي الشريف، وهي من رسم مؤلف الكتاب، وجمالها الأخّاذ يدل على ما يتمتع به الشيخ عبدالرحمن الكمالي من ذوق رفيع، وصبر على العمل، وذلك ما مكّنه من إنجاز هذه اللوحة الرائعة.

وأضاف الدكتور عبدالرؤوف إلى ذلك ما أسماه: كلمات مضيئات عن الشيخ عبدالرحمن الكمالي رحمه الله في عيون أصحابه ومحبيه، وقد جمع عدداً كبيراً من الكلمات التي قيلت في الشيخ عبدالرحمن، وفي مؤلفاته، وقد أسعدني أن أجد نفسي واحداً من هؤلاء الذين ذكروه وقدروا علمه وفضله، ومحبته للناس، وحرصه على الاتصال الدائم مع الجميع، وهذه بعض العبارات التي وردت فيما كتبت في صدر الكتاب الذي نوهت به في بداية «ملحاق خير» هذا. وهي عبارات لابد من ذكرها هنا للتعريف بالشيخ الكريم رحمه الله تعالى:

تعود معرفتي بهذا الرجل الكريم إلى بداية الخمسينيات من القرن الماضي، كان قد بدأ العمل حديثًا بصفته إمامًا وخطيباً في مسجد «الجهراء القديم»، وكنت يومها في زيارة لأقاربي هناك، فصليت الجمعة في ذلك المسجد، واستمعت إلى خطبته التي كانت مليئة بالمواعظ ولكنها خالية من الزيادات بحيث لا يمل المصلون ولا يتذمرون. وحرصت من أول صلاة على أن أتحدث معه وأتعرف عليه، وكان ذلك كما أردت، وأكثر من هذا أن ذلك التعارف أدى إلى صلة ثابتة استمرت حتى وفاته رحمه الله.

لا أزال أذكر تلك الزيارات الليلية والصباحية التي كنت أقوم بها بمعية الأخ الشيخ أحمد غنام الرشيد رحمه الله فنمضي وقتاً سعيداً مع الشيخ عبدالرحمن وأخيه الشيخ محمد رحمهما الله، وكذلك بقية الإخوة والأقارب الذين كان الشيخ الكمالي يضمهم إلى صدره، ويغدق عليهم من حنانه وعطفه، وكنا نمضي أوقاتًا سعيدة مع كل هؤلاء ونعود بعد ذلك إلى (الكويت)، ونحن نمني أنفسنا برحلات قادمة نلتقي خلالها بهذه المجموعة الكريمة، ولقد استمرت هذه العلاقة وهذه الزيارات أمداً طويلاً، ولا نزال إلى اليوم نسعد بلقاء الأولاد الذين صاروا رجالاً وعلماء بفضل التربية الصالحة التي وفرها لهم ذلك الأب الصالح، ولعل أدل إنسان على هؤلاء من شباب اليوم هو الدكتور عبدالرؤوف محمد الكمالي الذي قام بمهمة طباعة الكتاب الذي نوهنا عنه في بداية هذا الحديث فجزاه الله خيرًا.

ولا يسعني في الختام إلا أن أقدم بعض الصور ذات العلاقة بالشيخ الكمالي وهي صورة له في حفل زواج الأخ صافي ابن أخي الكريم عبدالعزيز المطوع، وكان الحفل في فندق شيراتون يوم التاسع عشر من شهر أكتوبر لسنة ١٩٨٧م، ونرى في الصورة الشيخ الكمالي وأمامه الداعي.



ومع هذه صورة أخرى نجد فيها إضافة إليهما المرحوم الشيخ محمد الكمالي شقيق الشيخ عبدالرحمن، وقد تكرم أبوصافي - مشكوراً - بتقديم هاتين الصورتين عندما علم بنيتي الكتابة عن الشيخ عبدالرحمن، وعن كتابه «بغية الواعظين».

ومع الصورتين صورة للغلاف الأمامي للكتاب وصورة للغلاف الخلفي الذي يضم شجرة النسب المحمدي الشريف.

رحم الله الشيخ عبدالرحمن الكمالي، ورحم أخاه الشيخ محمد الكمالي، وأسكنهما فسيح جناته.

****

## ملحاق خير (٢)

سارت الدكتورة منى ابنة الدكتور حسين مؤنس، على درب والدها، فصارت أستاذة في الجامعة وأديبة ذات مؤلفات. هي اليوم بدرجة أستاذ مساعد بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب في جامعة القاهرة. وبين يدي كتاب لها صدر عن سلسلة (اقرأ) التي تصدرها دار المعارف بمصر منذ زمن طويل. هذا الكتاب صدر تحت رقم ٦٣٤، وهو رقم يدل على قدم هذه السلسلة الثقافية المهمة والمفيدة، يتناول الكتاب صورة مصر والمصريين والإسلام في الأدب الغربي، ولدى الرأي العام الأجنبي.

ومن الواضح أن أولئك الناس يتخذون من الأمة الاسلامية بشكل عام موقفاً سلبياً في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والفلسفية والتاريخية والإعلامية نراهم يسعون إلى تصويرنا بأسوأ صورة، وهم يروننا أقل منهم قيمة في الحضارة والفكر والسلوك، والكتاب يكشف هذا الموقف العنصري الممجوج.

والدكتورة منى التي أتحدث عن كتابها هذا قامت بعمل جليل تجاه والدها بعد وفاته، ونفعتنا بتقريب فيض من إنتاجه الذي لم يتمكن من طبعه في كتاب إبان حياته. لقد قامت بتجميع المقالات المتناثرة في عدد من الصحف، ووزعتها بحسب النوع وخرجت بمجموعة من الكتب طبعتها ونشرتها (دار المعارف) التي كانت تطبع كتب والدها.



لدي الآن مما خرج من هذه الكتب ما يلي:

١ - **غريب في وطني.**

٢ - **حرفة النجاح.**

٣ - **مصر والعالم العربي.**

٤ - **المصريون والحضارة.**

طبعت هذه المجموعة تحت عنوان هو: (صورة من الحياة المصرية) وكتب لها الأستاذ رجب البنا من دار المعارف مقدمة تكررت في جميع الكتب تناول فيها أسباب لقائه بالدكتور مؤنس، ومعرفته به. فقال إن السبب في ذلك هو الدكتور عبدالعزيز كامل الذي اقترح على البنا إقامة علاقات علمية مع الدكتور حسين مؤنس وقد كان هذا صديقاً للدكتور عبدالعزيز، وكان يتحدث عنه كثيراً مع البنا مما حفزه الى الاتصال به والتعرف عليه. وحول التعارف بينهما يذكر ما يلي: (حين التقيت الدكتور حسين مؤنس بعد ذلك بسنوات بصفتي رئيساً لدار المعارف التي تنشر مؤلفاته ورئيساً لتحرير مجلة أكتوبر التي ظل ينشر فيها مقالاً أسبوعياً بانتظام لسنوات طويلة، كانت دهشتنا نحن الاثنين أن أول لقاء لنا بدا وكأنه استكمال للقاءات سابقة).

ضم هذا الكتاب عدة مقالات ذكر مع كل مقالة منها تاريخ نشرها في الصحف. وفيه أحاديث بلغت العشرين موضوعاً تناولت الحروب العربية الإسرائيلية، وموقف مصر والعرب أجمعين من الكيان الصهيوني، ولكنه في آخر مقالين منها تحدث عن مصر ومحمد علي وعن الخطر الشيوعي الذي لايزال متوقعاً على وطنه، وكان نشر هذا المقال الأخير في اليوم الثاني من شهر يناير لسنة ١٩٩٤م.

سوف يجد قارئ هذه المجموعة نفسه وكأنه قد عثر على كنز ثمين تناول منوعات من الموضوعات المهمة لا يؤثر في قميتها أن بعض ما ورد منها مضى زمنه، بل هي على كل حال صارت جزءاً من التاريخ المصري والعربي على حد سواء.

نعود مرة أخرى إلى الدكتورة منى ابنة الدكتور حسين مؤنس التي ذكرنا أنها كانت حريصة على حفظ تراث والدها كل الحرص حين جمعت مقالاته وطبعتها في كتيبات أنيقة سهلة القراءة بحكم طبيعة أسلوب الدكتور مؤنس في الكتابة. ولكنها لم تكتف بذلك فقد أصدرت في سنة ١٩٩٧م كتاباً لطيفاً عن والدها تحت عنوان: (في بيت حسين مؤنس) صدر عن دار المعارف بمصر ضمن سلسلة (اقرأ) وقد تحدثت في هذا الكتاب عن حياة والدها من حيث نشأته ودراسته وكافة الأعمال التي اضطلع بها، ومؤلفاته وعلاقاته بعدد من العلماء والسياسيين ورحلاته وحالته الاجتماعية في بيته وكل ما يتعلق به مما يفيد محبيه بالاطلاع على كافة ما يريدون معرفته عن هذا الرائد، وذلك دون عناء منهم أو تكلف. والكتاب يتميز بالصدق والأمانة بقدر ما يتميز بوفاء الابنة لوالدها.

هذا ونجد في الكتاب فصلاً خصصته عن الكويت تناولت فيه الحياة التي عاشها والدها بيننا وتحدثت حديثاً مسهباً ابتدأته من حين وصوله إلى البلاد، وتناولت عمله الجامعي ونشاطه الخارجي وعلاقاته الكثيرة مع عدد من الناس من شتى الجنسيات. وذكرت محبته للكويت وارتياحه إلى العمل فيها.

رحم الله الدكتور حسين مؤنس، فقد ترك آثاراً باهرة لا تزول.

****



## يا ساحل الفنطاس(١)

تشتهر الفنطاس بكثير من الأشياء الجميلة، فهي معروفة بزراعتها، وأعشابها البرية، وحسن الربيع فيها إذا أقبل عليها، وساحلها الرائع، وأهلها الطيبين ذوي الأنشطة المتعددة، وأمور أخرى كثيرة سوف نعرض إليها فيما بعد.

ولذلك لم يكن من المستغرب أن يتغنى بها شاعر كبير مثل المرحوم أحمد مشاري العدواني فيقول:

يا ساحلَ الفنطاس
يا ملعب الغزلان
يا متعة الجُلّاس
يا سامر الخلان

كان يصف بأسلوبه السهل الممتنع المغاني الجميلة في تلك القرية الحلوة التي كانت ولا تزال على كل لسان.

وقد صارت هذه الأغنية مسموعة على أوسع نطاق.

نحن نتحدث هنا عن قرية صغيرة تنام على ساحل البحر في شرقيها، وتستيقظ على زهور الربيع غرباً. وذلك في الخمسينيات من القرن الماضي ولكنها الآن مدينة عامرة فيها كل متطلبات المدن من طرق ومراكز علاج ومدارس متعددة المراحل، إضافة إلى مبانيها الحديثة العالية الأدوار، وازدياد عدد سكانها وارتباطها بالقرى التي كانت قريبة منها مثل بو حليفة والمنقف والفحيحيل وقد كانت هذه متباعدة، ولكنها اليوم تكاد تكون قطعة واحدة من العمران متماسكة ببعضها.

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/٧/٨م.

وفي عدد شهر سبتمبر لسنة ١٩٥٢م نشرت مجلة البعثة قصيدة للشاعرة دعد الكيالي عنوانها: «على شاطئ الفنطاس» ومما جاء فيها:

**على شاطئ البحر عند الأصيل**

**مشيت أطالع سفر السماء**

**وبيض الطيور تغرد نشوى**

**وقلبي يساجلها بالغناء**

تبعد الفنطاس عن العاصمة حوالي ٢٨,٥ كيلو متراً وكان عدد سكانها إلى سنة ٢٠٠٤م ٢١٣٧٥ نسمة، ومن الأماكن التي كانت معروفة في الفنطاس بئر كان الأهالي يرتوون من مائها العذب تسمى سليسل ولكنها زالت الآن ونُسيَ مكانها.

نعود مرة أخرى إلى الحديث عن الفنطاس القديمة التي ذكرنا أنها كانت قرية من قرى القصور وأنها تقع على ساحل البحر، وقد كانت ذات نشاط زراعي حيث تحتوي على بعض المزارع التي تمد العاصمة بإنتاجها من الخضراوات. ذكرها لوريمر فقال: «إنها تبعد ١٦ ميلاً إلى الجنوب عن بلدة الكويت».

وذكر ديكسون أنها «قرية من قرى القصور على البحر وتبعد ١٦ ميلاً إلى جنوب الجنوب الشرقي من مدينة الكويت، وفيها ١٧٠ بيتًا. سكانها من العرب الذين ينتمون إلى قبائل مختلفة كما في الكويت والفحيحيل، وفي القرية حوالي ٣٠ بئرًا، بعضها ذات مياه مالحة، وبعضها الآخر ذات مياه عذبة على عمق ٢٠ قدمًا، ويبلغ اتساع فوهة البئر ٢٠ قدمًا من كل جانب، مما يجعل من الممكن أن تعمل بسحب المياه منها ثلاث فرق من الحمير في وقت واحد. والزراعة في الفنطاس أغنى منها في الجهراء، مع أن الأرض المزروعة في الفنطاس أقل مساحة، ويزرع أهالي القرية الشعير والعدس والبطيخ والفجل والبصل، وتوجد فيها ٦٠٠ شجرة نخيل وبعض أشجار السدر والعشر».



وذكرها الشيخ عبدالعزيز الرشيد قائلاً: «الفنطاس، تبعد عن الكويت نحو سبعة عشر ميلاً جنوبًا عنها، وتقدر نفوسها بثلاثمائة نسمة، وفيها مسجد تقام فيه الجمعة، وعدة بساتين».

وقد نبغ فيها وما حولها عدد من الشعراء الشعبيين منهم نقيان بن سالم وسلطان بن فرزان، وقد تأثرا بالبيئة البحرية التي كانا يعيشان فيها فانطبع ذلك على شعرهما فورد ذكر البحر كثيرًا فيه. وقد شارك سكان الفنطاس في الأنشطة البحرية التي كانت قائمة في البلاد سابقًا بالإضافة إلى اهتمامهم بالزراعة كما ذكرنا قبل قليل. وبالإضافة إلى ذلك فقد امتاز عدد من السكان بنزعة فنية واشتهرت فيهم فنون مختلفة منها فن الغناء السامري الذي هو من الفنون المشهورة في الكويت والخليج العربي.

وقد ذكر الشاعر حمد بن عبداللطيف المغلوث الفنطاس وهو يصف الطريق من الأحساء إلى الكويت، وكان ذلك في بداية القرن العشرين يقول:

**خل المقاطع على اليمنى ولا تخلف**

**ممشاك واترك جزاير هاك الأطراف**

**وخل الفحيحيل والفنطاس مع مشرف**

**عَنكْ يمين ونَحِّ منوة الشافي**

**دار الصباح الرجال أعلى نسب واشرف**

**سقم العدا مروية شذرات الأسياف**

ولسكان الفنطاس اهتمام بالعرضة أسوة بغيرهم من أهالي القرى الكويتية، وكانت لهم فرقة تقوم في المناسبات الوطنية بتقديم عرضتها للجمهور، وإذا كنا نعرف أن العرضة نوعان: بحرية وبرية، فإن أهل الفنطاس ابتدعوا عرضة خاصة بهم تجمع بين هذين النوعين سموها: العرضة العميرية. لقد نشأ هذا النوع في

منطقة الفنطاس، وكانت تؤديه فرقة الفنطاس الشعبية، وتمزج فيه بين الفنين السابقين، ولارتباط أبناء الفنطاس قديمًا بالبحر من جهة، وعلاقاتهم بالبادية من جهة أخرى، فإن هذه العرضة المسماة العميرية والتي برزت عرضة برية بحرية، أصبح لها الطابع المميز الذي اشتهر به أبناء الفنطاس.

أما في مجال الشعر فإن لنا حديثًا سوف نعود إليه فيما بعد لأنه يستغرق مجالاً أرحب.

ولكننا لابد وأن نذكر هنا أن اهتمام البلاد كان مبكرًا بالفنطاس فنشأت فيها مدرسة البنين في سنة ١٩٤٥م على الرغم من قلة عدد الطلاب الذين كانوا في سنة ١٩٥١م لا يزيدون عن ٤٥ طالبًا.

وأنشأت دائرة معارف الكويت مدرسة للبنات هناك في سنة ١٩٥١م. أما المركز الصحي فقد أنشأته دائرة الصحة العامة في سنة ١٩٥٣م، وكانت تقدم خدماتها الطبية قبل ذلك بوساطة سيارة خاصة فيها طبيب وممرض، وكافة الأجهزة والأدوية المناسبة.

كان اهتمام الناس بالرحلات الخلوية في أيام الربيع كبيرًا وكان عدد منهم يقضون عطلة نصف السنة المدرسية في خارج المدينة فصارت الفنطاس دائمًا من أوائل الأماكن التي يفكر فيها الراغبون في الرحلة إلى البر، وقد شارك في هذه الرحلات عدد من غير الكويتيين منهم المدرس المصري محمد سيد الأهل الذي قام برحلة إلى الفنطاس أثناء الربيع، وكتب وصفًا جيدًا لهذه الرحلة نشره في مجلة البعثة ضمن أوائل الأعداد التي صدرت منها في سنة ١٩٤٦م.

أدار الأستاذ حديثًا مع صديق له حول موضوع الرحلات الداخلية في الكويت فكان مما قال: «هنا في إجازة الربيع . وقد بقي عليها يومان . يسرع الكل إلى



الخلاء حيث يضربون خيامهم على الأرض المخضرة أو على شاطئ الخليج يقضون أسعد الأوقات وأهنأها . والفنطاس وحولي مكانان من أحسن الأمكنة في المتربع.. قلت وبعد؟ قال: وما دمت عرفت فقم وفتش لك عن خيمة وقلت وأين لي بها؟ قال: الكل إن طلبت يُعطي مُرَحّبا، قلت: ولكن قل أيهما أبعد؟ قال: الفنطاس. قلت: أنا أسبق الناس إلى الفنطاس هذه.. خرجت أفتش عن خيمة، وما كدت أشير في عبارتي إلى محدثي التاجر الكريم حتى أرسل إلي أربعاً كاملة العدة، وطرت أنا وزميلي الأستاذ المصري ومعنا .. الطاهي إلى الفنطاس.

فلما استقر رأينا على بقعة قمنا نضرب بها خيامنا، ولكن التعب أضنانا وموج البحر القريب أغرانا فتركنا عملنا وهرعنا نحو الموج ونحو الماء..».

ثم وصف كيف جاءت مجموعة أخرى من المدرسين على رأسهم الأستاذ عقاب الخطيب فقام هؤلاء بمساعدة من سبقهم في نصب خيامهم، ومن ثم الاندماج معهم حين عرفوا أنهم من أعضاء سلك التدريس. يقول: «فلما بدأت الشمس تميل رأينا سيارة كبيرة تقف بالقرب منا ونزل منها نفر من المدرسين فهرعنا إليهم نرجو العون على ضرب خيامنا فكانوا نعم المجير، ونزلوا إلى جوارنا بخيماتهم، ولما انتهينا من العمل وشد الطنب وفد علينا بعضهم يدعونا للسمر.. قلت أي سهرة ستكون هذه وما فيها الغريب ولا العجيب؟ ولكننا قضينا ليلة كأنها النهار، في صحب كالأقمار، فهنا بدر وهناك «سيار» ولا تنس حمداً وخالداً ومحمداً وصحبهم الأخيار!!.

وعقاب!! ولا يروعنَّك اسمه فقد حَلَّق في جو عال من المرح وإن حدثتك عن رسمه فوالله ما وقعت عيني على فم امتلأ بالابتسامة والفكاهة والظرف كما كان فم عقاب وكما لمعت عين عقاب...

وقضينا خمسة عشر يوماً كلها مرح ولهو ولعب وأنس وإيناس حتى كدت أنسى الدرس والمدرسة... وجاءني صديقي وقال: غداً نعود. قلت: عرفت وأسفاه!».

وقد نشرت المجلة مع هذا الحديث أبياتاً نظمها الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري عنوانها تحية الفنطاس ومما جاء فيها:

رُبَّ صباحٍ هاجني حُسنُهُ
والشمسُ لما تعتلي في الفضاءْ
أفقت من نوميَ لا أبتغي
غير فضاءٍ وهواءٍ وماء

وفي آخرها:

يا ساكنَ الفنطاس مني لها
تحيةٌ ليس لها من فناء

وقد ذكر الدكتور عبدالرزاق العدواني قرية الفنطاس باعتبارها موضعاً يرتاده الناس خلال الربيع، وقد نشر مقاله في البعثة - أيضاً - في سنة ١٩٤٦م وكانت أول سنة صدرت فيها هذه المجلة الراقية، ومما قاله عن الفنطاس: «... وسكانها القليلون ينتحون منها ناحية، أما المتربعون فينصبون خيامهم بعيداً عن السكان، أو يحلون في بيوتهم الخاصة» وقد كان بعض المتمكنين يشترون بيوتاً في القرى من أجل النزهة والراحة.

وإذا ذكر الفنطاس أتى ذكر الفنيطيس، وهذا الموقع يمثل قرية كانت عامرة، ثم جاء وقت خلت فيه من السكان، وبقيت المساكن خالية تملؤها الرمال التي تدفع بها الرياح إلى هذا الموضع.

وكان هذا الموقع مقرًّا للمعسكر الكشفي فترة من الزمن وقد تم رصد المعسكر الذي أقيم فيه في ربيع سنة ١٩٥٠م.



ومما ذكر عن الفنيطيس المعسكر الكشفي الذي أقيم فيه ابتداء من يوم الجمعة السابع عشر من شهر مارس لسنة ١٩٥٠م، وكان ذكر هذه القرية ومعسكرها الكشفي في أحد أعداد مجلة البعثة الصادر في السنة المشار اليها، وتقول المجلة في هذا الصدد إنه في هذا التاريخ المحدد تحرك موكب الكشافة مغادرًا العاصمة في اتجاه الفنيطيس، ذلك من أجل التخييم فيها طيلة أيام عطلة الربيع ولياليها وعدتها خمسة عشر يومًا. وقد تم هذا المعسكر كالمعتاد إذ قضى الكشافة أيامهم في سمر وأنشطة رياضية وثقافية ممتعة.

وأقام المعسكر حفله الرئيسي المعتاد في اليوم التاسع والعشرين من شهر مارس، وقد حضر على رأس ضيوف الكشافة الشيخ عبدالله الجابر الصباح وأعضاء مجلس المعارف وعدد من كبار الشخصيات وأولياء أمور الكشافة المشاركين في المعسكر، وقد تخلل السمر عدد من الألعاب الجميلة التي حازت إعجاب الجميع.

من شعراء الفنطاس شاعر معروف على مستوى البلاد كلها لما له من أشعار محببة إلى النفوس، ذلك هو الشاعر نقيان بن سالم العميري، ويلقب بالقروي لأنه من منطقة القرى، فهو أحد سكان قرية الفنطاس، له شعر كثير، وأغان مشهورة، وهو من الشعراء البارزين في مجال السامري، غنى له عدد من المطربين، وكان مشتغلاً في أعمال البحر، وفي الزراعة بحسب ظروف المواسم التي كانت تمر على منطقته.

ولنقيان أغنية جميلة رددها محبو الغناء، وغناها أكثر من مطرب، وغنتها الفرق الشعبية، وقد أعجب بها الكثيرون، ولا تزال تعيش في وجدان أولئك الذين يستهويهم الغناء الشعبي ولا سيما السامري منه، يقول نقيان بن سالم:

البارحة يا عبيد عييت انا ما
درب الخطا كثر على الهواجيس

غديت مثل اللي طواه الهياما
يا حالي اللي مثل طي القراطيس
يا لايم فرخ القطا والحماما
ومخضبات يطربن النواميس
والله لا صلي له فروض تماما
واسجد لخلي فوق روس الطعاميس
بالك تِشَوّفْ نايفات العداما
ويلوعِكْ غرو ابزين الملابيس
يا لايمي جعلك في بحر الظلاما
وإلا حسير في دروب المحابيس

والشاعر هنا يوجه أبياته إلى أحد أقاربه واسمه عبدالله، صغَّره بقوله: عبيد، فيقول له إنه أبى أن ينام ليلة البارحة وعييت هنا بمعنى أبيت، ولكنه يقصد بها لم استطع، وأراد بقوله درب الخطا طريق العشق الذي أكثر عليه الوساوس وأضرم في ذهنه الأفكار المتضاربة حتى جفاه الرقاد، وقوله: غديت بمعنى صرت، وهي في العربية: غدوت بمعنى أصبحت، ثم شبه حاله المنطوية على الحزن لشدة هيامه بحال القراطيس المطوية، ثم يعجب من الذي يلومه، فكأنه يلوم فراخ القطا والحمام المخضبات (التي يشبه لون أرجلها بلون الخضاب وهو الحناء) وهن يطربن النواميس ويقصد بها الناس، والنواميس جمع نامسة في اللهجة» وهي الروح فجعلها خاصة بالناس.

ويستمر نقيان بن سالم في التعبير عن مشاعره، وهي عبارة عن شدة ولعه بالمحبوب ولعًا يكاد يخرجه من مألوف عاداته، وهنا يطلب من (عبيد) ألا يعرض نفسه لمثل هذا البلاء الذي وقع هو فيه، لأنه سوف لا يكسب من التطلع إلى الجميلات سوى الأسى واللوعة، والغرق في بحور مظلمة من الحزن الذي لا يمكن أن ينقشع بنسيان.



وهذا كل ما وصلنا من القصيدة التي أظنها أكثر طولاً من هذه الأبيات القليلة لأن قارئها يحس بفراغات بين الأبيات تدل على وجود أبيات لم يرد ذكرها، والظاهر أن المغنيين يختارون عادة بعض الأبيات من القصائد الطوال لأن غناء القصيدة الكاملة أمر مستحيل، ثم تشتهر هذه الأبيات وينسى الناس . للأسف الشديد. باقي القصيدة.

غنى هذه الأبيات الفنان محمود الكويتي على لحن السامري المحبب، الذي قدم منه أغاني كثيرة معروفة، ومحمود الكويتي يغني مختلف الأغاني الشعبية، ويلحن لنفسه كثيرًا منها، وله أغنية ارتبطت في أذهاننا بيوم العيد وبخاصة عيد الفطر، وهي:

العيد هل هلاله    كل الفرح يحلا له

حيث يعتبر سماعها من الإذاعة أو مشاهدتها من التلفزيون بمثابة إعلان رسمي عن حلول العيد، واسم محمود الكويتي هو محمود عبدالرزاق، وكان من مواليد سنة ١٩٠١م.

وغنى محمود الكويتي - أيضًا - أغنية للشاعر نقيان بن سالم العميري، ذاعت في وقتها بين الناس لخفتها وسهولة ألفاظها، ولجمال الموسيقى المصاحبة لها، وهي قوله:

آه يا مرعوب    من تفاريق الولايف
كدر المشروب    صاحبي نابي الردايف
طرش المكتوب    هُوْ يبي قربي وخايف
سبة المحبوب    فتح اعيون العرايف
ذبني من صوب    بالتوجد والحسايف
من يسد النوب    يا فحل ويش انت شايف

وهو يوجه أبياته إلى صاحبه مرعوب، وهذا الرجل من سكان قرية الفنطاس، وكان يعمل بإحدى المدارس الواقعة في حي المرقاب، وقد توفي في نهاية الستينات من القرن العشرين، واسمه الكامل: مرعوب بن عبدالله القروي.

وهكذا نلم بصورة جميلة للشعر والغناء في قرية الفنطاس، هذه القرية التي كانت قطعة من الجمال المرئي والمسموع، وهي الآن قطعة أخرى من الجمال المعماري والاجتماعي ينشط فيها رجال أكفاء حافظوا على موقعهم، وعلموا أبناءهم بحيث تخرج منهم عدد وافر ممن يعمل في مختلف أجهزة الدولة، يخدمون وطنهم ويقدمون له أجل الخدمات في مقابل الحب الذي جعل أبناء الكويت كلهم يتعلقون بهم، ويعمقون معهم الصلات على مدى الأيام.

****



## ملحاق خير

صاحب هذه الصورة المنشورة مع (ملحاق خير) واحد من أهل الكويت الطيبين، هو المرحوم حمدان أحمد الحمدان، وهو رجل من سكان الفنطاس عُرفت عنه الطيبة، والحرص على التمسك بأهداب الدين الحنيف، وعدم الالتفات إلى أمور الدنيا، كان همه في المسجد وفي تدريس الأولاد، والنصح للناس من سكان تلك القرية الطيبة.

كان السيد حمدان وأخوه يصليان في مسجد القرية ويعتنيان به ، هذا المسجد هو الأقدم هناك لأن أسرة هذين الرجلين قامت بإنشائه في سنة ١٧٥٠م، فكان حمدان إذا صار وقت الدرس انتقل إلى ديوانية أهله (آل حمدان) لكي يقوم بتدريس أبناء بلدته القراءة والكتابة والحساب، وكان يقوم بذلك متبرعاً لا يتقاضى عنه أجراً، وقد كان الأجر الذي يريده أن يرضي ضميره بأنه عمل خيراً في دنياه، وحدث ما يريد، وذكره الناس جميعاً بكافة أعماله الطيبة التي كان يقوم بها بينهم ومن ذلك تدريسه لأبنائهم، وسوف يضاف إليه مع هذا الذكر الأجر من الله سبحانه يوم القيامة.

توفي السيد حمدان أحمد الحمدان في اليوم السابع من شهر فبراير لسنة ١٩٦٨م، رحمه الله وأجزل له الثواب.

****

## مجلة كويتية عريقة[1]

أتحدث في هذا المقال عن مجلة من مجلات الكويت التي مضى على بداية إصدارها وقت طويل، وهي لا تزال تصدر، وتزداد تألقاً مع مرور الأيام.

هذه المجلة هي: «مجلة الوعي الإسلامي» التي تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وقد حرصت هذه الوزارة على رعايتها رعاية تامة حتى امتد بها الزمن إلى هذا الوقت، فنحن لا نزال نجدها تباع في جميع مكتبات الكويت، وتوزع في عدد من الدول العربية والإسلامية، وأصبح لها كتّاب يحرصون على أن ينشروا إنتاجهم فيها.

صدر العدد الأول من مجلة «الوعي الإسلامي» في شهر محرم لسنة ١٣٨٥هـ الموافق لشهر مايو لسنة ١٩٦٥م وهي لا تزال مستمرة في صدورها تزداد في كل عدد جديد رونقاً ومكانة وجودة موضوعات.

صاحب فكرة إصدار هذه المجلة الناجحة هو الأستاذ خالد أحمد الجسار، وكان وقتها وزيراً للأوقاف، ولكنها صدرت بعد انتقاله منها إلى وزارة العدل فصار وزيراً لها، ولذا فإن في مقدمة العدد الأول كلمتين إحداهما لوزير الأوقاف السيد عبدالله مشاري الروضان، والأخرى لوزير العدل صاحب فكرة هذا الإنجاز الطيب السيد خالد أحمد الجسار.

عندما صَحّت النية على إصدار المجلة حشدت وزارة الأوقاف كل طاقاتها من أجل أن تكون مجلة الوعي الإسلامي في أبهى صورة، وقد ذكرت المقدمة الأولى

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ١٥/٧/٢٠٠٩م.



أنه لابد للكويت في خطواتها السريعة نحو التقدم الحضاري من استكمال حلقات الأنشطة المتعددة القائمة بها، وذلك بإصدار مجلة تعنى بشؤون الإسلام وتهتم بنشر الثقافة الدينية.

ومن أجل ذلك تقول المقدمة: «وقد رأت وزارة الأوقاف أن تقوم بعبئها في هذا المجال، فأصدرت مجلة الوعي الإسلامي التي يصافحك الآن أول أعدادها»، وحول أسلوب الاستعداد لخوض هذه التجربة جاء في المقدمة مايلي: «ومن أجل ذلك وجهت الدعوة إلى قادة الفكر، وحملة الأقلام من رجالات الإسلام المعنيين بالدراسات الإسلامية في الشرق والغرب، ليسهموا معها في تحمل هذا العبء..». وقد استجاب هؤلاء لدعوة الوزارة وأبدوا أفكارهم حول هذا المشروع الثقافي الجديد بل وكتبوا مقالاتهم وأبحاثهم للمجلة كما هو مأمول منهم جميعاً. وفي هذا تقول المقدمة الأولى: «وقد كان اللقاء الفكري - فيما حمل إلينا البريد من بحوثهم الضافية - أمراً يبعث على التفاؤل» وكان الجميع يرون أن القراء في العالم الإسلامي يواجهون مسائل جديدة في حياتهم المتغيرة، وهم في حاجة إلى من ينير لهم الطريق السليم لتفادي أية أخطاء قد يحدث الوقوع فيها خروجًا على جادة الدين الحنيف. وقد كانت من أغراض هذه المجلة متابعة مثل هذه الأمور وإيضاح الغوامض للناس حتى يكونوا على بصيرة من دينهم. وإذا كانت العبادات ثابتة وفق ما أمر الله به فإن المعاملات اليومية في تجدد مستمر، يدعو إلى معالجة كل ما يند عنه من أمور حتى لا يقع المسلم في الخلل.

إن المقدمة التي كتبها رئيس التحرير تدل على مدى ما تتمتع به الهيئة المشرفة على المجلة من آمال بالاستمرار وبدعم العلماء، وبأداء الرسالة التي ترغب بايصالها إلى المسلمين عن طريق المقالات والبحوث وكل ما يقدم فيها من أعمال. وبانتهاء كلمة رئيس تحرير المجلة جاءت كلمة وزير العدل فتحدث عن الأسباب التي

دعته إلى تبني هذا المشروع وقد دلت كلمته على أنه قد كتبها بنفس صافية تهدف إلى خدمة الدين الحنيف، وتسعى إلى أن تكون لوزارة الأوقاف أهداف محددة تسعى إلى تحقيقها، والدفاع عنها، وكانت فكرة إنجاز مجلة «الوعي الإسلامي» من الأدوات المهمة التي كان يعتمد عليها في كل ذلك.

وفي كلمته التي أشرنا إليها هنا حدد ما كان يتمناه لهذه المجلة فقال: «آمل أن يكون النهج الذي تنهجه مجلتنا الجديدة «الوعي الإسلامي» بعيدًا عن كل ما يعكر صفو رسالتها، وأن يكون رائدها الحق ترفع صوته، وتذود عنه بكل صراحة ووضوح، وأن تعْرِضَ الإسلام في ثوب قشيب محبب للقراء، وأن تساهم في النهضة الفقهية التشريعية التي يتطلبها مجتمعنا، وأن يعالج كتابها مشكلاتنا الجديدة على هدي من الشريعة».

كان هذا هو المنهج الذي ارتضاه أبو أحمد لمجلته، ولكنه انتقل للعمل في وزارة العدل ليصدر العدد الأول من مجلة الوعي الإسلامي، ووزير الأوقاف هو السيد عبدالله المشاري الروضان الذي كتب هو الآخر مقدمة جميلة مختصرة جاء فيها قوله: «في مطلع العام الهجري الجديدة أحيي إخواني المسلمين في كل مكان، وأقدم لهم العدد الأول من مجلة «الوعي الإسلامي» التي تصدرها وزارة الأوقاف بالكويت، لتقف بجانب زميلاتها من المجلات الإسلامية في المعركة الفاصلة التي اجتمع فيها أعداء الإسلام وخصومه على حربه، واستخدموا مختلف الأسلحة - في الميادين العقائدية والثقافية والجبهات السياسية والاقتصادية - لمناواته.

وسلاحنا في هذه المعركة أقلام المجاهدين من قادة الفكر الإسلامي في كل مكان..

وإن من يمن الطالع، وبشائر التوفيق أن يقترن صدور «الوعي الإسلامي» بهذه الذكرى الخالدة - ذكرى الهجرة - التي نتلقى عنها دروس الإيمان والجهاد والتضحية والفداء.



وأسأل الله العلي القدير أن يجعلها لسان صدق، ودعوة حق، وأن يهيئ للمسلمين من أمرهم رشداً.

ولقد ربط الوزير الروضان في كلمته بين التقديم للمجلة ومناسبة حلول ذكرى الهجرة معتبرًا هذا التوافق دليل فأل حسن.

المشرف العام على مجلة الوعي الإسلامي عند صدورها كان هو الأخ العزيز الأستاذ عبدالرحمن المجحم، وقد قادها قيادة حكيمة، وجعل لها مكانة بين المجلات المتخصصة لا في الكويت وحدها بل في عدد من الدول. والأخ عبدالرحمن المجحم شخصية معروفة ومحبوبة في الكويت تصدّر لكثير من الأعمال، وخدم بلاده وأهل وطنه خدمة لا ينساها أحد وذلك في منصب المحافظ، ومنصب رئيس بنك التسليف والادخار، ومناصب أخرى سبقت ذلك، بدأها مدرساً في معهد الكويت الديني فور تخرجه في كلية الشريعة بالأزهر الشريف.

أما رئيس تحرير المجلة فهو الأستاذ الشيخ عبدالمنعم النمر وهو أحد علماء الإسلام المعروفين بمؤلفاتهم، وبذودهم عن الإسلام والمسلمين، وقد تولى بعد ذلك العمل وزيراً للأوقاف في مصر، واجتهد في عمله تاركا أطيب الآثار عندما غادر هذا المنصب بعد أن بدأ المرض يغزو جسمه وهو المرض الذي توفي على إثره. أعرف الشيخ النمر جيدًا وكانت لي معه جلسات كثيرة فهو عذب الحديث كثير المعلومات يغريك بالاستماع إليه.

أما مدير التحرير فهو الشيخ علي عبدالمنعم عبدالحميد الذي كان مدرسًا في معهد الكويت الديني قبل انتقاله إلى وزارة الأوقاف، وقد درسني علم المنطق وعلم التوحيد في المرحلة الثانوية من المعهد، وكان مدرسًا متمكنًا سهل العبارة يوصل المعلومات إلى الطلاب بكل سهولة ويسر، ولا يكتفي بتدريس هؤلاء في الأوقات المحددة للمادة بل يقف في أكثر الأحيان في ساحة المعهد يلتقي بأبنائه الطلاب، يجيب عن أسئلتهم وينصحهم، ويقوم بتوجيههم. وكان يقوم بالوعظ في المساجد،

ويشارك في الاحتفالات الدينية وفق مناسباتها. وكان يقوم بخطبة يوم الجمعة وإمامة المصلين في المسجد الجامع الكائن في مدرسة الشويخ الثانوية قبل أن تتحول إلى جامعة الكويت، وكان الناس يقبلون من كل مكان كي يؤدوا الصلاة وراءه ويستمعوا إلى خطبته المليئة بالفوائد. ولم يكتف الشيخ علي عبدالمنعم بما وصل إليه من العلم، فانشغل بطموح جديد إذ حرص على أن يدرس في فرنسا ليحصل على درجة الدكتوراه وقد نالها بجهد لا يقدر عليه إلا هذا الرجل، لأن دراسته كانت في موضوع شديد الصعوبة، وقد تغير عليه المكان وتغيرت اللغة، إضافة إلى أنه كان قد كبر في السن فلم تعد سنه آنذاك في المرحلة المناسبة للتحصيل العلمي، ولكنه أفلح. وقد أقبل عليه الناس حين عاد وواصل عمله في وزارة الأوقاف كما كان قبل مغادرته للدراسة ثم انتدب للعمل مدرسًا لمادة الثقافة الإسلامية في جامعة الكويت في أواخر أيام عمله، وقد قام بكتابة عدد من البحوث القيمة نشرها في المجلات العلمية التي تصدرها جامعة الكويت.

أما سكرتير التحرير فهو الشيخ رضوان البيلي، وهو من العلماء الذين جاءوا إلى الكويت من أجل المساهمة في العمل الاسلامي الذي تقوم به دائرة الأوقاف وانتفعت بجهودهم الكبيرة التي بذلوها في سبيل نشر الدعوة الاسلامية عن طريق الخطابة والكتابة، وهذا الرجل من العلماء البارزين، له اطلاع واسع على كافة العلوم الدينية، ومعرفة بالأمور التي نذر نفسه للقيام بها، وهو - أيضا - من الشخصيات الكريمة التي كان لي الحظ الوافر بمعرفتها والاستفادة منها، حيث إن مجلسه دائما كان مجلس علم لا يخلو من إثارة مسائل تجدد المعلومات، وتفتح الطريق إلى معلومات أخرى لم يكن من السهل الاطلاع عليها إلا بالمذاكرة مع مثل هذا الرجل.

إذن فهؤلاء أربعة رجال كل منهم له مكانته العلمية وله درايته في الشؤون التي تبحثها مجلة الوعي الاسلامي، حملوا رسالتها، فساروا بها إلى الأمام مما كفل جودة المستوى والاستمرار في الصدور، فهي لا تزال تتصدر المجلات ذات الاتجاه



الديني، وتجد الإقبال في كل مكان هنا وفي خارج البلاد، ولقد كان هذا النجاح الذي حققته نتيجة لهؤلاء العاملين عليها، كما هو نتيجة إخلاصهم الذي حقق لهم أداء الرسالة على أفضل وجه. ولقد تنوعت الموضوعات التي تنشرها المجلة منذ صدورها، وعبرت عن جميع نواحي النشاط في الكويت وفي خارجها، واستكتبت كبار العلماء المسلمين فأمدوها بأبحاث ومقالات ذات أهمية هي التي جعلت القراء يرتبطون بها ارتباطًا وثيقًا لما يجدونه فيها من منافع جمة، ومن تنوع ضمن الهدف العام الذي استقرت عليه منذ بداية أمرها.

لا يزال حديثنا منصبًّا على العدد الأول الصادر في شهر مايو لسنة ١٩٦٥م، وهو عدد بدأ بالإضافة إلى ما ذكرناه آنفا بتحية أرسلها إلى مجلة الوعي الإسلامي فضيلة شيخ الأزهر في ذلك الوقت الشيخ حسن مأمون، الذي عبر في كلمته عن سروره بصدور هذه المجلة، ثم قال: «وليس مصدر سرورنا أن مجلة إسلامية جديدة تضاف إلى عشرات المجلات الإسلامية التي تنتشر في سائر البلاد الاسلامية، ولكن لأن رجاءنا كبير في أن تصدر الوعي الاسلامي، جديدة في منهجها فتعرض الفكر الإسلامي الخصيب النابض بالقوة والحياة معًا، ومن جانب آخر تواجه موجات الإلحاد والانحراف التي زحفت إلى عقول بعض الشباب في العالم العربي الإسلامي لتغزو الإسلام والعروبة في عقر ديارهما...».

ثم تتوالى بعده المقالات التي اشترك في كتابتها كل من عبدالمنعم النمر، وعلي عبدالمنعم عبدالحميد، والشاعر محمود غنيم والدكتور عبدالله العربي، والشيخ محمد المدني والدكتور أحمد كمال زكي، والأستاذ صالح العثمان وعدد كبير آخر من العلماء والأدباء وتنوعت الموضوعات تنوعاً جيداً بحيث يستفيد منها القارئ فوائد متعددة ومتنوعة فهناك حديث عن الهجرة، وآخر عن روابط المجتمع، وهناك القصة والقصيدة، وحديث عام عن الكويت في المؤتمرات الإسلامية، وعن الإسلام

في الملايو، وباب مستقل تحت عنوان «الفتاوى، فيه الإجابة عن أسئلة أولئك الذين يلجأون إلى وزارة الأوقاف من أجل الحصول على الرأي الديني في بعض المسائل الحياتية والدينية.

هذا ما كان من أمر العدد الأول من مجلة «الوعي الإسلامي» أما العدد الثاني فقد بدأه الأخ الكريم الأستاذ عبدالرحمن المجحم بكلمة تحت عنوان «هذه سبيلنا» عبر فيها عن سعادته بالاستقبال الجيد الذي استقبلت به المجلة من قبل جماهير القراء، والمؤسسات المهتمة بالمسائل المتعلقة بالعلوم الإسلامية، وتنمية المجتمع الإسلامي، وقد وجه خطابه إلى قارئ المجلة قائلاً: «وقد كان لنا من إقبالك على العدد الأول إقبالاً تجاوز ما كنا نقدره، أكبر باعث على مضاعفة العمل وبذل الجهد في سبيل تقدمها ورقيها، وسنسير بإذن الله وعون كتابها ومؤازرة قرائها في الطريق الذي رسمناه لأنفسنا حتى نصل إلى المنزلة التي نأملها».

ومن أجل تحقيق هذا الأمل فقد دعا أبو خالد قراءه إلى المساهمة في دعم مجلتهم «الوعي الإسلامي» حتى تصل إلى المستوى المرموق والمأمول بإذن الله.

وهكذا نرى المشرف العام على المجلة وقد عبَّر عن سعادته بنجاحها منذ عددها الأول، وكان قد حرص على أن يترك المجال في ذلك العدد لغيره، فعبَّر أولئك الرجال خير تعبير عن البداية الطيبة لمجلتهم، ولكن العدد الثاني كان جديراً بأن يقدم له الأستاذ عبدالرحمن المجحم فقد رأى بعينيه نجاح عمله وعمل الرجال الذين رافقوه في هذا المشروع الديني الثقافي المهم.

ومن الجدير بالذكر أن هذا العدد (الثاني) قد تطور تطوراً كبيراً عما كان عليه العدد الأول، فشارك في الكتابة فيه عدد كبير آخر من الأدباء العلماء منهم الشيخ أحمد خميس الخلف، والشاعر محمود حسن اسماعيل، والسيد عبدالعزيز



العلي المطوع والأديب أحمد حسن الزيات، وغيرهم كثير، ولقد استمر عدد من هؤلاء في الكتابة للأعداد التي تلت هذا العدد، بالإضافة إلى آخرين، وقد دل عدد المشاركين في الكتابة على أهمية المجلة، وعلى أنها تستحق أن توجه إليها الأنظار.

ومما يقال هنا أن المجلة في ذلك الوقت من ستينيات القرن الماضي كانت توزع فيما يقرب من سبعة عشر بلدًا وكان ثمنها في الكويت خمسين فلساً لا غير.

مضت «الوعي الإسلامي» في طريقها الذي رسمه لها المؤسسون وفي كل عدد جديد تزداد تألقًا، وتتنوع موضوعاتها ويكثر كتابها. ولكنها في السنوات القليلة الماضية بدأت في التراجع قليلاً لأن الوزارة المختصة قد جعلتها في آخر اهتماماتها إلى أن قيض الله لها رجلاً مخلصًا وفيًّا سار بها منذ تولى رئاسة تحريرها سيرًا حثيثاً ولم يكتف بإعادتها إلى ما كانت عليه في بداية صدورها، بل جعلها تتفوق على نفسها، وتعود إلى صدارة المجلات ذات الاتجاه الثقافي الديني.

رئيس تحرير المجلة الحالي الذي أشرت إليه هو الأستاذ فيصل يوسف العلي، وهو من العلماء الذين حرصوا على تكوين أنفسهم علميًّا، ويكفي أن نقول إنه كان أحد تلامذة الشيخ محمد سليمان الجراح رحمه الله.

ويكفيك أن تلقي نظرة على آخر عدد صدر من هذه المجلة النفيسة العريقة حتى تعرف الجهد الذي بذله الرجل في تطويرها وتقديمها إلى القراء في أفضل صورة. فقد صار فيها تنوع مبهر في الموضوعات، وتعدد المشاركون في الكتابة بها وحسن إخراجها وطبعها، وزادت كميات توزيعها بما في ذلك وصولها إلى دول لم تكن قد وصلتها من قبل.

وكان استلام الأخ فيصل لرئاسة التحرير صدفة من الصدف الجميلة، فقد كان قبل ذلك رئيس المكتب الفني بوزارة الأوقاف، وقد أشرف على إصدار عدد

كبير من الكتب العلمية التي تفخر الوزارة بصدورها عنها، ولكن الوزارة منيت بوزير جديد، خلط بين العاملين بها ودون أن يعرف قيمة كل واحد منهم أو مستواه أو عمله قام بنقلهم من مكان إلى آخر، وممن وقع عليهم سيف الوزير القاطع أخونا فيصل يوسف العلي، فنقله الوزير - دون وجه حق - من موقعه في الوزارة، إلى رئاسة تحرير مجلة الوعي الإسلامي، وكان ذلك من أنواع العقوبة التي لا يستحقها الرجل على ما قدمه طوال حياته العملية، ولكنها عقوبة أفادت المجلة وأفادتنا وأحيت جهدًا بدأ منذ سنة ١٩٦٥م. وبين يدي الآن العدد الذي صدر من المجلة في شهر يونيو لسنة ٢٠٠٩م وكم أنا فخور أن أجد واحدًا من أبناء الكويت يقدم هذا العمل الفاخر الذي لا يمكن أن يقوم به إلا من تمرس بهذه المهنة الجليلة، ولا يسعني إلا أن أقول له: وفقك الله، ورب ضارة نافعة.

****



## ملحاق خير

الأستاذ الكبير فاضل خلف من أدباء الكويت المعروفين، عاصر عدداً من الأجيال الماضية وكان من الملازمين لمجلس الشاعر الكويتي المعروف فهد العسكر، وكان يكتب للمجلات الكويتية وغيرها منذ أمد بعيد ويمتاز نثره بالأناقة وسهولة التعبير وحسن الأداء، كما يمتاز شعره بالرقة والتصوير الصادق لكلّ ما يتحدث عنه من موضوعات. له عدد من المؤلفات منها ما يجمع بعض قصائده، وهي كتب - وفق تسلسل صدورها - تؤرخ للكاتب كما تؤرخ للفترة التي عاش فيها، وتقدم صورة للأدب الكويتي في كافة مراحل حياة الأستاذ فاضل خلف.

أبو محمد صديق قديم، كما هو أستاذ قدير على يديه عرفت الدكتور زكي مبارك بواسطة الكتاب الذي ألفه عنه ونشره في بداية خمسينيات القرن الماضي، وفي مجموعته القصصية «أحلام الشباب» عرفت بدايات القصة عند الكتّاب الكويتيين، وشعرت بمذاق التعبير عن المجتمع الذي نعيش فيه، وفي شعره تذوقت حلاوة الشعر، وفي نقده عرفت أصول النقد وجدواه بالنسبة للأديب. هو مدرسة متكاملة في مؤلفاته، ولكن مجالسته تمد من يجالسه بمعلومات كثيرة وبأخبار لا نصل إليها إلا عن طريق واحد مثله متمرس بشؤون الحياة معايش لكثير من الأحداث التي مرت بالبلاد.

هذا الأديب الكبير رأيته أخيراً ضيق الصدر، يحس بالكدر الشديد، وقد حدثني وهو يقول: أتظن أن هذه هي نهاية جهدي طوال السنين الماضية؟

وعندما سألته عن سبب كدره أجاب:

كتبت قصيدة رثاء في سمو المرحوم الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح، عبرت فيها عن محبتي لهذا الرجل، وعن الأسى لفقدانه. وشاركت بهذه القصيدة في المسابقة التي أقامتها الشيخة الفاضلة لطيفة الفهد السالم الصباح بين القصائد التي قيلت بالمناسبات، وقد حضرنا أنا وأنت ضمن من حضر حفل توزيع الجوائز على الفائزين، ونودي عليّ بأنني الفائز الأول، وتسلمت جائزتي في تلك الأمسية التي كانت روح المرحوم تطل علينا فيها.

مضت الأيام حتى جاء اليوم الخامس والعشرون من شهر يونيو لهذه السنة، فنشرت فاطمة يعقوب في جريدة «الوطن» محاورة ذكرت فيها أن الشاعر رجا القحطاني، قد فاز بالمركز الأول في المسابقة التي نوهت عنها. ولقد بحثت الأمر، فوجدت أن الجائزة الأولى كانت مناصفة بيني وبينه، ولكن الكاتبة المحاورة لم تشر إليّ من قريب ولا بعيد، وكأنني غير موجود، أو أن شاعرها قد انفرد فعلًا بالمركز الأول.

إن الأمانة الأدبية تقتضي أن تكون الأمور واضحة في هذا المجال، وألا يأخذ أحد حق الآخر وأنا لا ألوم الشاعر فقد لا يكون هو الذي أبلغها بذلك، ولا ألومها لو كان هو الذي أوقعها في هذا الخطأ. وكل ما أريده هو تصحيح الموقف.

وأنا بدوري أضم صوتي إلى صوت الأستاذ فاضل خلف وأرجو أن يعوض أدبيًّا عن هذا الخطأ.

****



## تنويه

دفعني إلى كتابة هذا المقال أخي الأستاذ عبدالرحمن الخرجي، حين تكرم فأهداني مجموعة من الكتب والمجلات ذات القيمة التاريخية، وكان من ضمن تلك المجلات أعداد من مجلة «الوعي الإسلامي»، بعضها من إصدار السنة الثانية، وبعضها الآخر مما صدر بعد ذلك بقليل، وقد وجدت مسيرة هذه المجلة تستحق أن تسجل في مقال.

ثم تكرم ذاكرة الكويت الأستاذ صالح المسباح فأعارني العدد الأول للسنة الأولى، وهو الذي جعلته مدار حديثي في المقال.

أشكر الأخوين العزيزين، وأتمنى لهما دوام السعادة والتوفيق.

****

# الشعاب والشعيبة في الكويت[1]

الشِّعاب جمع شعب بكسر الشين، ويجمع في اللهجة على شِعبان بكسر الشين أيضًا، والشعب مظهر من مظاهر أشكال سطح الأرض، وهو عادة ما يكون ممراً مائياً يختلف اتساعه من مكان إلى آخر بحسب الموقع، وبحسب تعرضه للأمطار من حيث النقص والزيادة.

أول ما يلي العاصمة من الشعاب الشعب المقابل للنقرة، وقد كانت الأمطار من مرتفعات تقع في غربيه حتى ينتهي سيلها إلى البحر، وكان هذا الشعب كبيراً، بل كان يمثل عدة شعاب في وقت واحد وسوف نفصِّلها فيما يلي من حديث عن شعاب الكويت.

ومما هو معروف أن هذا الشِّعب الذي نعرفه اليوم كان يحصر هو والنقرة السد الشهير الذي كانت البلاد ترتوي بمائه عندما تهطل الأمطار فيمتلئ بمائها، وبوجود هذا السد الذي سمي «سد النقرة» صار الشعب في مأمن من الانهيارات الأرضية التي قد يسببها تدفق الأمطار، ولذا بدأ الناس في السكن هنا بصورة أكبر مما كان الأمر عليه قبل قيام السد، وقد سبق لنا الحديث عن النقرة والسد وما حولهما، فلا داعي للعودة الى ذلك لما فيه من إطالة.

الشعب اليوم هو من ضواحي الكويت المعروفة، منطقة سكنية متكاملة الخدمات تبعد مسافة ستة كيلو مترات عن العاصمة، وكان عدد سكانها حتى سنة

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/٧/٢٢م.



٢٠٠٤م ٧٨١١ نسمة، وتوجد منطقة محاذية لها هي التي تسمى: الشعب البحري، تبدأ من نهاية الطريق الدائري الثاني بحرًا، إلى بداية شارع هارون الرشيد من جهة شارع الخليج العربي، وهذه المنطقة عامرة بالسكان، وفيها عدد من المباني المهمة منها قصر الشعب المعروف، ومدرسة عبدالله السالم وحديقة الشعب، وهذا الطرف الأخير المقارب لحديقة الشعب شرقًا وشمالاً: يُسمّى شعب الخالد، وكانت أسرة الخالد الكريمة تمتلك عدة أراضٍ هناك ولها منتجع فيه شجر، وأثل الخالد مشهور ولا تزال له آثار على الرغم من قدمه.

ومن الأسماء التي تطلقها اللهجة على الشِّعب لفظ (الشِّعيب) بكسر الشين، وهناك عدد من الشِّعبان في البلاد نذكر منها على سبيل المثال:

**١ - شعيب ابن هدبة، وهو شعب في منطقة خالية من السكان في جنوب غربي الكويت، يقع على التحديد في غربي آبار مياه العبدلية المعروفة.**

**٢ - شعب أبو الجرفان، وهو شعيب واسع في شمالي البلاد الأعلى، يحاذي طريق السالمي، تقابله من الشرق بعض مزارع العبدلي.**

**٣ - شعيب أبوالشحم وهو ممر مائي جاف تغمره مياه الأمطار في موسمها كغيره من الشعاب، وهو في شمالي الكويت.**

ونستطيع أن نحصي ما يقرب من اثني عشر شعيبًا كلها مذكورة على خريطة الكويت وقد ذكرنا وصفها وتحديد أماكنها في كتابنا (دولة الكويت، الأماكن والمعالم).

هذا ما يتعلق بالشعاب أو الشعبان، أما ما يتعلق بالشعيبة، فله حديث طويل موجزه ما يلي:

كانت الشعيبة قرية هادئة على ساحل الخليج في جنوبي العاصمة على مسافة ٤٤ كيلو متراً. وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى شعب كبير تقع عند مفيضة إلى

البحر. وما زال ذلك الشِّعب أو على الأصح الوادي واضحًا للعيان على الرغم من التغييرات الكثيرة التي طرأت على الموقع.

والشعيبة منطقة بعيدة العهد ورد ذكرها في الخرائط العالمية القديمة، ومنها خريطة كارل ريتر التي نشرها في كتابه علم الأرض، المنشور في ألمانيا سنة ١٨١٨م، وورد ذكرها أيضًا في خريطة رسمها هول بري ونشرت في سنة ١٨٥٦م في أدنبره، وكانت الخريطة تحت اسم: خريطة فارس وأفغانستان.

وذكر لوريمر «الشعيبة» في كتابه (دليل الخليج) فقال: «الشعيبة، تقع على الساحل، وتبعد ٢٤ ميلاً جنوب الجنوب الغربي لبلدة الكويت» وهو يقصد بقوله: بلدة الكويت: العاصمة.

وذكرها في موضع آخر فقال: «هي قرية ساحلية صغيرة في منطقة العدان في إمارة الكويت، وتتكون من خمسة عشر منزلاً، تقع داخل حصن مخرب (هو أشبه ما يكون بالسور) وسكانها عبارة عن عشرين أسرة من قبائل عربية مختلفة، وبها عشرة آبار عذبة الماء على عمق ستة عشر قدمًا. ولدى الأهالي مائة وخمسون نخلة، وبعض الأشجار، وهم يزرعون القليل من الشعير والخضراوات، كما أن لديهم ثلاثة قوارب أو أربعة لصيد اللؤلؤ. والقرية عبارة عن منتجع ريفي لسكان مدينة الكويت» وجدير بالذكر أن لوريمر كتب هذا في العقد الأول من سنوات القرن العشرين الفائت وبالتحديد في سنة ١٩٠٨م.

وذكر الشيخ عبدالعزيز الرشيد «الشعيبة» في كتابه (تاريخ الكويت) فقال عنها: «الشعيبة: هي أقصى قرية في الجنوب، على بعد ثلاثين ميلاً عن الكويت» (يعني العاصمة).



أما هارلد ديكسون فقد تحدث عن هذه القرية حديثًا يكاد يكون قريبًا من حديث لوريمر عنها، مع إضافات قليلة تعبر عن مشاهداته. يقول: «الشعيبة وهي آخر قرية ساحلية إلى أقصى الجنوب في منطقة العدان، وهي أيضًا من قرى القصور» (والقصور مجموعة من القرى تقع على الساحل مثل الفنطاس وبوحليفة والفحيحيل وغيرها) ويستمر ديكسون بعد ذلك قائلاً: «وتقع هذه القرية على بُعد سبعة وعشرين ميلاً إلى جنوب الجنوب الغربي من مدينة الكويت، وفيها مائة منزل، يسكنها أصحابها بصورة دائمة، وعدد من المنازل الصغيرة تدعى (حوطة) تسكن من وقت إلى آخر، وفيها - أيضًا - أنقاض قلعة كانت في يوم من الأيام المصيف المفضل لدى الشيخ جابر بن مبارك الصباح، وفي خمسة عشر آبار تحتوي على مياه صالحة للشرب، على عمق خمس عشرة قدمًا، وهناك - أيضًا - حوالي مائة وخمسين شجرة نخيل، وبعض أشجار السدر، وقليل من زراعة الشعير والخضار، ويملك سكان القرية مركباً أو مركبين».

ثم يعقب على ذلك بقوله: «إن قرية الشعيبة آخذة في التوسع والازدهار، وهي تقع مباشرة إلى جنوبي المدينة الحديثة على ميناء الأحمدي» وهو بذلك يقصد مدينة الأحمدي، أما ما توقعه للشعيبة فقد تحقق ولكن بصورة أخرى. وإذا لاحظ القارئ فروقًا بين حديث ديكسون ولوريمر فذلك بسبب المدة الفاصلة بينهما.

من المعروف أن قرية الشعيبة قد أزيلت ونقل أهلها إلى موقع آخر، وكان ذلك بسبب الضرر الكبير الذي كان الناس يتعرضون لمخاطره من جرّاء غازات النفط المنبعثة من كل مكان من حولهم. فلم تعد الشعيبة هي ذلك المنتج الذي يرتاده الناس بين وقت وآخر وعلى الأخص في أيام الربيع. كنت أزور هذه القرية في أواخر أيامها لأني أحببت هدوءها، وبحرها، ومبانيها الطينية الجميلة. كان الطريق إليها وعرًا لأن السيارات الضخمة التي تعمل في المنطقة قد حفرت ذلك الطريق الذي

كان معبدًا، وكان لها شارع واحد ترابي فيه عدد من الحوانيت البسيطة وفيها المدرسة. وقد أعجبت الشعيبة الشيخ أحمد الشرباصي فزارها عندما كان في الكويت، وحل ضيفًا على ناظر المدرسة في سنة ١٩٥٣م، وكان هذا هو الشاعر محمود شوقي الأيوبي.

وقد كتب الشيخ الشرباصي مقالاً طويلاً نشرته له مجلة البعثة، وصف فيه الطريق إلى القرية، ثم قال: «والشعيبة هي «القرية العذراء» التي تشعرك بالروح العذرية في كثير من أمورها... في خصب تربتها وبكارتها، وفي طباع أهلها وخصالهم، وفي صمتها وعزلتها، وفي حيائها وانزوائها، وفي إقامتها على سنن الفطرة الموروثة المعجبة وإن صحبها ما يشجي أو يشقي... انها كعذراء ساذجة، الجمال فيها مذخور».

ثم يدخل إلى استطراد شبه فلسفي ذاكرًا حالته النفسية في ذلك الموضع إلى أن انتشله موج البحر مما هو فيه ثم قال وعندما دنونا من «الشعيبة» لاحت لنا شجيرات السدر الناهضة كالواحة الصغيرة في طليعة القرية الرابضة بين رمال الصحراء وأمواج الماء» فذكرتني هذه بأبيات قالها شاعر الشعيبة الأستاذ شوقي ضمن قصيدة طويلة عن «القرية العذراء» وهذه الأبيات هي:

إن الشعيبةَ قريةُ
فيها السكون مخيمُ
الماءُ من آبارها
عذبٌ لروحي بلسم
والبحرُ في شرقيِّها
الموجُ فيه يدمدم
والسدرُ في غربيِّها
مثلُ البشيرِ يترجم



بريةٌ، بحريةٌ
نسماتُها تَتخرم
أحلامُها عذريةٌ
وطيوفُها تُستلهَم
الشِّعرُ فطريُّ الهوى
والروحُ فيها تحلم
فيها الصفاء كأنهُ
وجهٌ يشعُّ ويبتسم

ودخلنا القرية باسم الله، فإذا السهولة والبساطة والهدوء والجمال، واذا شوارعها واسعة، وبيوتها فسيحة مبنية من اللبن الأخضر المخلوط بالرمال، والحركة فيها خفيفة، فلا ذهاب ولا مجيئة الا من قلة، ومررنا على مقهى شعبي متواضع جلس فيه طائفة من أهل القرية، وبلغنا المدرسة التي نزلنا فيها وقد بنيت على طراز جميل، وفي مكان ساحر يشرف على الخليج تمامًا، حتى ليخيل إليك وأنت في المدرسة أنك لست في بناء مستقر على اليابسة، ولكنك في سفينة عائمة على البحر».

وفي الختام تحدث عن لقائه مع الناظر الشاعر، ثم عن رحلة العودة إلى العاصمة بعد يوم ممتع في الشعيبة.

كان الجو الطبيعي في هذه القرية مغريًا، ومساعدًا على القيام بعدد من الأنشطة، ولذلك فقد كانت دائرة معارف الكويت تكثر من الرحلات الطلابية إليها، وفي سنة ١٩٥٢م اتخذت جانبًا من أرضها مقرًّا للمعسكر الكشفي الذي اعتادت الدائرة النشطة إقامته لفرق الكشافة في كل سنة، ولكننا لم نجد ما يدل على استمرار المخيم لسنوات أخرى هناك.

الأستاذ محمود شوقي الأيوبي، من كبار شعراء الكويت، وهو إلى جانب ذلك أحد المربين البارزين، ولقد كان من سعادتي أن درسني في معهد الكويت الديني، وحضرت له عددًا من المناسبات التي كان يلقي شعره فيها، ومن هذه المناسبات أنه وقف في مسجد البدر بعد صلاة الجمعة فألقى قصيدة طويلة جميلة بمناسبة المولد النبوي، ولم يدفعه إلى ذلك الا رغبته في التذكير بهذه المناسبة المهمة في تاريخ الإسلام والمسلمين.

ولد الشاعر في سنة ١٩٠٣م، وتلقى دراسته الأولى في مدرسة الشيخ زكريا الأنصاري، التي سبق لنا الحديث عنها وعن صاحبها. ثم التحق بالمدرسة المباركية، ثم ذهب إلى خارج الكويت من أجل الدراسة فحصل في سنة ١٩١٨م على دبلوم المعلمين، ولكنه لم يكتف بذلك فقد كان كثير التردد على علماء عصره من أجل الاستفادة منهم حتى تمكن من الحصول على علم غزير.

قام برحلات كثيرة أهمها رحلته إلى أندونيسيا من أجل افتتاح مدارس لتعليم الدين الإسلامي واللغة العربية هناك، وبقي حتى سنة ١٩٥٠م حيث عاد، واشتغل بالتعليم في معهد الكويت الديني كما ذكرت، ولكنه تنقل بين عدد من المدارس وتولى نظارة مدرسة الشعيبة، وحولي، ومدرسة الأحمدي حتى سنة ١٩٦١م.

كان الشاعر الأيوبي غزير الإنتاج الشعري مشاركًا في كل مناسبة، وكان الاستاذ عبدالله زكريا الأنصاري حريصًا على إيصال إنتاج الشاعر إلى الناس فقام أولًا بنشر عدد من قصائده في مجلة البعثة عندما كان رئيساً لتحريرها، ثم طبع له أول ديوان وهو (الموازين)، ثم تتالت دواوين الشاعر المطبوعة فرأينا له: رحيق الأرواح، وهاتف من الصحراء، والأشواق، وألحان الثورة، وله ثمانية دواوين شعرية لم تنشر حتى الآن، نأمل أن يهتم بها من يعنيهم الأمر.

وبعد تقاعد الأستاذ الشاعر محمود شوقي الأيوبي من العمل بسنوات قليلة، انتقل إلى رحمة الله، وكان ذلك في سنة ١٩٦٦م.



واحتضنت الشعيبة شاعراً آخر هو أحد أبنائها وكان شاعراً يعبر عن نفسه على نمط الشعر النبطي، ذلك هو الشاعر عبدالله بن محمد بن غصاب، وهو من الشعراء المجيدين، له قصائد كثيرة ضاع أكثرها للأسف الشديد لعدم وجود من يدوِّن شعره ويحتفظ به، سكن قرية الشعيبة، وعمل في البحر، وتوفي في بداية أربعينيات القرن الماضي، وكان يكثر من المطارحات الشعرية مع شعراء عصره يكتب لهم الشعر ويردون عليه وبالعكس ومن هؤلاء الشاعر زيد الحرب والشاعر فهد عبدالمحسن الخشرم، وله عدد من القصائد تنسب إلى شعراء آخرين، وهذا أمر يصعب اتخاذ موقف حياله.

ومن مطارحاته هذه الأبيات الجميلة التي أرسلها إلى الشاعر فهد العبدالمحسن الخشرم، وفيها يتحدث عن شعره وإجادته له وأنه يطرب السامعين، ويتحدث عن نفسه قائلاً إنه إنسان بسيط غير متكلف، ومع ذلك فإن الزمان لم يتركه على هدوئه وراحة باله وبساطته، فها هو يحس بقدوم البلاء الذي يدل عليه رفيف عينه، وهو الأمر الذي أزعجه وجعله يتوقع الأذى القادم، لأنه كلما توقف هذا الرفيف عاد كما كان، حتى أصبح لا يعرف طريقه فيمضي مسلمًا للطف الله، بعد أن أصبح كالمعلم الذي يهدي السفينة في عباب البحر، وقد ضيع مجراه، وأصبحت السفينة تسير على غير هدى. وفي هذا البيت الذي تحدث فيه عن المعلم والسفينة ومسيرها على غير هدى علامة من علامات علاقته بالبحر، وركوبه له:

قال بن غصاب نزال الطرف
جيل نظم كنه اللولو نظيف
نادر الشعار لو سمعه وقف
يطرب اللاعوب لو نظمه خفيف
ماشي بالهون ما هو بالكلف
حيث راعي العرف ما يبغي اتعريف

خذت لي يومين واعيوني ترف
أشغلتني وأبلشتني بالرفيف
كل ما قلنا رفيف العين كف
رفرفت عيني وصار امري عنيف
المعلم تاه والمجرى اختلف
دابرين تحت لطفك يا لطيف
يا فهد يا مسندي طاح الشرف
راحت الشيمات يا زبن الضعيف

أما في الغزل فله قصائد كثيرة، فلم يمنعه ضيق الحال، والشقاء المعيشي الذي عاناه وظهر في بعض قصائده عن أن يبدع في المجال الغزلي الذي لم يكد يخرج عنه شاعر:

يا خوك تلعات المها صوبني
ليت الهوا خيره لشره يلادي
لي قلت أجوز امن الهوى وأرجهني
جاني على غفلة بلاية اجتهادي

لقد أصابته سهام الحب المسددة إليه من الجميلات المشبهات للمها طويلات الأعناق، حتى صار يتمنى أن يكتفي بما كان فيه من انطواء، وأن يقابل الهوى خيره بشره، فلا تتعرض إليه الآن بعد أن أدركته الإصابة البليغة، ولكن لا فائدة من ذلك فهو كلما قال لنفسه، سوف أمتنع عن الخضوع للهوى وأصد بنفسي عنه فيهدأ بالي؛ وأرتاح جاءه هذا الهوى على حين غفلة، فأوقعه في شراك لا مخرج له منها.

لم تعد تلك القرية الجميلة قائمة منذ سنة ١٩٦٤م عندما صدر المرسوم الأميري في اليوم الرابع عشر من شهر مايو للسنة المذكورة بإنشاء الهيئة العامة لمنطقة الشعيبة الصناعية، وهي الهيئة التي سميت فيما بعد باسم: الإدارة العامة لمنطقة الشعيبة وذلك في سنة ١٩٧٠م. وتقدم هذه المؤسسة المهمة أعمالاً كثيرة في المجال الصناعي تتركز في أربعة بنود هي البنود التالية:



١ - التخطيط والتطوير والتنمية والإشراف العام على المنطقة.

٢ - خدمات مباشرة تقدمها للشركات العاملة في المنطقة.

٣ - خدمات غير مباشرة توفرها الإدارة للشركات المذكورة في رقم (٢).

٤ - خدمات توفرها الإدارة بالتنسيق مع الجهات الحكومية الأخرى.

وفي سنة ١٩٦٧م أنشئ ميناء الشعيبة لخدمة الصناعات العاملة هناك وبه خمس مراس بأعماق تتراوح بين ٢٣ و٣٧ قدمًا، وبطاقة إجمالية كبيرة جدًّا. وتضم المنطقة عدداً من المباني الخدمية كالمركز الطبي الصناعي ومكتب البريد ومكتب مراقبة التلوث إضافة إلى المسجد، ومركز الإطفاء، ومخفر الشرطة، وهذا الحديث عن سنة ١٩٧٨م ولكن السنوات التي تلت قد أضافت الكثير من الأعمال والخدمات المهمة التي يحتاج إليها القطاع الصناعي العامل هناك.

وبعد فهذا كله حديث سريع عن قرية الشعيبة التي زالت من الوجود، إذ لم يكد يتقرر نقل سكانها حتى أزيلت كافة مبانيها، ولم ينسوا أن يهدموا المسجد والمدرسة إن لم يكن هذان المرفقان أول ما تم هدمه هناك. ولقد حرصت على تقديم البيانات الممكنة حتى لا ننسى قرية عاش على ثراها عدد من أبناء الوطن لهم فيها أعمال ولهم فيها ذكريات. وكل ما أتمناه أن يقوم أحد الناشطين بتأليف كتاب مستقل عنها يتضمن وصفها وبيان ما فيها من مبانٍ، ويتحدث عن رجالها وأعمالهم التي كانوا يزاولونها، وعن كافة الأنشطة القائمة فيها.

إن تسجيل كل ذلك أمر مهم فيه حفظ لتاريخ جزء عزيز من بلادنا وإن لم نبادر إلى هذا العمل حالاً فسوف يتم نسيان كل شيء عن قرية الشعيبة.

فهل يستجيب أحد؟

****

## لقاء في الأحمدي[1]

هذا حديث وعدنا بالعودة إليه عندما عرضنا كتاب «دليل الكويت اليوم» ضمن الأزمنة والأمكنة، وسوف لا يكون ما نقدمه هنا مجرد تلخيص لما هو في ذلك الكتاب، فهذا حديث خاص كان الدافع إليه هو ما جاء في الكتاب المذكور، فقد قلنا آنذاك إن الحديث عن الأحمدي مدينة النفط مؤجل إلى موضوع آخر بسبب ضيق المكان عندما قدمنا مقالنا السابق، إضافة إلى وجود معلومات ينبغي الإحاطة بها غير ما ورد في ذلك الكتاب.

تقع الأحمدي على القسم الجنوبي من السلسلة التي يطلق عليها اسم: الظهر، وهي ارتفاع ممتد من الجزء الذي يطلق عليه اليوم اسم: منطقة الظهر إلى أن ينتهي بنهاية الأحمدي، وهذه المدينة جزء من العدان البري الذي يقابل العدان البحري الممتد على ساحل البحر.

تقع مدينة الأحمدي إلى الجنوب من أرض المقوع، وهي من المدن المنشأة حديثاً (نسبياً)، وكان الغرض من إنشائها هواستخدام المباني التي تقام فيها لأعمال شركة نفط الكويت، ولذا فإن بها مقر تخزين الزيت الخام الذي يجمع من الحقول المجاورة، ومن حقل في الأحمدي ذاتها، ثم ينصبّ بوساطة الجاذبية الأرضية إلى ميناء الأحمدي على الساحل، وهو وإن أخذ هذا الاسم إلا إنه يقع في مدينة الفحيحيل الساحلية وهي من كبريات المدن التي كانت في الماضي قرى يطلق

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٩/٧/٢٠٠٩م.



عليها اسم القصور (جمع قصر). هذا وقد سميت مدينة الأحمدي بهذا الاسم تيمناً باسم المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح أمير الكويت الأسبق، الذي بدأ استخراج النفط في عهده.

من أهم المواقع المحيطة بمدينة الأحمدي، موقع المقوع الذي كان طريق الكويت الأحمدي القديم يمر به، وهواليوم مركز نفطي معروف، وموقع أوارة الجبل التاريخي المشهور، وموقع برقان الذي يضم حقلاً كبيراً من حقول النفط، ومنه خرجت صادرات النفط الكويتي لمدة طويلة، وموقع الفحيحيل الذي ذكرناه قبل قليل.

تبعد الأحمدي عن مدينة الكويت مسافة ٤٢ كيلو متراً، وكانت العناية الكبيرة بطرقاتها ومبانيها وحدائقها وكذلك قربها من العاصمة سبباً من أسباب تدفق الناس عليها في العطلات حيث يمضون يوماً جميلاً في الحديقة العامة الواسعة التي تضم إضافة إلى الزهور والأشجار والحشائش الخضراء عدداً من الحيوانات الأليفة والطيور، وكلها تُسعد الزوار ولا سيما منهم الأطفال.

تذكرنا بهذه الرحلات التي كان يفد خلالها الناس إلى الأحمدي رحلة قام بها الشاعر فهد العسكر الذي كانت له زيارة إلى هذا الموقع الجميل من مواقع بلادنا فذكره في شعره. ونحن في غنى عن الحديث المسهب عن الشاعر العسكر، فهو معروف للجميع، وقد كتبنا عنه مراراً في «الأزمنة والأمكنة» وكان الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري قد اهتم به كثيراً وجمع شعره في كتاب أصدره تحت عنوان: «فهد العسكر، حياته شعره» وقد واصل البحث عن القصائد بعد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب، مما جعل القسم الأكبر من إنتاج العسكر بين أيدينا بفضل الأستاذ عبدالله زكريا.

وسوف يرى قارئ الكتاب المشار إليه عدداً لا بأس به من القصائد وكلها يمتاز بلغة راقية، وتعبير صادق وحرص على انتقاء المعاني والألفاظ مما يجذب من يطلع على هذه القصائد إلى متابعة قراءتها والاستمتاع بما فيها من معانٍ وألفاظ جميلة.

تحدث فهد العسكر عن يوم من أيام رحلاته إلى مدينة الأحمدي، وذكر أنه لقي هناك بناء على اتفاق سابق من كان يأمل لقاءه، وكان طرف اللقاء المقابل للشاعر فتاة جميلة سعدَ العسكرُ بالحديث إليها والسلام عليها، وقال:

بأبي وأمي من مددتُ لها يدي
عند اللقاء مصافحاً في الأحمدي
غيداءُ عرّج بي عليها أغيدُ
من أهلها أنعم بذاك الأغيدِ

ثم يضيف الشاعر متحدثاً عن الغيداء:

ملكت عليَّ مشاعري بحديثها
وبلطفها وذكائها المتوقدِ
فملاحةٍ وسماحةٍ وصراحةٍ
ورجاحةٍ بالعقل فاشكر واحمدِ
دنيا من الأشذاء والأضواء في
فستانها الزاهي الرقيق الأسودِ

الأحمدي هي ابنة النفط، ولولا تدفقه في منطقة قريبة منها لما أمكن أن يفكر أحد في إنشائها في ذلك الوقت على الأقل، فقد وجد العاملون في المجال النفطي بعد ظهور النفط في حقل برقان أن الأمر سوف يحتاج مستقبلاً إلى كثير من الأماكن الملائمة لإدارة شركة نفط الكويت، وبقية الأقسام والورش والمختبرات والمساكن، وهذا يقتضي قيام مشروع كبير يستوعب كل ذلك، فجاء التفكير في اختيار موقع مدينة الأحمدي الحالي لكي يكون مقراً. ومن حيث الزمان فقد بدأ ظهور المدينة من بعد سنة ١٩٤٦م، وكان البناء على الأرض يتتابع منذ سنة ١٩٤٩م، أما قبل ذلك فكان الموضع ممتلئًا بالخيام والمكاتب الهندسية المؤقتة التي استمرت على وضعها هذا إلى أن قامت المباني التي استوعبت جميع احتياجات الشركة.



آنذاك. ثم أخذت في التوسع سنة بعد أخرى وفقًا للحاجات المستجدة في عمل شركة نفط الكويت. ومن حيث المكان فقد تم اختيار الموقع لأنه كان ملتقى المناطق المجاورة التي ذكرناها قبل قليل. ولأنه على ارتفاع عن سطح البحر يقدر بأربعمائة قدم. مما أعطى المهندسين فرصة لاستغلال طبيعة الموقع استغلالاً جيداً حتى لقد كان عملهم الجيد واضحًا منذ أن يشرف القادمون إلى الأحمدي عليها من التل الذي بنيت عليه مباني المحافظة فيما بعد. فما إن يطل المرء من هذا التل حتى يشاهد المباني الجميلة المصفوفة والطرق المعبدة المنتظمة، والأشجار والحدائق والزهور مما يكسب المكان جمالاً وروعة.

وما دمنا نتحدث عن تاريخ هذه المدينة الجميلة فإن من الأفضل أن تختار مما نشرته شركة نفط الكويت عن أعمالها في سنة ١٩٥٦م، وذلك في كتاب صدر عنها تحت عنوان: «الكويت في ماضيها وحاضرها» وهو كتاب شامل عن الكويت ماضيًا وحاضرًا ركزت فيه على أعمال الشركة، ونحن هنا ننتقي بعض ما جاء فيه عن الأحمدي منذ نشأتها حتى السنة التي صدر فيها الكتاب، وهذا مختصر لذلك:

على الموقع الذي تحدثنا عنه بدأ العمل في إنشاء الأحمدي وقد - كانت البداية - في تحضير المنشآت الفنية، ثم اتجهت الشركة إلى بقية الأعمال المطلوبة، ولذا فقد جاء في الكتاب حول هذا الأمر:

«وبجانب المنشآت الفنية قامت الشركة ببناء البيوت وجميع المنشآت اللازمة بمختلف الخدمات، فأعدّت جميع وسائل الراحة لموظفيها في مدينة الأحمدي، التي تطورت تدريجيًّا فأصبحت مدينة منظمة، واسعة الأرجاء، مبنية على أحدث طراز بعد أن كانت منطقة جرداء خالية من السكان.

ومدينة الأحمدي مزودة بالطرق المعبدة، وبالكهرباء والغاز والماء في الأنابيب والمجاري والتلفون. ولها مساجدها الخاصة وفيها مدارس وقاعات سينما ومطاعم

ودار ضيافة ومصرف ومكتب بريد وحوانيت للمواد الغذائية والبضائع الأخرى وفيها محطة للمطافئ ومطبعة ومخبز ومغسلة ومعامل تبريد لخزن المواد الغذائية المناسبة للموظفين وحفظها».

ولم تكتف الشركة بإنشاء المساكن من أجل إيواء موظفيها وعمالها بل قامت بالاهتمام بالنواحي الترفيهية، وأقامت لهذا الغرض عدداً من الأندية المزودة بالملاعب لكافة أنواع الألعاب، وحمامات السباحة، وكل ما يحرك النشاط البشري لدى العاملين في مجال يعتبر من أشد مجالات العمل قسوة. والشركة بهذا الذي تقدمه للعاملين بها تحاول أن ترفع من معنوياتهم وتؤهلهم نفسيًّا للاستمرار في العمل والإبداع فيه.

ويضيف كتاب الشركة إلى ماسبق أن نقلناه هنا عبارات عن الجو العام للأحمدي وفق ما تم تجهيزه من مرافق، وجاء من ذلك:

«والشركة تقدم لموظفيها المغتربين أحدث المرافق لتسهل لهم الحياة وتجعلها سارة وتتغلب على حرارة ورطوبة طقس الخليج. والمنازل جذابة في مظهرها وتصميمها مجهزة بكل المرافق الحديثة. وهي تزود بمياه الآبار المالحة لري الحدائق المحيطة بها وتنمو في هذه الحدائق الأشجار المزهرة وغير المزهرة والكثير من أنواع زهور الفصول السنوية.

وقد تحولت الآن الصحراء الموحشة إلى منازل بيضاء جذابة وشوارع تصطف على جوانبها الأشجار وحدائق غنَّاء تطل على البحر من علٍ».

ولم ينسَ الكتاب ذكر مرافق التعليم الخاصة بالعرب من كويتيين وغيرهم، فيقول:

«وفي سنة ١٩٥٤م افتتحت، في بنايات قدمتها الشركة، مدارس للطلاب والطالبات العرب تديرها وترسل المعلمين إليها دائرة المعارف في الحكومة، ويوجد



في هذه المدارس حاليا ما يقرب من ٢٠٠ طالب و١٥٠ طالبة. ويجرى اتصال واسع وتبادل في الآراء بين معلمي الشركة ومعلمي حكومة الكويت، والطلبة في المدارس العربية يشتركون في الألعاب السنوية التي تنظمها الشركة».

أما الخدمات الصحية فقد كان لها حديث طويل وذلك للاهمية القصوى لهذا المرفق الحيوي، وقد بدأ هذا النوع من الخدمة الإنسانية منذ سنة ١٩٤٧م، فقد تم افتتاح مستشفى في المقوع، ثم في الأحمدي، وكانت العناية الصحية تامة فيهما، وكان المرضى يجدون الاهتمام الكافي والعلاج النافع.

هكذا تبين لنا أن شركة نفط الكويت كانت في البداية تهتم بكافة الاحتياجات الإنسانية من تعليم ورعاية صحية، وإنشاء طرق، وزراعة، وإعداد ملاعب للترفية عن السكان. ولكنها لم تكن تقوم بأي مجهود يتعلق بالأمن العام في المنطقة سواء أكان ذلك في المجال الاجتماعي وحماية الناس والأموال أم في مجال حماية منشآت النفط بكافة أنواعها. ولذلك فقد تكونت منذ سنة ١٩٤٩م دائرة أطلق عليها اسم: دائرة الأمن العام في منطقة الأحمدي. وقد تولى مسؤولية هذه الدائرة المرحوم الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، الذي كان له دور كبير في حماية الأحمدي، واستتباب الأمن فيها، واطمئنان الناس والشركة بوجه عام على كل الأرواح والممتلكات التي كانت دائرة الأمن العام تتولى مسؤولية الحفاظ عليها، وقد تجلّت الحماية على حقيقتها أثناء مرور بعض الأحداث الخارجية التي كان لها تأثيرها على مجرى الحياة في الكويت كما حدث أثناء عدوان سنة ١٩٥٦م على مصر، فلم تتأثر أعمال الشركة بفضل قيادة الأمن العام في الأحمدي، وقد كانت هذه الدائرة تعنى بتنظيم السير وحفظ الأمن العام عندما يتدفق الزوار على المدينة في العطلات، فلم تكن تحدث أية حوادث تكدر الأمن أو تضر بصفو الحياة.

وقد استمر الشيخ جابر الأحمد الجابر في عمله المنتج هذا حتى سنة ١٩٥٩م، حين تولى رئاسة دائرة المالية فترك منصبه في الأحمدي بعد أن قام بترسيخ النظام وتطبيق العدالة على الجميع هناك. ولقد سارت هذه المنطقة فترة من الزمن في ظل ما تركه فيها من أعمال كبيرة وعندما صار رئيساً لدائرة المالية لم يكن بعيداً عن أعمال الأحمدي، فقد كان من اختصاص رئاسة هذه الدائرة تمثيل الأمير لدى شركات النفط، ومتابعة كل الخطوات التي تخطوها في مجال عملها.

وعندما بدأ تقسيم الكويت الى محافظات تقرر في اليوم الثاني عشر من شهر فبراير لسنة ١٩٦٢م أن تكون الأحمدي وبعض ما حولها محافظة يتولى مسؤلويتها محافظ، ولذا فقد تقرر اختيار الشيخ جابر العبدالله الصباح لكي يكون محافظًا لهذه المحافظة. وقد بقي في منصبه هذا إلى سنة ١٩٨٥م، إذ صدر مرسوم أميري بتوليه محافظة العاصمة، والشيخ جابر رجل معروف بدماثة الخلق، والاهتمام بتقوية علاقاته بالناس جميعًا، وهو معروف - كذلك - بمعرفته بتاريخ الكويت ومواقعها ورجالها، وله نشاط رياضي وثقافي، واهتمام بالمشاركة في الأندية وتأسيس بعضها، عين في سنة ١٩٩٠م وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل، ثم صار مستشاراً في الديوان الأميري، وقام بعدة مهمات بناء على تكليف سمو أمير البلاد منها قيامه بحمل الرسائل الأميرية إلى رؤساء مجلس التعاون الخليجي بعد التحرير، وقيامه بتسليم رسائل أخرى الى رؤساء بعض الدول الغربية وقد مثل أمير البلاد في عدد من المواقف الرسمية وهو - متعه الله بالصحة والعافية - جدير بأن نكثر من الحديث عنه لأنه يستحق أن يعرف الجميع عنه كل شيء منذ بداية دراسته إلى أن وصل إلى وضعه الحالي مستشاراً لأمير البلاد، مع التعريج على كثير من المعلومات التي يجدها المرء عنده إذا تحدث إليه، فأفاض بحديث ممتع يتناول الكثير من المعلومات والذكريات، آمل أن تكون لنا فرصة أخرى فنلبي لأنفسنا هذه الرغبة الملحة لكي يمتعنا الشيخ أبو أحمد بكثير من مكنوناته.



نعود مرة أخرى إلى الحديث عن الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح الذي تولى المسؤولية الأمنية الكاملة في الأحمدي، وقد ذكرنا أنه لم ينقطع عن هذه المهمة حتى بعد أن صار رئيسًا لدائرة المالية، لأن رئيس هذه الدائرة هو المسؤول عن علاقة الحكومة بشركات النفط. ونشير هنا إلى أن العمل الأول الذي ارتبط به وأجاده، قد اكسبه في الوقت نفسه خبرة كبيرة في الأعمال العامة فقد نجح أيضًا بصفته رئيسًا لدائرة المالية، وقد قام بالكثير من المشروعات النافعة والأفكار التي عادت على البلاد بالخير العميم، ويكفي أن نذكر منها مشروع الميزانية العامة للدولة والمشروعات الاستثمارية التي بدأت الكويت من خلالها في استثمار الناتج المالي من مبيعات نفطها، وغير ما ذكرنا كثير يمكن الرجوع إليه في مؤلفين قيمين أصدر الديوان الأميري أحدهما، وأصدر مركز البحوث والدراسات الكويتية ثانيهما. وعندما صار رئيسًا للوزراء وليًّا للعهد في اليوم الثلاثين من شهر نوفمبر لسنة ١٩٥٦م، والحادي والثلاثين من شهر مايو لسنة ١٩٦٦م على التوالي؛ قام بأعمال كثيرة كلها تصب في مصلحة الكويت وأهلها، وقد سرد الكتابان المذكوران أعلاه كثيراً من إنجازاته في هذه الفترة، مما ينير لنا سيرته الذاتية ويحفظ له ذكراً عاطراً في تاريخ الكويت وفي نفوس الكويتيين.

لقد اكتسب الشيخ جابر خبرات كثيرة حتى إذا تولى حكم البلاد في اليوم الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر لسنة ١٩٧٧م كان على أتم الاستعداد لقيادة البلاد من حيث المقدرة والخبرة والإحاطة بأحوال الكويت من جميع النواحي، ولقد مرت به أثناء فترة حكمه أحداث كثيرة وكبيرة كان أهمها الغزو العراقي للكويت في اليوم الثاني من شهر أغسطس لسنة ١٩٩٠م وقد اجتاز بالبلاد كافة النوازل التي مرت بها، وخطا بتنميتها خطوات كبيرة تذكر له على الدوام، وقد توفي رحمه الله في اليوم الخامس عشر من شهر يناير لسنة ٢٠٠٦م، بعد أن ترك في نفوس الناس محبة له، وتقديرًا لجهوده ولا نزال ندعو له بالرحمة والمغفرة من الله سبحانه.

جاء على رأس محافظة الأحمدي بعد الشيخ جابر العبدالله الجابر عدد من المحافظين كل منهم قام بجهد مذكور في عمله، وهذه المحافظة اليوم برعاية محافظها الشيخ الدكتور ابراهيم الدعيج الصباح، وهو من الرجال الذين أدوا لوطنهم أجل الأعمال في مختلف المراكز منذ تخرج في الجامعة اللبنانية سنة ١٩٦٨م، وحتى أكمل دراسته العليا في سنة ١٩٧٣م متخصصًا في العلوم السياسية. فقد كان في الفترة ما بين سنتي ١٩٦٨م و١٩٧٥م رئيساً للدائرة السياسية في الديوان الأميري، وفي الجزء الأخير من هذه الفترة صار وكيلاً مساعدًا للشؤون السياسية والقانونية في الديوان ذاته ولم يلبث أن صار مديراً عامًا للهيئة العامة لشؤون الزراعة والثروة السمكية وأصبح في نهاية عمله هذا رئيسًا للهيئة المذكورة، وقد دام عمله بقسميه منذ سنة ١٩٨١م إلى سنة ١٩٩١م.

صار محافظًا للجهراء في سنة ١٩٩١م، وانتقل بعدها إلى الفروانية، ثم إلى الأحمدي التي لا يزال محافظًا لها.

وللحقيقة فإن هذا الرجل النشط منذ زاول عمله في هذه المحافظة وهو يقوم بدور كبير في سبيل الحفاظ على المستوى الذي وصلت إليه في عهد المرحوم الشيخ جابر الأحمد الجابر، وعهد الشيخ جابر العبدالله الجابر حفظه الله. فقد كانت محافظة الأحمدي في عهدهما في طور يختلف عما آلت إليه فيما بعد وها هو الشيخ الدكتور إبراهيم الدعيج الصباح يعيد إليها كثيراً من وهجها القديم ويشرف بنفسه على عدد من الأنشطة، ويهتم بأن تكون في المستوى اللائق الذي كانت عليه في عهدها الزاهر وفقه الله وأعانه على هذه المسؤولية.

الأحمدي درة فريدة وواحة جميلة غناء في وسط الصحراء والحقول النفطية، وهي في وضعها الذي كانت عليه، والوضع الذي هي عليه الآن دليل على مكافحة الإنسان للصعوبات الطبيعية، ومقدرته على تحويل الفيافي القاحلة إلى حدائق



ومبانٍ وطرق ومدارس ومشافٍ وكل ما يحتاجه لمواصلة حياته، كل ما نرجوه الآن هو المحافظة على هذه الدرة من حيث نظافة طرقها ومبانيها، ومن حيث حمايتها من التلوث ومن الضجيج الذي صاحب انفتاحها بعد تأميم النفط.

****

# ملحاق خير

يعرف القارئ مقدار حرصي على تصحيح أي خطأ قد يُنبِّهني عليه صاحب فضل، وأكثر التنويهات والتنبيهات التي أنشرها مع مقالات «الأزمنة والأمكنة» إنما هي من هذا النوع. فهي دليل على احترام القارئ واحترام العلم، والبحث عن الحقيقة وعدم إهمال الدلالة عليها.

ولقد نشأت في بيئة علمية علَّمنا رجالُها أن يكون بين أعيننا دائماً ذلك القول المشهور الذي مؤداه: «رحم الله من أهدى إليّ عيوبي» والإهداء يعني تقديم النقد أو التصحيح كما تقدم الهدية بالرفق واللين، وعدم السباب وتطويل اللسان على المهدى إليه، وإلا فإنها لا تكون هدية، بل هي شتيمة تدخل في باب الشتائم.

أقول هذا بمناسبة قراءتي لما كتبه سلطان بن عبدالهادي السهلي من تعليق على موضوع كتبته في كتابي: «السيدان، قبس من ماضي الكويت»، الذي صدر في سنة ١٩٩٨م. والموضوع الذي أشير إليه خاص بموقع يسمى الشقيق باللفظ العادي وليس بلفظ التصغير، وهو ما جاء في شعر الشاعر عوف بن عطية الخرع الذي تمثلت له ببيتين من أبيات قصيدته التي وردت في كتاب المفضليات كما ذكرت في الكتاب، وقد حرصت على أن يأتي النص مطابقاً لما جاء في القصيدة في موقعها من المفضليات.

ولقد ورد ذكر الشقيق في كتابي مرتين وكلاهما كان وروداً عرضياً، أولهما كان في ص ٢٤ ضمن نص منقول عن الأستاذ حمد الجاسر كما هو واضح في



الكتاب وجاء في الهامش أن ما ذكره الأستاذ عن الشق ضمن مواقع أخرى سوف يرد عند الحديث عن الشقيق الذي هو الاسم القديم للشق. وجاء الورود الثاني عند حديثي عن المناقيش في ص ٥٧ من الكتاب، وهنا ذكرت البيتين اللذين أشرت إليهما في بداية حديثي هذا ولم يكن كل ما ذكرت في الموضعين تفسيراً كاملاً شاملاً لكل ما يمكن أن يقال عن الشق أو الشقيق وكان ينبغي أن يفطن هذا الكاتب الى أن كل ما كتبته عن الأماكن في الكويت إنما أقصد ردها إلى الأصول القديمة وأبيّن أنها معروفة عند العرب بالاسم أو مع تغيير طفيف فيه.

ولذلك فإن الأمر إذا كان كما يزعم أن ما ينطق به في الوقت الحاضر هو تصغير الشقيق، فإن ما ذكرته هو عودة إلى الأصل الموجود في الشعر العربي القديم، وفي كتاب معجم البلدان.

ولكن الكاتب فيما يبدو كانت تسيطر عليه فكرة يملؤها الحقد، وبالحقد لا يستطيع الانسان أن يتعلم أو أن يُعلِّم فما بالك في أن ينقد نقدًا سليمًا بعيدًا عن الأمور التي تُسَوِّل له بها نفسه.

يقول إنني قد تحيرت في موضع الشقيق وكيف أتحير وعندي هذه المراجع، ولكن طريقي يختلف عنه، ومن دلائل سوء نيته أنه ذكر جزءاً مما كتبته عن الشقيق وفي أوله: «الشقيق موضع بالقرب من الوفرة..... وقد وضع رقمًا على كلمة الوفرة وكتب في هامش الصفحة: (تحريف: صوابه الوفراء)» فمن هو المحرف أنا أم الناس في الكويت جميعًا؟، أم خرائط الكويت المنتشرة في كل مكان؟ والصواب الذي ذكره لم يغب عن بالي فقد ذكرته منذ سنة ١٩٩٥م، وبينت آنذاك الاسم الحقيقي للموقع بعد أن وصفته وذكرت عدداً من الأبيات التي تؤكد ما أقول، وها أنت ترى أن هذا الأمر لا يخفى عليّ ولكني هنا آثرت ذكر اللفظ الدارج، ولا يعتبر ذكره تحريفًا كما يحلو لك أو تريده نفسك الكارهة.

ثم يقول الكاتب كلمة هي إلى السخف أقرب، إذ ذكر ما يلي: «وفي كلام الدكتور يعقوب تخليط وعدم تثبت فالذي ذكره ياقوت رحمه الله – هو الشَّقيق بفتح الشين وكسر القاف، وهو غير الذي في بلادنا ونتكلم عليه هنا وهو الشُّقَيق - تصغير الشُّق بضم الشين وفتح القاف» ثم يكمل قوله: «أما قول الدكتور يعقوب عن الشقيق: «له ذكر في كتب المعاجم العربية فلا نصيب له من الصواب، لأن الشُّقيق اسم حديث أطلقه العرب الأواخر على الوادي الصغير المجاور لوادي الشق الذي كان يسميه العرب الاوائل: وادي السيدان».

ويبدو أنه كان حاضرًا عندما اجتمع القوم الذين يعنيهم فأطلقوا هذه التسمية. وهو بجانب ذلك يدعي أن وادي الشق هو السيدان. ويجزم بأن ما قلته ليس له نصيب من الصواب، وهذا لعمري ادعاء باطل لا حدَّ لبطلانه. فقد شرحت كل ما يتعلق بالسيدان في كتابي السيدان الذي ذكرته في بداية حديثي هذا، وذكر وادي الشق وارد هناك غير أن ما ورد لا يعدو أحد الأقوال التي وردت عن موقع السيدان، وحتى ما ذكره الأستاذ حمد الجاسر عن هذا المكان فقد أوردته بنصه، فأنا لست بحاجة إلى أن يقوم هذا الكاتب بتذكيري به. وأنا على يقين من أن كتابي هذا لم يبتعد لحظة عن يديه. بدليل أنه كان يتتبع ما أقول ويعلق عليه بالأسلوب الخارج عن الذوق الذي عرفناه عنه وأشرنا إليه، لقد تحدثت كثيراً عن موقع (الصعاب) وذكرت أنني أظن أنه هو المنطقة التي يطلق عليها اليوم كبد والصليبية وأمغرة، قلت ذلك ظناً ولم أجزم به، وما دفعني الى هذا الظن إلا الوصف الذي قرأته عن الصعاب، فانظر ما كتب هذا الكاتب: «وهذا تحديد لا نصيب له من الصحة، وهو من كيس الدكتور يعقوب» فهل هذا القول ينم عن الذوق السليم؟ وهل يريدنا هذا الكاتب ألا نبحث حتى نتوصل الى ما غاب عنا من أسماء المواقع الكويتية.



ولو تتبعتُ كل ما أوردته أنت أيها الكاتب من أخطاء تدعي عليّ بها الغلط فإن ذلك سوف يطول لأن كل ما قلته مردود عليه واضح الخطأ. وأنا لم أكتب هذه الكلمة لأبين لك شيئاً ولكني كتبتها حتى أبين بُعْدَ ما كتبته عن الصدق وأنه يعبّر عن نية خبيثة، وأنا أحتفظ لنفسي بتعليقات كاملة تكذب كل مزاعمك.

إن أسلوبي في العمل منذ البداية، وسوف يراه هذا الكاتب كثيراً هو البحث عن الأماكن ذات التسميات المقاربة للأسماء القديمة، أو التي ورد ذكرها قديماً، وذلك أملاً في الوصول الى التسمية القديمة الحقيقية للموقع الذي أقف عليه. وقد ذكرت مراراً أنني لا أجزم ولكني أقدم الدليل، والباقي متروك لأبحاث المستقبل مني أو من غيري. وأنا متمسك بطريقتي هذه وإن كانت لا ترضي هذا الكاتب لأن رضاه لا يهمني إطلاقاً. ولأن ما كتبه يدل على نوايا سيئة دفعته الى متابعة كل ما كتبت والطعن عليّ فيه، ولكن ما يرضيني هو أنني أسلك السبل السليمة في البحث العلمي، ولم أعَبِّر عن شيء لمجرد أنني أريد التعبير ليقال فلان كتب بل لأسهم بقدر ما أستطيع في خدمة تاريخ وطني.

فاتقِ الله أيها الكاتب ودع عنك المهاترات.

****

## التذكير واجب[1]

أستذكر الآن حديثاً كان يدور بين الناس حين كنت صغيراً، وذلك منذ أمد بعيد من الزمن، كانوا يقولون إن الكويت محصنة عن أعدائها تحصينًا يمنع عنها الشرور. وإن كل من يتعرض لها بالأذى لابد وأن يجني سوء ما صنعت يداه، وقد مرت الأيام وحدثت خلالها أحداث كانت الكويت فيها تعاني كثيراً من جارها الشمالي على وجه الخصوص، وكنا نقول أين ما ذكرتم عن التحصين؟ وقد استجاب الله سبحانه للدعوات الطيبة الصادرة من رجال ونساء الكويت فتم مقتل الملك غازي في الوقت الذي كان فيه يرفع عقيرته عن طريق إذاعة قصر الزهور الخاصة به، فينعق مهدداً، ومحاولاً بث الفتنة في بلادنا. وهكذا انتقم الله لنا منه، ولم تهدأ نفوسهم فجاءت المجموعات السياسية اللاحقة بأسوأ مما كان يعمل غازي بما في ذلك الابتزاز والإزعاج المستمر الذي كانت الكويت تعاني منه في أيامهم السوداء تلك، وحدث المتوقع فقتل الملك والوصي ونوري السعيد ومن لفَّ لفَّهم في سنة ١٩٥٨، لا أقول هذا شماتة، ولكني أذكِّر به فقط.

هذا وقد استمر الوضع الشائن فجاء عبدالكريم قاسم بادعاءاته وتهديداته ولكنه لقي هو وزمرته ما لقي سابقوه، وليس ما حدث في زمن صدام حسين ببعيد عنا، وهو الذي قام بما لم يقم به سواه حين احتل الكويت، ولكنه لقي حتفه مشنوقاً على رؤوس الأشهاد، وباء عمله في الكويت بالفشل الذريع.

---

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/٨/٢م.



لقد صارت الكويت عقدة للعراقيين بسبب ما غرسه حكامهم في نفوسهم من أمثال غازي ومن لحقه، وفي الواقع إن العراق لن يستطيع أن يتخلص من هذه العقدة إلا إذا بدأ من الأصل، وهو الجماهير فأزال عنها الغمامة التي ظل يسدلها عليها على مدار السنين الماضية، وذلك من حيث تعديل الخطاب السياسي، أو من حيث إصلاح المناهج الدراسية، وتنقيتها من هذا الزيف الذي لا طائل وراءه، ولم يصل به العراق إلى نتيجة تذكر.

لقد آن الوقت الذي ينبغي أن ينظروا فيه الى الكويت من زاوية أخرى غير الزاوية التي تعوَّدوها، ويعرفوا أن الكويت وطن مستقر ومستقل لا علاقة له بالعراق إلا علاقة الجيرة والعروبة والإسلام، وأنهم لن ينالوا منه شيئاً، ولن يستطيعوا أن يستمروا في أساليبهم التي خدعوا بها شعبهم، لأن هذا الشعب سوف يعرف بعد طول المعاناة أن كل تلك الأحاديث الجوفاء لا قيمة لها في الواقع، وأن صلاته الطيبة مع أبناء الكويت كانت تعود عليه بالنفع على حين أن الوضع الذي صار اليه لم يجلب له غير المآسي.

إننا نأمل في يوم يسود فيه الصفاء بين البلدين، وتطوى هذه الصفحة القاتمة التي طالت بنا قراءتها، واستمرت سطورها منذ الثلاثينيات التي شهدت عهد الملك غازي إلى اليوم، كما نأمل أن يسود التعقل والحكمة تصرفات حكام العراق، وأن يجتثوا الفتنة المصطنعة بين البلدين من جذورها، ففي ذلك فائدة كبرى لوطنهم ولشعبهم وللأمة العربية، أما الكويت فهي ماضية في طريقها، وقد جربوا فكانت نتائج تلك التجارب وبالاً عليهم.

أكتب هذا لأشير إلى الذكرى السيئة لليوم الأسود الذي مر بوطننا في اليوم الثاني من شهر أغسطس ١٩٩٠م، حين هجم العراق علينا واحتل بلادنا وأنا أشير إلى هذا اليوم، والأسى يعتصر قلبي لأنني أجد في هذه الأيام أناسًا يفترض أنهم

من أبناء الكويت، يميلون إلى نسيان ما مضى، على الرغم من أن الشعوب التي تقدر كرامتها وكرامة أوطانها لا يمكن أن تنسى الإساءة مهما كانت ومن أي طرف أتت.

وهؤلاء الذين ذكرتهم يبدون مواقفهم المتساهلة على الرغم من أنهم يستمعون ويقرأون بشكل يومي تصريحات أطياف المجتمع العراقي ضدنا حتى في هذه الأيام فهم لم يدعوا شيئاً ضد الكويت إلا قالوه ابتداء من أعضاء مجلسهم النيابي وانتهاء بأصغر موظف في البصرة.

كما أكتب هذا لأشير إلى ما بدأت به أمريكا ضدنا وقوفًا مع العراق على الرغم من أنها الآن تعرف العراق أكثر من غيرها، وتعرف أن الكويت لم تتردد في إسناد الموقف الأمريكي في يوم من الأيام ولكن ما نراه اليوم من هذا البلد الذي هو أكبر بلد في العالم يدل على أننا كنا واهمين، وأننا ينبغي أن نكون على حذر مما تحوكه الولايات المتحدة الامريكية ضدنا.

استقبل الرئيس الامريكي باراك أوباما رئيس وزراء العراق وأعطاه من الوعود الشيء الكثير وكلها وعود يأتي تنفيذها - إذا نفذت - على حساب الكويت، وعلى حساب مصداقية أمريكا ذاتها.

وأنا هنا أشير إلى أن الكويت التي حماها الله سبحانه وتعالى طوال السنين سوف يحميها من المكر الامريكي وقد بدأت طلائع تلك الحماية فيما يحدث الآن للرئيس الامريكي نفسه، فقد جاءت الأخبار من هناك أن شعبيته قد هبطت، وأنه صار يتصرف تصرفات تحسب عليه منها ما حدث له مع شرطة الولايات المتحدة الامريكية بحيث اضطر الى الاعتذار عما بدر منه تجاههم، بل وأكثر من الاعتذار، أضف إلى ذلك الانتقادات الكثيرة التي يواجهها السيد الرئيس من عدد كبير من رجالات وطنه، ومن صحافته ومن الدول المختلفة التي بدأت تلاحظ فقدان التوازن السياسي الذي كان الجميع يأملون في أن يتحقق.



لا أنكر أننا فرحنا كثيراً بفوز الرئيس باراك أوباما واعتبرنا ذلك نوعًا من التغيير المفيد للعالم قبل أن يكون لوطنه الولايات المتحدة الأمريكية ولكن الصحيح هو ما عبر عنه نواب الأمة في الكويت من أنه في استقباله لرئيس الوزراء العراقي أعطاه وعوداً كثيرة كلها ضد الكويت وبذا يكون قد «أعطى ما لا يملك لمن لا يستحق» كما جاء في التصريحات.

احذروا أمريكا فقد عادت إلى «لعبة الأمم» التي كانت تقوم بها أثناء الحرب الباردة.

****

## من سجل الكويت اليوم ١٩٥٦م(١)

يتناول حديث اليوم موضوعًا مهمًّا يتركز حول نشرة أصدرتها دائرة المطبوعات والنشر في الكويت في شهر يناير لسنة ١٩٥٦م. وهي نشرة من حيث الاسم، ولكن ما بين أيدينا إنما هو كتاب من القطع الكبير، يتكون من مائة وإحدى وثمانين صفحة، أطلقت الدائرة عليه اسم: سجل الكويت اليوم، وقد أرادت أن تقول: إن هذا الكتاب يسجل الحياة في وطننا في ذلك الوقت أو أنه سجل من سجلات جريدة الكويت اليوم الرسمية.

والكتاب يدل عليه عنوانه، فهو ممتلئ بالمعلومات والبيانات والإحصاءات عن الكويت بحيث نجده قد سجل تاريخ فترة مهمة من تاريخ البلاد حتى ليجد فيه القارئ كل ما يحتاج إليه في هذا السبيل.

يبدأ الكتاب بغلاف ملون جميل يقع العنوان في أقصى أعلاه، «سجل الكويت اليوم» وتحت العنوان ثلاث عبارات هي: الكويت، بلاد العرب، دائرة المطبوعات والنشر، وفي الأسفل نجد تاريخ الطبع كما ذكرناه فيما سبق، وفي آخر الكتاب ما يدل على أن له بقية ولكن هذه البقية لم تصدر حتى يومنا هذا، أما مكان الطبع فكان - كما نظن - في مطبعة الحكومة، وكانت حديثة النشأة في السنة التي صدر فيها الكتاب فكأن الدائرة المعنية كانت تريد أن تقول للناس ها نحن قد أنجزنا مشروع المطبعة التي كنا نحلم بإنشائها، وهذا الكتاب هو باكورة أعمالها، ولذا فقد بذلت غاية الجهد في سبيل تقديمه على أحسن وجه وأبهى صورة فاجتمعت فيه جودة الطبع والإخراج، إضافة إلى تنوع الموضوعات.

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/٨/٥م.



نشأت دائرة المطبوعات والنشر في سنة ١٩٥٤م لكي تحمل العبء الثقافي والإعلامي في الكويت، وكانت منذ بداية عملها نشطة في مختلف المجالات التي تؤدي بها إلى إنجاز رسالتها، ونحن نعلم أن من أوائل ما قامت بإنجازه هو إصدار الجريدة الرسمية (الكويت اليوم) وإصدار عدد من كتب التراث العربي، وطباعة عدد من الكتب التي ألفها كويتيون، وقد وجدت هذه الدائرة أن تشعب أعمالها، وما تحتاج إليه من مطبوعات في مختلف الموضوعات، إضافة إلى المطبوعات التي تحتاج إليها الدوائر الحكومية الأخرى أمور تقتضي إنشاء مطبعة خاصة بالدائرة تؤدي هذه الأغراض. ولذا فقد أسست دائرة المطبوعات والنشر في سنة ١٩٥٦م مطبعة أطلقت عليها اسم: «مطبعة الحكومة» لبت في ذلك الوقت كل طلبات الطبع التي توجه إليها. وحتى تستطيع المطبعة الاستمرار في عملها، ورغبة في تكوين طائفة من الكوادر الفنية التي تعمل في مجال الطباعة فقد بادرت الجهة المعنية بإرسال بعثات من الشباب الذين لهم رغبة في التدريب على أعمال المطبعة، وكانت أول بعثة من تلك البعثات هي التي أرسلت إلى القاهرة في اليوم السابع والعشرين من شهر مارس لسنة ١٩٥٦م، فتدرب أفرادها في مطبعة بولاق الأميرية الشهيرة وعادوا لكي يحملوا جزءًا من عبء العمل إلى أن تم استكمال تدريب كافة البعثات، وهنا صارت المطبعة تسير بكامل قوتها. والجدير بالذكر أن عدد الشباب الذين تدربوا في بولاق بمصر كان ٤٨ متدربًا من أبناء الكويت.

وبفضل هذه المطبعة كانت الكتب المدرسية تطبع لحساب دائرة معارف الكويت، وعندما ازداد عدد الكتب المؤلفة محليًّا بعد إنشاء الوزارات وحلت وزارة التربية محل دائرة معارف الكويت، كان الإنتاج غزيرًا والإنجاز متماشيًا مع الحاجات المدرسية. ولم يكن هذا العمل الكبير ليوقف عمل المطبعة في إصدار جريدة الكويت اليوم، ولا في إصدار مجلة العربي في سنة ١٩٥٨ م، حيث تصدر منها منذ ذلك الوقت كميات كبيرة من النسخ، ولم تعجز المطبعة عن سد حاجة بقية الوزارات من المطبوعات بشكل عام مما وفر الجهد والوقت والمال على الجميع.

نعود الآن الى الحديث عن الكتاب الذي خصصنا هذا المقال لعرضه، وبيان ما فيه من معلومات تذكرنا بتلك الفترة التي عشناها، وتبين للجيل الذي لحق بنا بعض ما غمض عليه من أحداث جرى بعضها خلال القسم الأول من الخمسينيات، وجرى البعض الآخر قبل ذلك.

بعد الغلاف الملون الجميل الذي ضم صورتين إحداهما تمثل الجديد الذي هو قبة مدرسة الشويخ الثانوية والثانية تمثل القديم الذي هو بوابة من بوابات سور الكويت الثالث يلج فيها جمل مع قائده، وهذا السور الذي بني في سنة ١٩٢٠م، ووضعت صورة إحدى بواباته على هذا الكتاب في سنة ١٩٥٦م لم يلبث أن هدم في اليوم الرابع من شهر فبراير لسنة ١٩٥٧م، وتركت بواباته دليلاً عليه، وبقي أن نذكر أن في زاوية الغلاف السفلي إلى اليسار نجد إناءً يحتوي على حفنة من اللؤلؤ استكمالاً لصورة الماضي التي عبرت عنها البوابة والجمل.

يبدأ الكتاب بكلمة لدائرة المطبوعات والنشر أشارت فيها إلى حرص هذه الدائرة على نشر كل ما يعبر عن حركة التقدم في البلاد، وبينت أن المعلومات التي جمعتها عن الأنشطة المختلفة كانت من الوفرة بحيث يصعب استيعابها في كتاب واحد. فرأت أن من الأفضل نشر ما تيسر على أن تأتي - فيما بعد - أجزاء أخرى تضم ما لم ينشر في هذا الجزء. وقد أشرنا فيما سبق إلى أن الأجزاء المنوي إصدارها لم تصدر لأن الدائرة المعنية شغلت بأعمال كثيرة تفوق القدرات العادية فتوزع جهدها بما لم يدع لها المجال الكافي لنشر باقي الأجزاء.

تلي هذه الكلمة صور مزدوجة لعلم الكويت تغطي صفحة كاملة، ثم صورة المرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير البلاد في ذلك الوقت. وبعد ذلك تأتي صورة خريطة الكويت، ويبدو أنها هي الخريطة التي طبعتها ونشرتها دائرة معارف الكويت فيما بعد؛ أي في سنة ١٩٥٨م.



بعد ذلك يأتي سرد لتاريخ الكويت تحت عنوان «لمحات في جغرافية الكويت وتاريخها». وهو سرد لما هو موجود في الكتابين اللذين صدرا قبل هذه الفترة من تأليف الشيخ عبدالعزيز الرشيد والشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وقد ظهرت بعد سنة ١٩٥٦م معلومات كثيرة حول موضوع هذا البحث مما أضاف معلومات ينبغي أن يلحظها قارئ السِّجل في هذه الأيام. وأسهم السيد عبدالحميد عبدالعزيز الصانع بكتابة مقال عنوانه «أضواء على تاريخ الكويت» وهو بمثابة إيضاح لما ورد في المقال السابق، أما السيد خالد سليمان العدساني فقد تناول في مقال آخر: تاريخ الحركة الفكرية في الكويت، وأثنى على الرجال الذين أسهموا في هذا المجال المهم من مجالات الحياة الكويتية في تلك الأيام.

وكان الحديث بعد ذلك عن اللجنة التنفيذية العليا، وقد قدم الكتاب لمحة سريعة عن تأسيسها وأهم ما قامت به وذكر أنها تأسست في اليوم التاسع عشر من شهر يوليو لسنة ١٩٥٤م، لوضع سياسة موحدة للإصلاح الداخلي بما في ذلك تنظيم دوائر الحكومة، ورعاية المصالح العامة، على أن تكون مسؤولة أمام الأمير مباشرة؛ وقد ضمت كلا من الشيخ جابر العلي السالم الصباح والشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح والشيخ خالد العبدالله السالم الصباح والسيد أحمد عبداللطيف، والسيد عبداللطيف النصف. وكان سكرتيرها السيد أحمد السيد عمر عاصم. وقد قامت هذه اللجنة بأعمال كثيرة وأنشأت عدداً من المؤسسات والدوائر الحكومية. وفي ختام حديث الكتاب عن اللجنة التنفيذية العليا أورد كثيراً من الصور التي تمثل مختلف الأنشطة في الكويت تحت عنوان «صور لها تاريخ» وهي صور توثيقية مهمة تبدو فيها بعض الأماكن والشخصيات وتدل على بعض أحداث الماضي.

بعد هذه المقدمات يأتي الحديث عن الدوائر الحكومية، وكانت أولاها دائرة معارف الكويت، وقد بدأ الكتاب في سرد حكاية التعليم في الكويت، وأسسه التي استند إليها من التاريخ، والأثر الديني، والأثر الاجتماعي.

ومن ثم جاء ذكر بدايات العمل التربوي بانشاء المدرسة المباركية ثم المدرسة الأحمدية، وابتدأ العمل الحقيقي في هذا المجال بانشاء مجلس المعارف في سنة ١٩٣٦م، وقد أخذ هذا المجلس على عاتقه مهمة التعليم واستمر بها حتى نشأت الوزارات بعد الاستقلال الذي تم في سنة ١٩٦١م.

يضم الموضوع الخاص بدائرة معارف الكويت تفصيلاً لنظام الدائرة الداخلي الذي يرأسه الشيخ عبدالله الجابر الصباح، ويديره الأستاذ عبدالعزيز حسين، ويتكون الجهاز من عدد كبير من الأقسام، مع بيان الاختصاصات وبخاصة في المجالات الفنية المتعلقة بالعمل التربوي المباشر، والبعثات، وكان عدد المدارس في ذلك الوقت قليلاً، ولكن الدائرة المعنية كانت تعد العدة لافتتاح مدارس أخرى لسد الحاجة إلى التعليم في مختلف مناطق البلاد، وكانت لتوِّها قد أنجزت مشروعاً افتتحت به خدمة رياض الأطفال، وهي خدمة متفوقة ولا تزال.

استغرق الحديث عن المعارف ما يزيد على ثلاث وسبعين صفحة مليئة بالصور الموضحة، وبالبيانات الاحصائية التي تؤكد النشاط الكبير لهذه الدائرة، واستعرض المدارس الابتدائية القائمة للبنين والبنات، واتسع في الحديث عن مدرسة الشويخ الثانوية التي كانت درة المدارس منذ تم افتتاحها ولا يزال الباقي من مبانيها يدل على ذلك ولقد كانت محط الأنظار، ومقصد الزوار، وموضع الأنشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية التي تقدمها دائرة معارف الكويت آنذاك. كان الحديث عن هذه المدرسة مزوداً بعدد كبير من الصور التي كان منها ما يعبر عن فترة الإنشاء، ثم عن كافة نواحي العمل فيها إضافة إلى الحديث عن المباني المختلفة، وبيان



الخدمة التي تدار في كل مبنى من هذه المباني، وتحدث عن متحفها ومشاتلها وطلاب البعثات الخارجية الذين يفدون إليها من دول مختلفة، وعن مطبخها الذي يزود طلابها الذين يسكنون في داخلها بحاجتهم من الطعام.

بعد ذلك جاء حديث سريع عن المدرسة الثانوية للبنات لحقه حديث عن معهد الكويت الديني من حيث نشأته ونظام الدراسة فيه، ثم جاء حديث مفصل عن الكلية الصناعية بمثل التفصيل الذي جاء عن مدرسة الشويخ الثانوية.

ولم ينته الحديث عن التعليم حتى جاءنا حديث عن إعداد المعلمين والمعلمات، وحديث آخر عن الوسائل التعليمية التي كانت تسمى في ذلك الوقت: وسائل الإيضاح.

وأخذ الحديث عن البعثات الكويتية في الخارج مجالاً لا بأس به لحاجة القارئ إلى التفصيل الجامع لكل ما يريد عن هذا الموضوع. ثم جاء الحديث عن المدارس الكويتية التي افتتحتها الكويت في الخارج ومنها مدرسة كراتشي ومدرسة بومبي.

أما المكتبات العامة التي قامت دائرة معارف الكويت بمهامها منذ وقت مبكر فقد كان لها مجال واسع ضمن حديث الدائرة المعنية، وهذا النوع من النشاط يستحق الاهتمام الذي قرأنا عنه في هذا الكتاب.

أما الحركة الرياضية والكشفية فقد كان لها دور مهم ضمن أنشطة دائرة معارف الكويت، واستعرض الكتاب الكثير من أعمال المختصين في هذين المجالين، وقد قدم عدداً كبيراً من الصور التي تؤكد الاهتمام بهذا النوع من النشاط الذي يقوم به طلاب وطالبات المدارس ضمن الأعمال الجانبية التي يكلفون بها تعويداً لهم على الحركة وتنشيطاً لأجسامهم وتمشيًا مع القول المعروف: «العقل السليم في الجسم السليم».

وتناول الكتاب - أيضًا - الحديث عن النشاط الثقافي والمعارض الطلابية والخدمات الاجتماعية والصحية التي تقدمها الدائرة ثم المطبخ المركزي العام.

كانت دائرة الكهرباء حديثة النشأة في سنة ١٩٥٦م ولكنها قطعت شوطاً بعيدًا منذ تأسيسها في سنة ١٩٥٢م بفضل رئيسها الشيخ جابر العلي السالم الصباح الذي استمر في قيادته لها حتى تم تحويلها إلى وزارة، وقت كانت شركة كهرباء الكويت الأهلية هي التي تتولى إنتاج وتوزيع الكهرباء في العاصمة إلى أن تم تأميمها في السنة التي أنشئت فيها دائرة الكهرباء الحكومية، وبنشأة هذه الدائرة زاد إنتاج التيار الكهربائي وخرج من العاصمة بالتدريج إلى أن عم البلاد بأسرها كما نرى في الوقت الحاضر، ويتولى الشيخ جابر العلي رئاسة دائرة الماء التي تشرف على مصانع تقطير مياه البحر وتحويلها إلى مياه عذبة، وقد رصدت الدولة مبالغ كبيرة للغاية لتنفيذ مشروعات الكهرباء ومشروعات المياه، وبهذا العمل على هذين المسارين دخلت البلاد في طور جديد من أطوار تاريخها، واستطاعت أن تتجاوز المصاعب الناجمة عن النقص الكبير في الطاقة الكهربائية، والعجز عن سد حاجتها من مياه الشرب مع ما يجلبه هذا الأخير من مشاقٍّ للسكان جميعاً.

ومن الدوائر التي استجدت في سنوات الخمسينيات دائرة الشؤون الاجتماعية التي سدت فراغاً كبيرًا وخففت من بعض الأعمال التي كانت تقوم بها دوائر حكومية أخرى وكان على رأس هذه الدائرة صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، وكان الأستاذ حمد عيسى الرجيب مديراً لها، وكان قرار إنشائها قد اتخذ من قبل اللجنة التنفيذية العليا التي مر ذكرها في الكتاب وفي هذا المقال، وذلك في اليوم الرابع عشر من شهر ديسمبر لسنة ١٩٥٤م، ومعنى هذا أنه عندما صدر الكتاب الذي نستعرضه هنا كانت قد أمضت سنة عمل واحدة. ومع ذلك فإنها قد أسست خلال هذه السنة كثيراً من قواعد العمل الاجتماعي الذي أنشئت من أجله، وصار لها جهد واضح في مجال العمل والعمال، والخدمة الاجتماعية،



ومجال نشر الوعي الاجتماعي ومكافحة البطالة والتدريب المهني والمساعدات الاجتماعية العامة، ومكافحة التسول ومحو الأمية. وشجعت النشاط الاختياري الشعبي كالأندية، والجمعيات التعاونية، وقامت بإنشاء دور الرعاية ونشطت في مجال الإرشاد الاجتماعي والأبحاث الاجتماعية، واهتمت بتعداد السكان الذي برزت نتائجه في سنة ١٩٥٧م وهو أول إحصاء من نوعه يعتمد على أسس علمية ونظام صارم.

ومن أجل هذا أعدت دائرة الشؤون الاجتماعية أنظمة دقيقة يسير عليها عملها في مختلف الاختصاصات، وحـدّدت أهدافها، وأحسنت ترتيب الجهاز الإداري فيها، ودربت الموظفين على الأعمال التي يقومون بها لأول مرة.

وعندما انتهى حديث الكتاب عن هذه الدائرة، مرَّ مروراً خاطفاً على موضوع كان يستحق الكثير، جاء تحت عنوان «تطور الوضع الاقتصادي في الكويت». وهو يقرر على كل حال - بأن هذا الحديث موجز لا يكفي القارئ بشيء مما يملأ ذهنه حول تجارة الكويت، ولذا فإننا نرى في ختام الموضوع مايلي: «وقبل أن نختم هذا البحث المختصر لابد من الإشارة إلى الاتجاه الجديد لاقتصاديات الكويت، حيث تم تأسيس البنك الوطني في سنة ١٩٥٢م، وتلاه تأسيس شركة للطيران، ثم شركة للسينما».

ثم بعد ذلك: «كما تأسست عشرات الشركات للإنشاء والتجارة للمساهمين كويتيين وغيرهم، وهذا ما يدل على أن عقلية التاجر الكويتي بدأت تساير الزمن منسجمة مع روح التطور».

وفي موضوع لاحق أورد الكتاب عدداً من الحقائق عن الكويت، وكلها أمور معروفة في إطار الحياة العامة مثل النقد ووحدة الوزن والمواد المستوردة، وغير ذلك.

وفي هذا المجال ذكر الكتاب أن دوائر الحكومة العامة في سنة نشره هي: المالية والمعارف والبلدية والصحة والأمن العام، والأشغال والشرطة والجمارك والميناء، والكهرباء والشؤون الاجتماعية والأوقاف والمطبوعات والنشر والأيتام والمحاكم والإسكان والتأثيث وشؤون الموظفين ومصلحة المياه والتسجيل العقاري.

وجاء في الكتاب أن رئاسة هذه الدوائر معقودة على عدد من أفراد الأسرة الحاكمة بحيث نرى لكل دائرة منها رئيساً منهم.

وأورد الكتاب - أيضًا - احصائية تضمنت عدد السيارات العاملة في البلاد، فذكر أن عددها في سنة ١٩٣٦م لم يتجاوز مئتي سيارة، ولكن عددها ارتفع كثيراً فيما بعد حتى وصل عند فترة إعداد هذا الكتاب إلى ما يقرب من سبعة عشر ألف سيارة ليس من بينها سيارات الجيش والشرطة.

وفي مجال الاستثمار جاء أن حكومة الكويت تشتري بالفائض من عوائد النفط سندات في لندن ونيويورك، وتحصل من وراء ذلك على أرباح بنسب مئوية تحددها طبيعة كل سند، وتؤثر على فوائدها الفرص التجارية التي تتعرض لها السندات بشكل عام. علمًا بأن الحكومة تستطيع بيع سنداتها في أي وقت تشاء.

ويشير الكتاب إلى أن سكرتير حكومة الكويت في سنة ١٩٥٦م كان هو المرحوم بدر عبدالله الملا الذي خلف والده في هذه المهمة، ولكنه لم يستمر طويلاً إذ سرعان ما تفرغ لأعماله الخاصة وأعمال أسرته.

وبقيت ثلاثة موضوعات يصعب اختصارها ولذا سوف نكتفي بالإشارة إليها على أمل الحديث عن كل واحد منها في وقت لاحق إذا سمحت الظروف وهي:

**١ - الأحمدي مدينة النفط.**

**٢ - مغاصات اللؤلؤ.**

**٣ - دائرة المطبوعات والنشر.**



وبعد فهذا عرض سريع لكتاب «سجل الكويت اليوم» الصادر في سنة ١٩٥٦م عن دائرة المطبوعات والنشر التي تطورت فيما بعد حتى تكونت على أثرها: وزارة الإعلام، وقبلها وزارة الإرشاد والأنباء.

وقد رغبت في عرضه لسببين أولهما: ندرة وجوده في أيدي الناس، وثانيهما: وفرة المعلومات الواردة فيه.

بقيت إشارة سريعة، هي أنني في بداية هذا المقال قد ألمحت إلى أن الكتاب - كما أظن - من مطبوعات مطبعة الحكومة التي كانت وليدة في السنة التي صدر فيها، وكنت أعجب لهذا المولود الذي نشأ مارداً، ولكني اكتشفت خطأ ظني حين قرأت في آخر الكتاب عبارة تقول: «مطابع شركة الإعلانات الشرقية - القاهرة» وهنا زال العجب.

****

# أكثر من ملحاق خير

كان مقالنا عن «الشعاب والشعيبة» المنشور في عدد «الوطن» الصادر في اليوم الثاني والعشرين من شهر يوليو لهذه السنة، ضمن «الأزمنة والأمكنة» مثار ملاحظات سعدت بتلقيها من عدد من الإخوة الكرام الذين حرصوا على تتبع ما جاء في المقال وأرادوا إثراءه بالمعلومات الإضافية أو في توضيح بعض ما غمض عليّ مما ذكرت.

كان الاتصال الأول من الأستاذ الفنان أيوب حسين الذي بدأني بسؤال عن الأشخاص الذين ظهروا في الصورة مع الشيخ الشرباصي، وقد ذكرت أنني لم أعن بذكرهم ولكني أعد بالرجوع الى الأصل. فقال: أظن أن الظاهر في يمين الصورة هو الأستاذ سليمان المطوع والظاهر بعده مباشرة هو الأستاذ عبدالكريم عرب، وأكد أكثر من مرة أنه يظن ذلك، فوعدته بالمتابعة. وقد رجعت الى مجلة «البعثة حيث وضعت تلك الصورة ونقلتها - أنا - عنها فوجدت التعليق عليها كما يلي، بعد ذكر الشيخ الشرباصي: «وعن يمينه الشاعر محمود شوقي الأيوبي، وعن يساره ناظر المدرسة، ثم الطالب أحمد جميل مقدمي» وهذا هو النص الوارد هناك.

إذن فقد صح أحد توقعي الأستاذ أيوب بناء على ما ورد في الأصل الذي عوّلت عليه.

وكان الاتصال الثاني من الأخ الكريم الباحث الفلكي، الأستاذ عادل السعدون الذي سعدت بلقائه بعد هذا الاتصال، فوجدته رجلاً واسع الاطلاع على كثير من الأمور المتعلقة بالكويت وعلى الأرض ما يخص قرية الشعيبة. ووجدت له مؤلفات نافعة منها كتاب عظيم النفع أهداني - مشكوراً - نسخة منه هو: «موسوعة الأوائل



الكويتية»، وهذا الكتاب من الكتب التي ينبغي أن يقتنيها أبناء البلاد ويطلعوا على ما فيها من معلومات.

طلبت من الأستاذ عادل أن يحرر ما ذكره لي على الهاتف في ورقة حتى لا يغيب عني شيء مما ذكر، وفي سرعة قياسية أرسل لي بواسطة الفاكس ما يلي:

«لقد اطلعت على مقالتكم باسم «الشعاب والشعيبة في الكويت» التي نشرت يوم الأربعاء ٢٢ يوليو، ولي ملاحظة حول اسم أول ناظر لمدرسة الشعيبة فهو الأستاذ عبدالكريم عرب عام ١٩٥١ حيث بنيت المدرسة بهذا التاريخ وقد التحق الشاعر والأديب والأستاذ محمود شوقي الأيوبي بالمدرسة في حوالي عام ١٩٥٢ أو ١٩٥٣ والأيوبي لم يكن أبدًا ناظرًا لمدرسة الشعيبة وانتقل بعد ذلك إلى مدرسة أخرى. أما ثاني ناظر لمدرسة الشعيبة فكان محمد عودة ثم محمد ذياب موسى ثم عبداللطيف الحبشي ثم سليم راضي وأخيرًا فيصل سعود الدبوس وأوقف العمل بالمدرسة عام ١٩٧٦. كما أن قرية الشعيبة تعد من أقدم القرى الكويتية على ساحل العدان.

أما بخصوص ذكر قرية الشعيبة في كتاب علم الأرض وعلاقته بالطبيعة وتاريخ الإنسان لكارل ريتر المنشور عام ١٩١٨.

**The Science of the earth in Relation to Nature and the History of Mankind**

فإنني لم أجد فيه الخريطة المشار إليها حيث توجد بمكتبتي طبعة عام ١٨٢٢ وبها خريطة عامة للشرق الأوسط ومنها الكويت وليس عليها أي ذكر لأي موقع آخر في الكويت.

وقد ذكرت قرية الشعيبة في خريطة رسمها عام ١٨٢٥ كايز إن «Guys In».

وحول حفظ تاريخ الشعيبة فأود أن أبشرك بأن هناك من يقوم بتوثيق تاريخ الشعيبة وأهلها. فالأخ سلطان الباهلي لديه كتاب عن القرية في المطبعة حاليًا

ويذكر به شخصيات الشعيبة وله كتاب آخر تحت الطبع عن نادي الساحل وناد آخر تأسس في قرية الشعيبة، كما أنني قمت بتصوير قرية الشعيبة في أيامها الأخيرة تصويراً جوياً بالهليوكوبتر وكذلك بيوتها وشوارعها وقمت بجمع أكثر من ١٥٠٠ صورة لأهالي الشعيبة وبيوتها وشوارعها.

كما قمت برسم مخطط لقرية الشعيبة مبينًا عليه بيوت القرية وشوارعها وقمت بتحديد أسماء قاطني بيوت الشعيبة وسوف أصدر كتابًا عن القرية في القريب العاجل».

وأنا أشكر الأستاذ عادل السعدون على مبادرته، وتوضيحه فقد تلقيت بشارته بسرور عظيم، ولا أكتم القارئ أنني بحثت معه خلال لقائنا موضوع الخريطة التي ذكرها في رسالته، وأطلعته على مصدرها، وقد وعدت بمعاودة البحث عنها في مرجع آخر.

الاتصال الثالث كان من الأخ العزيز طلال ابن الأستاذ عبدالكريم عرب، وقد سعدت بسماع صوته لما في قلبي من محبة غامرة لوالده رحمه الله وقد أكد لي ما ذكره الأستاذ عادل السعدون عن أن الناظر هو الاستاذ عبدالكريم عرب، وهذا أمر واقع وصحيح ولكن سبق القلم أحيانًا يغير بعض ما يريد المرء أن يكتبه، أنا أعرف الأستاذ عبدالكريم وزاملته مدة من الزمن وكنت كثير اللقاء به، ومن المدارس التي أذكر أنني زرته فيها مدرسة ابن سينا، وكان ناظرًا لها، بعد نظارته للشعيبة، وهو رجل وفيٌّ مخلص قام بأداء واجبه التربوي خير أداء، وكانت له صداقات حميمة مع عدد كبير من الناس وعلى الأخص مع زملائه المدرسين وأولياء أمور الطلبة، رحمه الله وأثابه.

علمًا بأن هذا التوضيح لا يغض من مكانة الأستاذ الشاعر محمود شوقي الأيوبي، فهو كما ذكرت عنه في المقال المشار إليه وأكثر ولكنه لم يكن ناظرًا لمدرسة الشعيبة آنذاك.



هذه أمور لابد من إدراجها في هذا الموضع، لأن المداخلات التي ترد من القراء المتتبعين للأزمنة والأمكنة لها أهميتها بالنسبة لي، فهي كما قلت من قبل تعطي الموضوعات ثراء، وتضع الأشياء في أماكنها الحقيقية، وتؤدي إلى تثبيت المعلومات.

فشكراً للإخوة المتصلين. وأؤكد أنه لا غنى لي عن متابعتهم المفيدة.

**ملاحظة أخيرة:**

بعد أن كتبت ماسبق تلقيت رسالة (مفكسة) من الأخ طلال عبدالكريم عرب، ضمنها الكثير من المعلومات عن والده وعن الشعيبة؛ فله الشكر مجدداً وآمل أن تكون لي فرصة أخرى للكتابة عن هذه القرية العزيزة بحيث أذكر كل ما وردني منه من معلومات حولها.

****

# تنويه

لأمر ما جرى نشر المقال السابق من الأزمنة والأمكنة قبل هذا المقال، وكان ينبغي أن يسبقه مقال هذا العدد بالنشر.

ولكن ذكاء القارئ سوف لا يخطئ المقصود من هذا التنويه.

****



# شاعر كويتي وآخر من العصر الأموي[1]

مرَّ بنا في «الأزمنة والأمكنة» حديث عن شاعر كويتي، وآخر عباسي، كان الأول هو الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري والثاني هو الخليفة عبدالله بن المعتز.

واليوم نريد أن نتحدث عن شاعرين آخرين هما الشاعر الكويتي فهد العسكر، والشاعر الذي عاش في عصر الخلافة الأموية وهو عبيد بن حصين الملقب بالراعي النميري، وقد سرى عليه هذا اللقب حتى صار لا يعرف إلا به وبقي متغلباً على اسمه الحقيقي إلى حين وفاته، وكان وصفه للإبل ومراعيها في شعره سبباً من أسباب ارتباط هذا اللقب به، فقد كثر ذلك في شعره مما سوف نراه قريباً.

كان الراعي النميري من معاصري شعراء النقائض المعروفين وهم جرير والفرزدق والأخطل، ولكنه لم يدخل معهم في تلك النقائض الشعرية التي بقيت على شهرتها حتى يومنا هذا، ولكن جريراً ظن أن النميري يميل إلى الفرزدق فهجاه فلم يكن من المهجو إلا أن يذهب إلى جرير ويرجوه ألا يضعه في شعر الهجاء لأنه لا يريد أن يدخل في مجالهم الذي ارتضوه لأنفسهم، ذلك لأنه كان يبعد نفسه عن المهاترات ويود أن يكون محتفظاً بين الناس بمكانته، فقد كان أبوه من كبار قومه، وكان هو ذا موقع حسن عند قبيلته وكلمته مسموعة عند الخلفاء، وكان عندما يمدح أحدهم فإنه لا ينسى أن يذكره بواجباته تجاه الأمة، وأن ينقل إليه شكايات الناس، مثل تلك القصيدة الشهيرة التي امتدح فيها الخليفة عبدالملك بن مروان، واستغل ذلك الموقف ليتحدث للخليفة عن المظالم التي يتعرض لها الناس من قبل السعاة الذين يجمعون الأموال للدولة، ومنها يقول:

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ١٢/٨/٢٠٠٩م.

أَوَلِيَّ أمرِ اللّه إنّا معشرٌ
حُنفاءُ نسجد بكرةً وأصيلا
عربٌ نرى لله في أموالنا
حقَّ الزكاةِ مُنَزَّلا تنزيلا
قومُ على الإسلام لما يَمنَعوا
ماعونَهم، ويُضيِّعوا التَّهليلا
فادفع مظالمَ عَيَّلت أبناءَنا
عنّا، وأنقذ شِلْوَنا المأكولا

ومع أن الراعي النميري كان لا يحب أن يقول شعر الهجاء لكنه يضطر أحياناً إلى ذلك بصفته شاعر القبيلة المدافع عنها، لذا فإننا نجد في ديوانه شيئاً من ذلك، ولكنه - في الوقت نفسه - بعيد عن الملاحم التي كانت تجري بين الشعراء الثلاثة المعروفين بهذا الاتجاه بحيث نجد واحداً من كبار العلماء هو أبو عبيدة معمر بن المثنى يؤلف كتاباً ضخماً عنهم وعن أشعارهم سماه: النقائض.

هذا ولم يعرف تاريخ ميلاد النميري، ولا تاريخ وفاته ولكن هناك أدلة على أنه توفي في حوالي سنة ٩٧ للهجرة.

ويبدو أن الراعي النميري كان كثير التردد على منطقتنا وله إقامة في أراضي الكويت، وإن لم تكن دائمة، وله في مكاننا هذا حادثة تدل على طباعه التي كان يميزها كرمه الشديد، فقد كان الجو قارسًا والريح شديدة البرودة وهو مقيم في ليلة دامسة بين فردة والرحا في غربي الجهراء وتسمى الأولى في هذه الأيام الفريدة والثانية: الرحيَّة. وكان يعجب من السّارين في هذا الجو المكفهر، ولكنه لا يمكن أن يتأخر عن إكرام الضيف فاستقبل ضيفه وأكرمه على طريقته الخاصة التي تراها في كتابنا «كاظمة في الأدب والتاريخ» وقال في هذه المناسبة عدة أبيات مطلعها:



عجبتُ من السّارينَ والريحُ قَرَّةٌ
إلى ضوءِ نارٍ بين فردةَ والرَّحى

وفي موضع آخر من المجموع الذي يضم أشعاره ذكره لموقع المقر (مغيره الآن)، كان يصف إبلاً متجهة إلى ممدوحه سعيد بن عبدالرحمن بن أسيد فيقول:

وأنضاءٍ أُنِخنَ إلى سعيدٍ
طُروقًا ثم عَجَّلنَ ابتِكارا
على أكوارهنَّ بنو سبيلٍ
قليلٌ نومهمْ إلا غِرارا
حَمِدنَ مزارَهُ ولقينَ منهُ
عطاءً لم يكن عدةً ضِمارا
فَصَبَّحنَ المقرُ وهنَّ خوصٌ
على روحٍ يُقلِّبنَ المحارا

ومن العجائب أن اللذين جمعا أشعار الراعي النميري وطبعاها في كتاب وهما عراقيان أحدهما اسمه نوري حمودي القيسي، والآخر هو هلال ناجي، لم يتخليا عن النفسية التي عرفناها في أبناء جلدتهما على الرغم من أن العمل العلمي لا ينبغي أن تدخله المسائل الشخصية، ولا ينبغي أن يتأثر كاتبه بأفكاره وبخاصة عندما تكون كاذبة. انظر كيف شرحا كلمة المقر، يقولان: «المقر: موضع بالبصرة على مسيرة ليلتين، وهو وسط كاظمة»، لقد تركا الأمر لخيال القارئ فلم يقولا «من البصرة» بل قالا: «بالبصرة» وهذا القول إضافة إلى أنه مخالف للحقيقة فإنه يدل على أن النفوس لا تتغير عند هؤلاء بين شخص عامي أو باحث علمي.

الشاعر الكويتي فهد صالح العسكر، من شعراء الكويت الأعلام، الذين لا يمكن أن يغيب ذكرهم عن أذهان الأدباء والقراء بعامة. أشعاره تدرس في الجامعة والمدارس بمختلف مراحلها، ويرددها الناس فيما بينهم ويصدح بها المغنون، ولذا

فهي تعيش دائمًا في وجداننا وذلك لتميز الشاعر وشعره، ومقدرته على صوغ القصيدة البديعة التي تأسر القلوب وتسعد الأذهان.

ولد هذا الشاعر المبدع في نحو سنة ١٩١٦م، ونشأ بين أسرته التي أتاحت له فرصة الدراسة في المدرستين الأحمدية والمباركية، واستمر في دراسته حتى سنة ١٩٣٠م.

كان محبًا لمادة اللغة العربية شغوفًا بالشعر العربي يقرؤه ويحفظه، ولذا فقد قرأ كثيرًا من كتب الأدب ودواوين الشعراء. وعندما وجد في نفسه القدرة على قرض الشعر بادر إلى هذا المجال ونبغ فيه واكتسب سمعة كبيرة ليس في الكويت وحدها بل في البلاد العربية أجمع، وقد كانت في شعره نغمة جديدة بالنسبة للشعر الكويتي في وقت استغرق العسكر في نظم شعره، أسلوبه كان رقيقًا ومشاعره متدفقة، وكان قارئ شعره يرى أن هذا الشاعر قد حرر نفسه من كثير من القوالب التي كان يعيش فيها غيره حتى لقد خرج من مألوف الحياة الاجتماعية المعاصرة له. ومع جودة شعره وتعلق كثيرين من محبي الشعر بكل ما يقدمه هذا الشاعر إلا أننا وجدنا من يعترض على بعض أفكاره التي اعتبرها هؤلاء متحررة أكثر مما كان متوقعًا، ومع ذلك فقد استمر في طريقه، وأنحى باللائمة على هؤلاء المعترضين في قصائد كثيرة، وصار يعقد جلسات أشبه بالندوات في مجلس له يحضره جمع من الأدباء والشعراء، وكان يلقي في هذه الجلسات جديده الشعري فيمتع جلاسه بما يلقيه عليهم من جيد الشعر.

وعندما ازداد الضغط عليه أصابته حالة من النفور عن الناس فاعتزل أهله ومجتمعه، وتغير أسلوب حياته عما كان عليه، وكان يتوقع دائمًا لحظة الموت التي كان يتساءل عن موقف رواد مجلسه إذا حانت فيقول:



أنَا إن متُّ أفيكُمْ يا شبابُ
شاعرٌ يرثى شبابَ العسكرِ
بائسًا مثليَ عضّتهُ الذئابُ
فغدَا من همِّه في سَقَر

إثر هذا توفي في اليوم الخامس عشر من شهر أغسطس لسنة ١٩٥١م.

نعود الآن إلى موضوع مقالنا بعد أن مهدنا له بالحديث عن الشاعرين: الراعي النميري، وفهد العسكر.

سر اختيارنا لهاتين القصيدتين أنهما تتماثلان من حيث تقاربهما في الوزن وتماثلهما في القافية، وهما تتقاربان من حيث الموضوع وسوف نستعرض أولا قصيدة الراعي، ثم نلحق بها قصيدة العسكر وبذلك نتبين ما في القصيدتين من تشابه ومن معانٍ وفق ما جرى عند مقارنتنا لقصيدتي الأنصاري وابن المعتز في مقال سابق.

يتحدث الراعي النميري في قصيدته عن معاناته لفراق من يحب وسهره في ليلة صيف من ليالي شهر صفر، وهو يرى أن هذه الليلة التي سهر خلالها على الرغم من أنها ينبغي أن تكون قصيرة كما هي عادة ليالي الصيف إلا أنه أحس بها طويلة لا تنتهي بل تزداد طولاً كلما اقترب من نهايتها، وقد ذكر السبب في هذا السهر، والمعاناة، وهو فراق من يحب:

يا أهل ما بالُ هذا الشهر من صَفَرِ
يزدادُ طولاً وما يزدادُ من قِصَرِ
في إثر من قطَعت مني قرينَتُهُ
يوم الحَدالي بأسبابٍ من القدر
كأنما شُقَّ قلبي يوم فارقَهُم
قسمينِ: بين أخي نجدٍ ومُنحدر

هؤلاء الذين فارقهم في موقع يسمى (الحدالي) هم الأحبة الذين يبكي الشاعر في إثرهم، وها هو يطرب لذكر هؤلاء المبتعدين عنه ويدعو لهم:

**صلى على عـزَّةَ الرحمـنُ وابنتِـها**
**ليلى وصلّـى على جاراتِـها الأُخَـرِ**

ثم يمضي في وصف موكب الرحيل الذي ضم من يحب، وهو موكب مهيب عبر الفيافي، يسير ظاهراً ثم تغيبه الوهاد ليظهر من جديد، ومع ذلك فهم سائرون:

**تحدو بهم نَبَطٌ صُهْبٌ سِبالُهُمُ**
**من كلِّ أحمرَ مِن حورانَ مُؤتَجِرِ**

هؤلاء الحداة الذين ذكر أنهم نبط وأنهم من حوران وهم حمر الوجوه، صُهْب السبال (اللحي) كأنهم يباشرون تعويم السفن، وكأن همسهم بالحداء نوح الحمام يغني غاية العشر. والعشر شجر معروف منذ القدم يوجد في أماكن متفرقة في الكويت اليوم، ومن السهل ملاحظته أمام ديوانية الثلاثاء.

ثم يقول إنه تتبعهم بعينيه، ثم ركب ناقته متجها إلى حيث ساروا ووصف الناقة بأنها تشبه حمار الوحش، ولكنه على الرغم من التعب الشديد الذي لقيه في رحلته هذه فإنه لم يستطع الوصول إلى غايته فقد كان القوم يقظين، تلقته كلابهم بعدوها ونباحها مما جعله يكر عائداً من حيث أتى.

وبعد أن وصف كل ذلك في عدد من أبيات القصيدة عاد إلى ذكر الصيد ومقدرته الفائقة عليه ليغطي عجزه عن الوصول إلى من يريد الوصول إليها. فذكر أن ذلك الذي جرى له في رحلته هو ما جرى له حين تخيل حماراً وحشيًّا قوي الخلقة ضامرًا، يطلب الماء فيذهب إليه عند الغدران التي تمتلئ بها تلك الصحراء التي يسير فيها، وإذا ما وجده وبدأ في الشرب، وجد صيادين ماهرين يختبئان في حفرة بالقرب منه يتحينان الفرصة لصيده، وتنافس الرجلان في اطلاق سهامهما



على الطريدة ولكن الرامي الماهر (معاود الرمي) الذي ملأ يديه من الأمر خانته قوة الوتر فانفلت الحمار الوحشي منه، وجرى بعيداً أسرع من طير، تتقاذفه المرتفعات والحفر إلى أن نجا.

إن هذه القصيدة المعبرة عن الأشواق التي كانت تعمر قلب الراعي النميري في ليلة من ليالي الصيف جعلتنا نطلع على مكنون نفسه حين لم يرض بالفراق وحاول الوصول إلى من يحب، ولكنه أبلغنا بأنه فشل في تحقيق رغبته هذه كما فشل الصيادان في صيد الحمار الوحشي الذي تحدث عنه في نهاية القصيدة.

لقد كانت الأبيات معبرة عن المحبة الخالصة وعن الضيق بعد بذل المحاولة وهو سر التفكير الطويل والألم المضني، لأنه ألم ناتج عن اليأس، وانعدام الفرصة التي كان يظن أنها مناسبة للقاء عزة وابنتها ليلى أو جاراتها الأخر.

وأما قصيدة الشاعر الكويتي فهد العسكر التي قلنا إنها تشبه قصيدة الراعي، فهي تعبر تعبيراً مباشراً دون ضرب الأمثال عن مأساة الشاعر، كلاهما جاءته أحزانه في ليلة من ليالي شهر صفر، ولكن فهداً كان مع من يحب يبادلها أشواقه وأحزانه ويشكو إليها ما يعانيه من دنياه:

**يا ميُّ نابَ السمعُ عن بصري**
**في الليلةِ الظلماءِ من صَفَرِ**
**ذهبت - فلا رجعت - مخلفةً**
**في غورِ روحي أسوأ الأثر**
**ماذا أقولُ وإن شكوت فمن**
**جورِ القضاء وقسوةِ القدر**
**الصَّدرُ منقبضٌ ولا عجبٌ**
**والنفسُ نهبُ الهمِّ والضَّجر**

بعد ذلك وصف حاله وهو في مجلس ضم صحبه، وهم فيما يبدو من أقرب الناس إلى قلبه، ومع ذلك فقد راحوا يتبادلون طرائف السمر بعد أن شربوا مخلفين صاحبهم في معاناته ولكنه يقول عنهم:

نِعْمَ النَّدامى لا عدمتُهُمُ
يتألقونَ كأنجُمِ السَّحرِ

يعود بعد ذلك إلى مخاطبة مي مصرًّا على استنهاضها لمساعدته في مواجهة الأقدار الساخرة:

يا ميُّ والأقدارُ سَاخرةٌ
منَّا، ولم نسخرْ ولم نَثُرِ
قومي لنسخرَ مثلما سَخِرتْ
من كلِّ مُدَّخِرٍ ومُحتَكِرِ

يدخل بعد ذلك إلى استفسارات أجملها في عشرة أبيات من قصيدته فهو يعجب لنفسه كيف يغتبط بغروب الشمس، ويأسى عند شروقها، ثم يقول: مالي أرى الغربان وهي طائرة محلقة في الأعالي، ثم أرى الصقر دامي القلب لا يستطيع الطيران، مالي أرى جاري الذي كان عليه أن يرعى جاره، ولكنه على العكس من ذلك يُكفرُني، وهو يقدم القرابين للأصنام الذين هم أولئك الغربان، ثم يقول: مالي أرى المسكين يلهث في هوج الرياح، وفي هاطل المطر دون أن يجد من يعينه على أمور حياته، ومالي أرى الأجانب يظلمون هذا المسكين ويقضون مضجعه.

وفي فقرة لاحقة يقول إن ربيع الحياة قد هجره وان هجره هذا قد طال مما سبب التعاسة له وللأطيار والزهور، ويكمل:

دنيا المهازل والشذوذ غدتْ
نارَ الليوثِ وجنَّةَ الحُمُرِ



من لي بمشنقةٍ أحزُّ بها
بعضَ الرقابِ وصارمٍ ذكرِ

هكذا نراه قد انفعل انفعالاً شديدًا حتى انه ليرغب في انتزاع الحياة من مرتكبي تلك المهازل التي ذكرها.

وفي تصوير أشبه بالرسم الكاركاتوري تحدث عما يتصوره من شؤون الحياة فقال:

سرقَ ابنُ آوى دِيكَنا سَحَرًا
ودجاجُنا منه على خطَرِ
والفأرُ يشربُ بيضها طربًا
أبدًا، فيا لَتَبلبُلِ الفكَرِ

وفي الأخير نراه يعلن عن ظنه بأن (ميًّا) قد ملأها العجب مما قاله لها، ولكنه يقول لها: هاك وحطمي قدحي، لا أريد الاستمرار في هذا الوضع المزري فالكأس (يقصد المال والرفاهية) قد دارت على البقر وإذا سمعت مني هذه الأقوال المنفعلة فاعلمي أنني نار وإن النار لا تخلو من الشرر.

وأخيرًا: لقد ثقلت أجفاني مما عانيت، ولم أعد أبصر الحقائق كما هي، لذا تعالي إلى معالجتي فكحِّلي بصري.

تجتمع القصيدتان في غرض واحد هو الشكوى وتتفرد كل واحدة بأمر من الأمور التي يشكو منها الشاعر، فالراعي النميري يشكو فراق من يحب، ويصف حاله، وهو في وضع السهر في ليل يراه طويلا لا ينتهي (يزداد طولاً ولا يزداد من قصر) ويحكي عن نفسه ما قام به من أجل علاج موقفه هذا دون جدوى ويمثل لما قام به بحالة الصياد الذي يفشل في اصطياد طريدته.

أما فهد العسكر فهو لا يشكو من شيء واحد بل من أشياء عديدة أهمها ما يعانيه في حياته من نكران الناس لمكانته، وإلصاقهم التهم به، كما يشكو تزاحم الأقدار في العمل ضده حتى بات يائسًا من حياته على الرغم من أنه ينعم بصحبة أصدقاء يرى انهم من خيرة الناس، إنه لا يجد مخرجًا من هذه الهموم المتكاثرة عليه ولذا فهو في آخر قصيدته يقول:

حسناءُ والأجفانُ قد ثَقُلتْ

هاتي الدواءَ وكحِّلي بصري

وكأنه يقول لرفيقته (مي): اسعفيني بعلاج يزيل عني ما أعانيه، ويجلو بصري بحيث أرى الدنيا جميلة زاهية.

لاشك في أن القارئ يلحظ قوة عزم النميري مع ما كان يعانيه، وهذا راجع إلى ما ذكرناه عنه من أنه من سادة قومه، أما العسكر فقد كان تعبيره عن أفكاره سبباً في احتباس عون الناس عنه فوجد نفسه في وحدة ممضة، دفعته الى مزيد من الشعور بالألم والوحدة.

على كل حال فنحن أمام قصيدتين جميلتين لهما إيقاع لطيف، وبحر زادهما رقة وحسناً، ولا نستكثر ذلك على شاعرين مثل الراعي النميري وفهد العسكر.

****



## الوطن... في الشعر النبطي الكويتي(١)

جرى لنا حديث طويل عن الشعر النبطي الكويتي في مقالات «الأزمنة والأمكنة» وموضوع هذا النوع من الشعر واسع وعميق تقرأ بعض دواوينه فتتكشف لك أمور كأنك تراها لأول مرة. لقد سبق لنا الحديث عن مطارحات الشعراء وعن تعليقاتهم على بعض الأمور التي تعيشها الكويت إبان حياتهم، كما سبق الحديث عن حياة هؤلاء الشعراء وما اكتنفها من رخاء وشدة، وما يصوره شعرهم من كريم الطباع والحرص على دوام العلاقات الشعرية بينهم، ومع أبناء وطنهم. ولقد كانت للشاعر النبطي مكانة مرموقة، وكان الناس يتداولون شعره ويقرأونه في الديوانيات وغيرها، وعلى الرغم من وجود التنافس الشديد بين شعراء ذلك الوقت، وحرص كل واحد منهم على أن يكتسب أكبر قدر من المعجبين بشعره إلا أننا نجد أن ذلك لا يفسد المودة بينهم، فنحن عندما نلقي نظرة على بعض القصائد التي تم تبادلها بينهم فإننا نجد أسلوب الخطاب راقيًا يدل على الاحترام والتقدير للطرف المخاطب. والشعر النبطي منجم زاخر بكل ما يعجب القراء من معلومات تاريخية واجتماعية وتصوير سليم واقعي للبلاد مما يدعو إلى الاهتمام به والاحتفاظ بخزائنه التي هي هذه الدواوين التي بين أيدينا اليوم بعد أن رحل الشعراء.

موضوع هذا المقال هو عن تعلق هؤلاء الشعراء بوطنهم وحبهم له، وعن علاقاتهم مع أبناء الوطن الذين يعيشون معهم على أرضه ويشاركونهم فيه حياتهم بكل تصاريفها. ومن هؤلاء الشعراء النبطيين شاعر بارز له شعر غزير واهتمام

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/٨/١٩م.

بمختلف الموضوعات المتعلقة بالبلاد وأهلها وهو الشاعر زيد الحرب الذي اتحفنا بقصيده، وذكر أهل الكويت، ونبههم إلى واجباتهم نحو وطنهم، وشارك في الدفاع يوم دعاه الداعي، وفي صدره من آثار ذلك أوسمة علقها رصاص المعركة، وقد كان يفخر بهذه الأوسمة التي تدل على مشاركته في الدفاع عن وطنه، وتؤكد أن ما يقوله من شعر في حب الوطن له ما يدل عليه من صدق الممارسة، ومن المبادرة إلى العمل المشرف من أجله. تغنى هذا الشاعر المبدع ببلاده غناء مباشرًا جعل فيه الوطن أولاً، وكل شيء غيره يهون:

الوطن أول أو تالي
نشتريه إبكل غالي
نبغي المرقب العالي
ونجمع الراي الرشيد

ومنها:

الوطن أعنى كويتي
بوسطها حَيّ وميتي
لو خذوا يا ناس بيتي
قلت أنا هاليوم عيد
الوطن حق نعَمره
وشيخنا ماشين بَمره
لو وطا من فوق جمرة
اندوس ماداس ونزيد

ومن قصائده التي قالها في حب الكويت القصيدة التي مطلعها:

لكويت ربتنا وفيها ربينا
هي أمنا وحنا ترانا عيالها
ودار ربّتنا وربّت اجدودنا
والكل منّا رابي في ظلالها



دار تدللنا على كل حَزّه
إهي تدللنا وحنا دلالها

ويقول فيها:

والله لو دورت بالشرق كله
ودرت الجنوب وغربها مع شمالها
حرام ماتلقى بالأوطان مثلها
ولا يعوضك بالبلادين بدالها

وفي حديث معبر عن الكويت وشعبها:

العز بالجمعة وطوب مع له
وقلب يشادي للصفا الجلمود
وحبل الوصل مابينكم في كماله
من بحر الأبيض لي ورا الحد معقود
وترى الحكم مايدوم إلا بعداله
والله على كل طاغي عنود
الكويت بلادي لو خبط لي زلاله
والشعب شعبي عنصر وحدود

وفي حبه لشعبه وحرصه على مصالحهم بحيث يكونون دائمًا في رعاية أمير البلاد الحريص على مصالحهم نراه يوجه قصيدة هي عبارة عن رسالة يشرح فيها وضع الشعب للشيخ صباح السالم الصباح ومنها:

إسمع كلامي وما نطق به لساني
على طريج الحق والرشد بنخاك
ماني سياسي لا، ولا ترجماني
أدري السياسة حق مثلك وشرواك

ومنها:

**واهل البلد ياشيخ سور الأوطان**
**هم منوتك ياشيخ هم غاية مناك**
**في سوقهم تربح ثلاثك ثمان**
**وهم راس المال لبيعك ومشراك**

ولزيد الحرب قصائد كثيرة في هذه المعاني التي سقناها، ومنها قصائد قالها عن تجاربه الكثيرة في العمل، وفي الغوص، ونادى على المولين مطالبًا بإنصاف رجال الغوص الذين تعرضوا لمشكلات كثيرة في أثر تردي العمل في الغوص. وتحدث عن أمور كثيرة منها الشكوى والنصح ومنها الانتقاد كالقصيدة التي كتبها عن الكهرباء، وهي طويلة يطالب بإصلاح أوضاعها، ومنها شكوى الحال بعد أن تزايد عدد العاملين من غير الكويتيين في الدوائر الحكومية وهم لا يعرفون الرجل ولا يقدرون مكانته، فلا يستطيع أن يتوصل إلى حقه عن طريقهم، وقد شبه هؤلاء في هجمتهم على الأعمال بالغيمة التي غشت البلاد برعدها وبرقها، هي ممطرة ولكن البلاد لا تنال منها شيئًا، لأنها لا تسقي إلا الأبعاد الذين هم أهالي هؤلاء في بلدانهم القصية وهم ينقلون كل ما يحصلون عليه من أموال الكويت إلى هناك وأمثال شاعرنا لا ينال شيئًا من خيرات وطنه.

وجاءت الستينيات من القرن الماضي، فهلل لمقدم المجلس التأسيسي، ثم لمجلس الأمة، وفي الجملة فقد كانت قصائده كثيرة تصب في مصلحة الوطن والمواطنين عبر فيها عن حبه، وقدم من خلالها نصحه.

أما الشاعر فهد بورسلي فقد كان له وضعه الخاص وحياته الخاصة، مرت به كثير من المشكلات فانطبع ذلك على شعره، أو فلنقل نصف شعره، لأن النصف الثاني كان شعرًا غزليًا غنائيًا جميلاً شدت به الفرق الفنية الكويتية، وغناه عدد من



المطربين منهم الفنان محمود الكويتي الذي كان متعلقًا بهذا الشاعر تعلقًا كبيرًا، وكان دائم اللقاء به والسفر معه، وقد كانا معًا في البحرين فقال بورسلي قصيدة وجهها إلى صاحبه الذي سرعان ما تلقفها وغناها، وهي:

**محمود تاه الراي محمود**
**بين المحرق والمنامه**
**قم سليني في نغمة العود**
**خفف على قلبي سقامه**

ومحمود الكويتي هو الذي غنى لشاعرنا أحلى أغاني الطرب الكويتي وأشهرها وهي:

**ياهل الشرق مرّوا بي على القيصرية**
**عضدوا لي وتلقون الأجر والثواب**
**واطلبوا دختر العشاق يكشف عليه**
**بس يمسح على جرحي ويبري صوابي**

حب الوطن في شعر فهد بورسلي اتخذ شكلاً مختلفًا عن كل ما تعود عليه الناس، فهو ينصب عنده على نصح الناس، وهدايتهم إلى الطريق المستقيم الذي إن تمسكوا به ارتفعت منزلتهم وعلا قدرهم، وأصبحوا مجموعة متآلفة مترابطة:

**كلمة العاجز مديم**
**بس يقول: الله كريم**
**الكريم الله صحيح**
**لين مدك تستريح**
**وانت ناسي يا وكيح**
**ليش ما تشكر مديم**
**لين اصابك ما دهاك**
**قلت يا رب ادخلاك**

**وامس رايح في هواك**

**ما دريت الله عليم**

والقصيدة مليئة بالحكم، والدعوة إلى نبذ التواكل والبعد عن الغرور، وتقديم شكر الله سبحانه على كل شيء.

وتشبه هذه القصيدة واحدة أخرى يعتب فيها على وطنه ويعتبر أن هذا الوطن الذي عبر عنه بلفظ (الدار) قد جار عليه، وأنه يجمع الغرباء ويغدق عليهم النعيم ولكنه يبعد أبناءه، ولذلك فهو يقول:

**دار أوصفها عجوز شمطا**

**همازة مناعة حلافه**

**تغذي عيال الناس واتداويهم**

**وعيالها لعيونهم خطافه**

وفي آخر القصيدة يلوم أبناء وطنه، إذ يرى أنهم تقاطعوا، وانتشر بينهم الحسد، وقَلَّت فيهم الرحمة، فصار لذلك يتساءل عن النخوة التي كانت سائدة قبل أن تعم الناس النعمة التي غمرتهم:

**حنا تقاطعنا وشلنا أنفسنا**

**والزود خلانا على مهيافه[1]**

ولكنه يفزع لوطنه عندما يسمع خبراً سيئاً عنه وهو في البحرين خلال سنة ١٩٣٣م. فقد هطلت في ذلك الوقت أمطار غزيرة هدمت المساكن، وأضرت بالناس، فقال إنه استمع إلى الخبر الذي أشعل في قلبه نارًا، وتمنى أنه لم يسمع به، وفي قصيدته التي قالها في هذا المعنى وصف لكيفية وصول الخبر إليه وهو هناك وكيف كان يترقب ويبحث عن القادمين ليسألهم حتى تأكد من صحة ما سمع

(١) المهيافه: طرف الحفرة.



فزاد حزنه، وزادت ذلك تلك الرسائل التي جاءته شارحة ما حصل، وكان ما حدث في شهر رمضان الذي تأكد بقوله:

**وقت السحور أمس دهتهم طناياه**

**حتى الجمل خلا صلافة هديره**

**كل يصيح ويرفع الصوت لله**

**ومن الكثر ما احد درا وش مصيره**

**اللي غرق واللي ظهر يسحب ارداه**

**واصبح يشوف القش كله نثيره**

(القش: أثاث المنزل).

وقد أرسل الشاعر فهد بورسلي قصيدته هذه من البحرين إلى صديق له في الكويت، وهو الشاعر فهد عبدالمحسن الفهد (الخشرم). فرد هذا بقصيدة أخرى يتحدث فيها حديث المشاهد للكارثيه المكتوي بنارها ومنها:

**الله اكبر يا صباح ذكرناه**

**يوم ارمضان اقبل علينا بخيره**

**كل وقف يضرب يمينه بيسراه**

**مدري غضب والا علينا مطيره**

**كم واحد في سكته تاه مجراه**

**هذا يصيح وذا مسمر سريره**

ويرد على صاحبه:

**في قولتك ولد الفهد جاه مكفاه**

**ملزوم بيته هدمته المطيره**

**إن كان بيتي طاح جد طاح وياه**

**منازل لاهل الحظوظ الكبيره**

فهذان شاعران كويتيان يتبادلان مشاعرهما على البعد تجاه حادث حدث في وطنهما فيصفانه ويتحسران على ما حل بأهلهما في صباح رمضان الباكر في سنة ١٩٣٣م ويتمنيان للجميع النجاة من ذلك الكرب الشنيع.

من شعراء الكويت الذين كتبوا الشعر النبطي وبرزوا فيه الشاعر منصور الخرقاوي، وهو شاعر له شهرة كبيرة في الكويت لكثرة اتصالاته بالناس، واهتمامه بتزويد أجهزة الإعلام بما ينتج من شعر كانت منه قصائد قام عدد من المطربين الكويتيين بغنائها. واتخذت سمعة طيبة بين الناس، ولا تزال في أذهان الجميع، وقد طبع ديوانه الكامل في سنة ٢٠٠٦م، وذلك بعد وفاته.

كان هذا الشاعر محبًّا لوطنه، وهذا أمر غير مستغرب على مثله، ومن ذلك أننا نراه يهتم بكل مناسبة وطنية، ويذكر رجال البلاد بالخير أحياءً وأمواتًا، ويصف المواقع الكويتية والمواسم التي تمر كل عام على الناس، ومن ذلك قوله:

**عاد عيد الوطن تحيا الكويت الحبيبة**
**هذي رمز المحبة واسمها في المعالي**
**من لفى رحبت فيه النفوس اللبيبة**
**من يقدّس حمانا عندنا صار غالي**

ومن شعراء الكويت النبطيين نذكر الشاعر عبدالله السعد اللوغاني، الذي توفي في سنة ١٩٦٧م، بعد أن أسهم في النشاط الشعري، وقال قصائد كثيرة في موضوعات شتى، وتحاور مع زملائه الشعراء في مختلف الأغراض التي جرت عادة شعرائنا على أن تكون المحاورات حولها، وقد صدر له ديوان صغير اهتم الأخ العزيز باسم عيسى عبدالعزيز اللوغاني بإصداره بعد أن بذل محاولات كثيرة لعله يجد ما يضيف إلى ما وجده في نسخة مخطوطة كانت ضمن حوائج الشاعر التي تركها بعد وفاته، وبذل الأخ باسم - أيضًا - كثيرًا من الجهد في سبيل تقريب صورة



الشاعر إلينا فقام باستكتاب بعض الأدباء والشعراء الذين يعرفون عبدالله السعد اللوغاني حق المعرفة فأصبح الكتاب بذلك - على صغره - مفيدًا أكبر الفائدة في معرفة حياة الشاعر، والاطلاع على شعره الجميل الذي يمثل فترة من الفترات المهمة في حياتنا وبخاصة وهو يصف بعض الأحداث ويخاطب بعض الأشخاص.

في العدد الصادر في شهر سبتمبر لسنة ١٩٥٠م من مجلة الكويت التي كان يرأس تحريرها الشاعر عبدالله العلي الصانع، وهو صديق للشاعر اللوغاني وبينهما مراسلات وعلاقات ثابتة؛ في العدد المشار إليه من المجلة قصيدة جميلة للشاعر الذي نتحدث عنه، وهي موجهة إلى صديقه الصانع، وفيها دعوة إلى العمل المشترك من أجل توجيه الجمهور إلى العمل الصالح.

ودعوة إلى خدمة الأوطان بعيداً عن الغزل والهجاء والمديح الذي يأتي جزافًا ليست للمدوح فيه مزية من المزايا التي يستحق المدح عليها.

**نخدم الأوطان بْجد واجتهاد**
**ما نتغزل يا فتى بمي وسعاد**
**لا ولا نمدح ونهجو للعباد**
**ونتوسل عند اهلْ جاه رفيع**

ولا ننهي حديثنا قبل أن نعرض لشعر شاعرين من أبناء الكويت يعتبران من أبرز شعراء الفترة التي برزا فيها الأول منهما هو الشاعر صقر بن مسلم النصافي، المولود في الكويت في سنة ١٨٧٨م تقريبًا، وتوفاه الله في سنة ١٩٤٨م وقد اشتغل كغيره من الكويتيين في مجال الغوص، وله فيه قصائد كثيرة، وكان قد بدأ يقرض الشعر منذ بلغ العشرين من عمره، وقد تقدم في هذا المضمار بسرعة كبيرة حتى كون له علاقات طيبة مع عدد من الشعراء من معاصريه في الكويت وفي خارجها. وقد تجلى حب الوطن عنده في وصفه للأماكن وأسفه لفراقها وفراق صحبه الذين كانوا معه فيها ومن ذلك قوله موجهًا الكلام إلى ابنه البكر مهلي:

هذا مكان اربوعنا يا مهللي
اليوم تذري به هبوب الشمالِ
ماكنهم ذيك الليالي اقصرا لي
ولاكن منزلهم نزل فيه غالي
ضحكي على جهالهم في محلي
يزيل عن قلبي هموم الليالي
شدوا وشدتهم يبون التعلي
يبون شرب الما وِرَعْي السهالِ
الله يرزقهم بوسم يهل
اللي يبل ادبيشهم بالمفالي
أنا قعدت ابمقعد جايز لي
وأنا احمد الله ما قصرني حلالي
أبيع واشري في صفاتي وادلي
مرهن على نفسي وعيشة عيالي

وتبين هذه الأبيات القناعة التي يتصف بها الشاعر، فإنه على الرغم من محبته لأصحابه الذين غادروا أماكنهم فإنه لم يلحق بهم، لقد تركوا تلك الأماكن للرياح التي تهب عليها فتثير الغبار على آثارهم، فلم يبق من آثارهم شيء حتى لكأنهم لم يكونوا في يوم من الأيام جيرانًا له، ولا كأن هذا المكان قد نزل به غالٍ مثلهم، لقد كان ضحك الشاعر في ذلك الوقت الذي كانوا فيه جيرانًا له يزيل عن قلبه هموم الليالي، ثم إنهم رحلوا وفي رحيلهم هذا يريدون الأماكن العالية حيث يوجد في السهول القريبة منها الماء والمرعى لعل الله يمدهم بأمطار وسمية تهل عليهم فتبل أغنامهم وهي في مراعيها - يقول الشاعر: أما أنا فقد بقيت قاعدًا في مكاني الذي رضيت به، وأحمد الله أنه لم ينفد مما أملك أي شيء، ها أنذا أبيع واشتري وأشتغل أحيانًا بالدلالة في الصفاة، وأبذل دون بخل على نفسي، وعلى عيش عيالي مما أكسب.



والشاعر الثاني من الشاعرين اللذين أشرنا إليهما هو فهد بن محمد بن جافور وهو من كبار شعراء الشعر النبطي في الكويت، ولد في سنة ١٨٦٨م، وتوفي في سنة ١٩٧٥م.

ذكر فهد الكويت في شعره عندما تحدث عن الحياة التي عاشها في الغوص الذي. قال عنه انه كان صعبًا عليه أن يخوض غمار البحر. وهو المتعود على حياة البادية، فكانت التجربة مرة، ولكنه كان حريصًا على أن يسير في طريقه إلى منتهاه، فهو يقول للنوخذا إن استطعت أن أمضى معكم إلى نهاية الرحلة فهذه ظنون إذ إن نفسي تتوق إلى مغادرة هذا الموضع الذي نحن فيه، ولكني باقي من أجل أن تسير أموري معكم بحسب ما يجب علي من التزام بالعمل معكم فحاول أيها النوخذة أن تبتعد بي عن البر حتى لا يضطرني الشوق إلى البادية فأتركم وأرحل عنكم.

لقد أمضى أيامًا صعبة في عمله، وضاقت نفسه بما هو فيه:

طابت النفس أنا يا نوخذه حولوني
حضية النفس من شوف الزبارا غنية
لي وصلت الزبارة صرتي ناوشوني
شايم شومة الضلع الحمر عن طميه
حسبي الله على اللي بالبحر وهقوني
آه يا قيضة راحت فواتن عليه
كان قزرت ها الطرشه تراها ظنون
مير يا نوخذه ابعد عن البر فيه

قوله: طابت النفس: معناه اكتفت النفس بما نالت، وحولوني: انقلوني إلى مكان آخر غير هذا المكان، وقوله حظية النفس، معناه: أن تحظى النفس بمعنى تنال وهي عربية فصيحة، والزبارة: موضع على الساحل، والصرة: قطعة من القماش

تشد على الحاجات الخفيفة من ملابس أو نقود، وهي عربية فصيحة، ناوشوني: ناولوني من بعيد، وهي عربية فصيحة أيضًا، شايم: مبتعد، والضلع الأحمر يقصد به جبل سنام الواقع في شمالي الكويت، وهناك رواية خرافية تقول إن هذا الجبل كان قريبًا من طمية في نجد فرحل إلى مكانه هذا، والشاعر يضرب به المثل حيث يرى نفسه مبتعدًا عن الغوص كابتعاد سنام عن طميّة.

وإن لم يكن حب الوطن قاصرًا على الشعراء من الناس فإن تعبيرهم عنه جميل، يلفت النظر بتنوع عناصره وحسن تناولهم له، ليس التعبير عن حب الوطن عند الشعراء الذين تحدثنا عنهم هنا تعبيرًا أجوف جافًّا يملؤه الضجيج والهتاف. إن حب الوطن عندهم يتمثل بتذكر الأماكن التي عاشوا فيها، والأشخاص الذين كانت لهم علاقة بهم. نحن حين نقرأ شعر هؤلاء فإننا نكاد نقرأ تاريخ حياتهم، وتاريخ وطنهم بالأحداث التي يذكرونها عنه، وبالأماكن التي يصفونها فيه. لذا فإن الاطلاع على الشعر الكويتي النبطي وبخاصة القديم منه فيه فائدة كبرى من جميع الوجوه، ويكفي أن نقول أخيرًا إن هذا النوع من الشعر هو الذي حفظ لنا اللهجة الكويتية من الضياع بعد أن تكاثرت عليها اللهجات حتى كادت تختنق بها.

****



## الفنان سعد أردش في الكويت(١)

منذ زمن مضى وأنا اسمع اسم الفنان سعد أردش وأراه في الأفلام التي تعرض في السينمات المنزلية التي بدأت تُقدِّم في أوائل الخمسينيات أفلامًا مصرية لايزال في البال عنها الكثير، ومنها عرفنا عددًا من الفنانين الذين صرنا نراهم فيما بعد ضمن أعمال كثيرة منها ما هو سينمائي أو مسرحي أو تلفزيوني تلفازي من أجل خاطر أخي أ.د.عبدالله يوسف الغنيم بصفته عضوًا بمجمع اللغة العربية بمصر).

عندما انتقلتُ إلى مصر في السنة الدراسية ١٩٥٧/٥٦م من أجل الدراسة في كلية دار العلوم كانت الفرصة متاحة لي ولكل زملائي لمتابعة كثير من الأنشطة، ومنها أنشطة السينما والمسرح، وفي ذلك الوقت كان الفنان سعد أردش قد بلغ القمة وكان الناس يقبلون على المسرحيات التي يقوم بدور البطولة فيها، وذلك لتميزه، ولقدرته الفنية العالية، وقد انطبع في ذهني عمل هذا الفنان، وصرت أتابع ما يقدمه من أعمال وبقيت حتى بعد تخرجي متذكرًا لما حضرته له من مسرحيات وحين بدأ التلفزيون يقدم عروضه فيما بعد كان سعد أردش من أبطاله فصار يُطلُّ علينا بين حين وآخر من خلال التمثيليات والمسلسلات التلفزيونية التي تقدم من تلفزيون الكويت، ثم سعدنا كثيرًا بحلول هذا الفنان الكبير بيننا بصفته مدرسًا في المعهد العالي للفنون المسرحية في الكويت، وكان خلال فترة مكثه هنا مشاركًا

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/٨/٢٦م.

في عدد من الأعمال أذكر منها مسلسلاً جميلاً شاركه في بطولته فناننا الراحل خالد النفيسي، وهو مسلسل (أبلة منيرة) وكانت له مشاركات أخرى كثيرة يصعب عرضها هنا.

عندما توفي الفنان سعد أردش كَثُر الحديث عنه كما جرت عادتنا في عدم الحديث عن البارزين من رجالنا إلا بعد مغادرتهم لدنيانا، كانت الأحاديث منصبة على خبر وفاته وأين تمت، وقليل منها أورد شيئًا عن حياته الخاصة أو كما يقال: سيرته الذاتية.

ولد سعد أردش في محافظة دمياط الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط في سنة ١٩٢٤م، ويذكر البعض أن اسم أسرته هو: قردش بالقاف، ولما كان هذا الحرف ينطق في القاهرة ألفا فقد كان يطلق عليه أردش ويبدو أنه استحلاها فاستمر طوال حياته يسمي نفسه أردش وكذلك يسميه أصدقاؤه وتلامذته، وتوفي أردش في شهر يونيو لسنة ٢٠٠٨م حين كان في الولايات المتحدة الأمريكية من أجل العلاج، وقد كان في صراع طويل مع المرض الذي أرداه وهو في السنة الرابعة والثمانين من عمره، الذي أمضى منه ستًا وخمسين سنة في ممارسة الفن.

بعد أن أنهى دراسته الثانوية التحق بمعهد التمثيل وفي الوقت نفسه التحق بكلية الحقوق بجامعة فاروق الأول التي أطلق عليها فيما بعد اسم جامعة عين شمس، وقد حصل على شهادة التمثيل في سنة ١٩٥٣م، وعلى شهادة الحقوق في سنة ١٩٥٥م، وكان مقررًا أن يلتحق بالدراسة في الخارج لمزيد من التخصص في فنون التمثيل، ولكن العدوان الثلاثي على مصر في سنة ١٩٥٦م أغلق مجالات السفر فلم يتمكن من الانتقال إلى أمريكا أو بريطانيا أو فرنسا من أجل الدراسة، ولكنه تمكن من الالتحاق بالأكاديمية الدولية للمسرح في روما، وحصل منها على



دبلوم في الإخراج سنة ١٩٦١م، وعندما عاد إلى بلاده قام بإخراج عدة مسرحيات منها «السبنسة» من تأليف سعد الدين وهبة و«النار والزيتون» من تأليف الفريد فرج وشارك في التمثيل في عدد من المسرحيات منها مسرحية «الأرض»، وهي مسرحية شهيرة أنتجت السينما المصرية عنها فيلمًا سينمائيًّا شهيرًا، وقد ألف القصة عبدالرحمن الشرقاوي. وقام سعد أردش بإخراج مسرحية تجريبية هي «يا طالع الشجرة» من تأليف توفيق الحكيم، ومسرحية «هالو شلبي» التي قدم أردش من خلالها ثلاثة وجوه فنية جديدة برزت كلها فيما بعد، وهم الفنانون: سعيد صالح، أحمد زكي، محمد صبحي، وقد أخرج أردش أيضًا عددًا من المسرحيات العالمية منها «كاليجولا» و«دائرة الطباشير القوقازية» ومسرحية «الشبكة» للكاتب الألماني بريخت وهي آخرما قام أردش بإخراجه للمسرح القومي وكان ذلك في سنة ٢٠٠٧م، وشارك بالتمثيل في أفلام شهيرة تعتبر من كلاسيكيات السينما المصرية هي: «قنديل أم هاشم» سنة ١٩٦٨م، و«الاختيار» الذي أخرجه يوسف شاهين سنة ١٩٧١م، و«شباب امرأة» و«الأسطى حسن» وآخر ما قدمه في السينما فيلم «الحجر الداير» من إخراج محمد راضي، وكان من الأفلام التي نالت نجاحًا كبيرًا.

نسوق كل ذلك لكي ندلل على اختيارات سعد أردش في العمل الفني، فكل ما ذكرناه من مسرحيات وأفلام تعتبر من القمم الفنية التي نالت شهرة واسعة، وأدى هذا الفنان الكبير خلالها أفضل أداء له، كما ناقش في مسرحه عددًا من القضايا المهمة منها ما هو سياسي، ومنها ما هو اجتماعي، وكانت الفترة التي أنتج فيها أكثر إنتاجه من أفضل فترات العمل المسرحي في مصر، بل كانت هذه الفترة تسمى «المرحلة الذهبية» وكان سعد أردش بسبب الإسقاطات التي كانت ترد في أعماله محسوبًا على التجمع اليساري المعارض.

وإلى جانب ذلك فإن هذا الفنان قد قام بترجمة مسرحيات عالمية كثيرة مُثِّلت كلها على المسرح المصري، وألّف كتابًا مهمًّا عنوانه «المخرج في المسرح المعاصر» وسوف نعود إليه ضمن مقالنا هذا.

وفي مجال العمل الوظيفي، فقد تنقل من أستاذ إلى رئيس قسم التمثيل والإخراج بالمعهد العالي للفنون المسرحية بمصر، وكان رئيسًا لقطاع الفنون الشعبية الاستعراضية، ورئيسًا للبيت الفني للمسرح، ومديرًا لمسرح الحكيم، ومديرًا للمسرح القومي، وساهم في تأسيس وقيادة المسرح الحر بالقاهرة ما بين سنتي ٥٢ - ١٩٥٧م، وأسس وأدار «مسرح الجيب» بها وعمل به منذ سنة١٩٦١م حتى سنة ١٩٦٤م، وعمل في الجزائر في سنة ١٩٧١م، إلى سنة ١٩٧٤م، وكان أستاذًا في المعهد العالي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية هناك، أما عمله في المعهد العالي للفنون المسرحية في الكويت فقد بدأ في سنة ١٩٧٦م، وانتهى في سنة ١٩٨١م، وسوف نعود إلى الحديث عن هذه الفترة الخصبة التي قضاها بيننا.

لقد كان سعد أردش أستاذًا ومديرًا فنيًّا ومخرجًا فذًّا وممثلاً قديرًا، أخرج ما يقرب من ثمانين عملًا مسرحيًا منوعًا، ومثل العديد من الشخصيات الفنية في المسرح والسينما والإذاعة، والتلفزيون، وألف إضافة إلى ما سبق أن ذكرناه كتابًا عن «المسرح الإيطالي» طبعته دار المعارف (المصرية) في سنة ١٩٦٥م، وكتب أبحاثًا كثيرة في عدد من المجلات المتخصصة، وترجم مسرحيات وروايات عدة.

وحصل سعد أردش على وسام الدولة للفنون في سنة ١٩٦٧م، ونال جائزة الدولة التقديرية في الفنون لسنة ١٩٩١م.

بعد مُضيّ وقت على وفاة الفنان سعد أردش في الفترة التي أشرنا إليها فيما سبق، ظهرت عنه كتابات كثيرة كلها تصف أعماله وتُثني عليه، وتعتبره ظاهرة فنية



مهمة في مسيرة المسرح والسينما والتمثيل والإخراج بعامة، وقد تنوعت الكتابات ولكنني اختار منها بضع كلمات معبرة عن الموقف كتبها الأستاذ محمد مصطفى ونشرها في القاهرة، يقول: «عندما تشاهده على خشبة المسرح أو على شاشة التلفزيون، فإن أول ما يجذبك إليه صوته الرخيم العميق الحساس، الفنان المصري سعد أردش الذي رحل عن دنيانا في أمريكا حيث كان يتلقى العلاج من مرض السرطان في العام الرابع والثمانين، وبوفاة أردش، يكون المسرح المصري والعربي قد فقد أحد آبائه المؤسسين، إذ إن إنتاج الفنان الراحل لم يتوقف عند المسرحيات، كما ترجم عددًا من الأعمال المسرحية العالمية، إلى جانب كونه أستاذًا ورئيس قسم التمثيل والإخراج لأجيال من الفنانين المصريين على مدى أعوام طويلة».

كان سعد أردش قمة فنية، وفيًّا لعمله حريصًا على أن يكون أداؤه على أفضل ما يمكن تقديمه، وبذا اكتسب احترام الناس جميعًا من نقاد وفنانين ومشاهدين، لأنه لا يتعامل مع الجميع إلا بالاحترام، ولا يقوم بعمل من الأعمال إلا عن اقتناع به، وكان يعتبر عمله الفني رسالة يؤديها.

بقي لنا - في الكويت - من ذكر الفنان سعد أردش الشيء الكثير فهو طوال عمله في المعهد العالي كما ذكرنا آنفا كان يقوم بنشاط يتماشى مع ميوله الفنية، ورغبته في الاستمرار في الدرب الذي سار فيه منذ بدأ خطواته الأولى، فمثل وأخرج وترك له صيتًا لدى الناس أجمعين.

وكان من أبرز أعماله الكتابية مؤلفه الذي ذكرناه في ما مر بنا من حديث عن إنتاجه، وهو كتاب «المخرج في المسرح المعاصر» والكتاب علمي في بابه يضم فوائد كثيرة لكل العاملين في المجال المسرحي، كما يضم معلومات كثيرة يستفيد من الاطلاع عليها هواة المسرح ومتابعو عروضه.

ويتألف هذا الكتاب من ثلاثمائة وأربع وتسعين صفحة، قام بنشره المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ضمن سلسلة «عالم المعرفة»، في سنة ١٩٧٩م.

يبدأ الكتاب بكلمة كتبها الناقد المعروف الدكتور علي الراعي، وضعها تحت عنوان: «سعد أردش صورة قلمية» وقد عبر الدكتور الراعي في كلمته هذه عن إعجابه الشديد بالفنان أردش منذ أول يوم رآه فيه، وكان ذلك في دار الأوبرا المصرية حين كان أردش يقدم بصوته الجهوري مواد إحدى حفلاتها، يقول رشدي أن هامسًا قد همس له آنذاك بقوله: «هذا هو سعد أردش: أحد الأعضاء المؤسسين لفرقة (المسرح الحر) وكنت قد سمعت بالفرقة وأعمالها الرائدة من كثير من الأصدقاء، بينهم الكاتب المسرحي المعروف نعمان عاشور، الذي قدمت له فرقة المسرح الحر أولى مسرحياته، وأكثرها صدقًا: المغماطيس، كانت فرقة المسرح الحر إحدى القنوات التي تدفق فيها فيض الثورة في حقل المسرح، ولدت مع ميلاد ثورة ٢٣ يوليو المجيدة، واستمرت سنوات بعد ذلك التاريخ تقدم إنتاجها الجاد، وتحظى بإقبال وحماس من الجماهير والصحافة معًا».

واستمر الدكتور علي الراعي في حديثه عن الفنان أردش حتى إذا وصل إلى النهاية قال: «وسعد أردش هو بين مخرجين قلائل في مصر جمعوا إلى الإحاطة بفنهم المسرحي وجهة نظر في الناس والمجتمع وتطور التاريخ، ولهذا لم يستقر به المقام طويلاً في مصر، بعد أن تدهور حال المسرح، وعمقت أزمته، لذلك سرعان ما نجده في الجزائر يدرِّس في معهدها المسرحي العالي، ويشغل نفسه ببعض الأعمال المسرحية والتلفزيونية في الجزائر العاصمة ويسلخ في هذا العمل أربع سنوات طوالاً (١٩٧١ - ١٩٧٥م). ولهذا أيضًا نجده الآن في الكويت أستاذًا للتمثيل والإخراج في المعهد العالي للفنون المسرحية».



وبعد هذا يأتي دور الكتاب الذي بدأه مؤلفه بتمهيد استغرق خمسًا وثلاثين صفحة، تحدث فيه عن أهمية المخرج، ودوره الحقيقي، ووظيفته، وديكتاتوريته، والثقافة التي ينبغي أن يحصل عليها قبل أن يبدأ عمله وفي أثناء ذلك في التمهيد الطويل الذي بدأ به سعد أردش كتابه أجمل صورة المسرحية في كلمات قليلة حين قال: «الصورة المسرحية كل متكامل يعتبر نتيجة تضافر جهود إبداعية وحرفية يمكن اجمالها في عناصر أربعة: الكلمة، التعبير، الجمهور، التنظيم» وجاءت بعد ذلك أبواب هي بين الطبيعة والواقعية، وباب ثورة على الواقعية وعودة إلى الشعر، ثم باب التعاهد بين المسرح والأدب، والتعبيرية والمسرح، وعلى الأخص في المسرح الألماني ثم صراع المناهج المسرحية في روسيا قبل الثورة وبعدها، وكان الباب السادس يتناول تيارات ما بعد الحرب الثانية في فرنسا وانجلترا وأمريكا وبولنده وإيطاليا، أما الباب السابع فكان مخصصًا للحديث عن المسرح العربي، وقد تحدث فيه عن المسرح الكويتي، ضمن حديث عام عن المسرح في الخليج العربي.

وقد ذكر في هذا المجال أن المسرح في هذه المنطقة كان قد بدأ على أيدي الهواة الذين جابهوا التقاليد القاسية حتى تغلبوا عليها، وقد حرص أردش على الحديث عن دور الريادة التي قامت به الكويت في مجال المسرح، وقد بدأ هذا في رأيه منذ سنة ١٩٥٠م حين عاد الأستاذ حمد الرجيب من القاهرة حاملاً شهادة المعهد العالي للفنون المسرحية، وقام بتأسيس المسرح المدرسي، وعند إنشاء دائرة الشؤون الاجتماعية في سنة ١٩٥٤م وتعيين حمد الرجيب مديرًا لها جعل المسرح من ضمن اختصاصاتها، يقول أردش: «فأنشئت الفرق المسرحية المحترفة الثابتة، ثم تأسس أول معهد للفنون المسرحية في ١٩٦٧م، متوسطًا في البداية تحت إشراف وإدارة الأستاذ زكي طليمات، ثم تأسس المعهد العالي للفنون المسرحية في ١٩٧٣م وأنشئت أول دار مسرحية في هذه الحقبة أيضًا.

ولقد كانت للمعهدين ولا تزال آثار إيجابية في أقطار المنطقة بصفة عامة، عن طريق منح دراسية تقدم لمواطني هذه الأقطار، ونحن نلاحظ مثلًا أن الفضل في تنشيط الحركة المسرحية في البحرين وفي قطر يرجع بالدرجة الأولى إلى الشباب من خريجي المعهدين، بل إن المعهد بدأ يستقبل طلابًا وطالبات من المملكة العربية السعودية منذ العام الدراسي الماضي (سنة ١٩٧٩م)، الأمر الذي يؤكد له صفة الريادة في زرع المسرح في المنطقة».

ويضيف إلى ما سبق حديثًا عن نموذج من نماذج الرجال الذين بذلوا جهدهم في خدمة المسرح الكويتي، بل والخليجي وهو الفنان المرحوم صقر الرشود، وقد كتب عنه مايلي:

«لا يعتبر صقر الرشود حالة خاصة وشاذة في تاريخ المسرح بالكويت، والخليج، فهو ليس فقط أحد الزارعين الأوائل للمسرح في الكويت، وليس فقط أحد الباحثين نظريًا وتطبيقيًا عن مسرح يتميز بالشخصية الخليجية، بل هو أيضًا يجمع صفات رجل المسرح المتكامل، فهو كاتب مسرحي، وممثل، ومخرج مبدع، بل إنه أيضًا يعتبر الأساس في التجمع الشبابي الذي أسس مسرح الخليج بالكويت في ١٩٦٣، وفي فتح الطريق أمام الكاتب المسرحي الكويتي، وأمام الفتاة الكويتية والعربية للمشاركة في الحياة المسرحية، وهو بعد ذلك كله رجل المسرح المتفرد من نوعه في منطقة الخليج حتى وافاه الأجل في ٢٥ ديسمبر ١٩٧٨م في حادث سيارة بينما كان يسهر على تأسيس مسرح في الإمارات المتحدة بتكليف من وزارة الإعلام بدولة الإمارات.

لم يتلق صقر الرشود دراسات في معاهد متخصصة في فنون المسرح، بل أتم دراسته الجامعية في تخصص علمي بعيد كل البعد عن الفن (العلوم السياسية



والاقتصاد بجامعة الكويت ١٩٧٣م) ولقد يكون هذا الاتجاه نوعًا من تحدي الفنان الواثق من موهبته ومن تمكنه من أدوات المهنة، ولقد يكون أيضًا إصرارًا منه على أن يقدم لشعبه مسرحًا أصيلًا معبرًا عن مجتمعه وغير متأثر بأية روافد من الخارج، على أن اهتمام صقر باجتياز مرحلة الدراسة الجامعية رغم أنه بدأ كفاحه على طريق المسرح قبل اتخاذ هذا القرار، يعتبر إحساسًا منه بالمسؤولية قبل قيامه بالدور الخطير الذي سيلعبه كرجل مسرح، من النواحي الثقافية والسياسية والاجتماعية».

أما ختام حديثه عن صقر الرشود فقد كان تحت عنوان: «صقر الرشود مخرجًا» تحدث فيه عن مقدرة فنان الكويت الإخراجية وعن طبيعة أعماله المسرحية، فقال: «رغم اهتمام صقر الرشود بالكلمة الكويتية النابعة من ظروف الإنسان الكويتي التاريخية والمعاصرة، والتي تعبر عن أمله في حياة أفضل في المستقبل، ذلك الاهتمام الذي أدى به إلى أن يبدأ خطواته الأولى كاتبًا، فإنه كان يقيم اختياراته كمخرج على أسس قومية غالبًا وعالمية أحيانًا، عن إيمان فيما نعتقد بأن العمل المسرحي الأدبي الناضج يعبر دائمًا عن القضايا العامة للإنسان في كل مكان وفي كل زمان، فعندما قررت الكويت المشاركة في مهرجان دمشق للفنون المسرحية في ١٩٧٤، اختار صقر نصًا لكاتب عربي، يعبر عن قضية عربية قوية «على جناح التبريزي وتابعه قفة» لألفريد فرج، ورسم خطة عمله على أساس تحقيق تطلع المسرحيين إلى مسرح قومي كويتي، فاختار أفضل الفنانين من الفرق الكويتية، وقد حقق العرض في دمشق والقاهرة والرباط وغيرها من العواصم العربية غايات هامة، من بينها على وجه الخصوص تكريس مسرح الكويت بين المسارح الأكثر تطورًا في الوطن العربي.

ومن أهم الأعمال التي أخرجها صقر الرشود بعد ذلك لمسرح الخليج: «حفلة على الخازوق» و«عريس لبنت السلطان» للكاتب محفوظ عبدالرحمن.

ولقد أجمل لي مشكورًا الأخ الكريم فوزي ذياب التميمي أعمال الفنان سعد أردش في الكويت كما يلي:

**١ - رسائل قاضي أشبيلية:**

كتبها ألفريد فرج وهي ثلاث مسرحيات قصيرة، تتجمع تحت هذا الإطار العام، وأخرجها سعد أردش الأستاذ بالمعهد العالي للفنون المسرحية، عرضت ابتداء من ١٩٧٨/٣/٢٠ على خشبة مسرح كيفان، ووضع ألحانها الفنان غنام الديكان، وقد عرضت هذه المسرحية بأبوظبي.

**٢ - جحا باع حماره:**

تأليف نبيل بدران، وإخراج سعد أردش، عرضت في ديسمبر ١٩٨٠.

وضمن مشاريع التخرج في المعهد العالي للفنون المسرحية:

**١ - أخرج مسرحية مريض الوهم في العام الدراسي ١٩٧٦ - ١٩٧٧ للكاتب الفرنسي «موليير».**

**٢ - وأخرج مسرحية «الزير سالم» في العام الدراسي ١٩٧٨ - ١٩٧٩.**

**٣ - أخرج عرضا مسرحيًا لمأساة أوديب بعنوان «أوديب بين سوفوكليس والمعاصرين» في العام الدراسي ١٩٨١ - ١٩٨٢.**

**٤ - كما أخرج مسرحية على ملعب السلة بالنادي العربي بعنوان «مولد أمة» بمناسبة بدء القرن الهجري الخامس عشر.**



وقام بأداء بعض الأدوار التمثيلية في مسلسلات كويتية نذكر منها (أبلة منيرة - المسلسل التاريخي «ابن سينا») وقد أنتجها تلفزيون دولة الكويت في الثمانينات.

ولا يفوتني أن أذكر المعلومات القيمة التي تلقيتها من الأخ الدكتور عبدالله الغيث عميد المعهد العالي للفنون المسرحية، حيث كان الفنان سعد أردش يعمل، وقد استفدت كثيرًا من تلك المعلومات وبخاصة أنها تناولت النشاط الأكاديمي للفنان، وعلاقاته الطيبة بزملائه وطلابه، وهذه البيانات منثورة في ثنايا المقال بحسب الموضع الذي يحتِّم ذكرها. وهنا أكرر شكري للدكتور عبدالله الغيث على ما تفضل به من معلومات.

هذا هو الفنان سعد أردش الذي عاش بيننا في الكويت فترة من الزمن، وشارك في كثير من الأنشطة الفنية التي يجيدها فمثل وأخرج وألَّف وتحدث في كتابه وفي دروسه عن المسرح الكويتي حديث المعجب به، وعاش صديقًا لعدد كبير من أبناء الكويت وعلى الأخص منهم أولئك الذين استهواهم الفن، فعرفوا طريقه، وأبدعوا في فنونه المختلفة وبعد أن توفي تاركًا لنا تاريخًا جميلاً يتعلق بالوقت الذي أمضاه في الكويت فإننا لابد وأن نذكره ونُثني على أعماله، ولذا جاء هذا المقال.

****

## رجال لا ينساهم الوطن:[1]

## خليفة طلال الجري

لا أدري لمَ تقفُ الكويت هذا الموقف الغريب تجاه أبنائها الذين كان لهم السبق في العمل العام، وكان لهم دورهم في البناء الوطني في شتى المجالات، فما أن يدرك الموت أحد هؤلاء وينتقل إلى رحمة ربه حتى يُسدل وطنه عليه أستار النسيان، وكأنه لم يعمل شيئًا لهذا الوطن، ولم يخدم المواطنين بأية صورة من الصور، بل كأنه لم يرد إلى هذه الدنيا، وكأنه لم يقم بأي عمل يذكر له.

إنه ليحز في النفس أن يحدث هذا بالنسة لرجال الكويت الذين لو تذكرنا أعمالهم التي قاموا بها أثناء مقدرتهم على العمل لوجدنا الشيء الكثير الذي يدل على إخلاصهم لبلادهم ومحبتهم لها ولأهلها. فهل يستجد في أمر حياتنا الراهنة ما يدعو إلى إحياء ذكرى هؤلاء وتمجيدهم بدلاً من نسيانهم وإهمال ذكراهم؟

في ذهني الآن رجل من أولئك الرجال هو المرحوم خليفة طلال الجري.

ولد هذا الرجل الفاضل في الكويت سنة ١٩٢٨م، وفي قرية بوحليفة، تلقى تعليمه في مدرسة أهلية كان صاحبها والمدرس فيها الملا عبدالله العصفور، وفي أول شبابه عمل في مهنة الغوص كغيره من أمثاله من شبان الكويت في ذلك الوقت. وعندما تم إنشاء شركة نفط الكويت التحق بها فعمل في أحد أعمالها المتاحة آنذاك، وأسس بعدها شركة هي شركة الجري والراشد للمقاولات، مغتنمًا

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢/٩/٢٠٠٩م.



فرصة التحرك الاقتصادي والإعماري في الكويت ثم لم يلبث أن التحق ببلدية الكويت، فصار رئيسًا للقسم الذي يمثلها في بوحليفة. وبعد سنة ١٩٦١م تطلع إلى المشاركة في العمل العام، فقد وجد نفسه حاصلاً على خبرة حياتية كبيرة، وكوّن له علاقات ومعارف مع كثيرين من الناس الذين يمثلون أهله وأصدقاءه والمعارف الذين استطاع أن يرتبط معهم بعلاقات طيبة خلال أعماله السابقة.

ونتيجة لكل ذلك فإنه أقدم على ترشيح نفسه لأول انتخابات من نوعها تجري في الكويت وهي انتخابات أعضاء المجلس التأسيسي في سنة ١٩٦٢م، وذلك من أجل وضع دستور البلاد، وقد تم له ما أراد ففاز في تلك الانتخابات، وعبَّر فوزه هذا عن محبة الناس له، واعتقادهم بأنه قادر على أن يقوم بالمهمة التي سوف يشارك زملاءه أعضاء المجلس في إنجازها. وقد تم عمل المجلس بعد أن أدى دوره، وبناء على الدستور الذي أقر واعتمده الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير دولة الكويت آنذاك، فقد بدأت الخطوة الثانية بالانتخابات الأولى لاختيار أعضاء مجلس الأمة في أول دور انعقاد له من الفصل التشريعي الأول، وذلك في سنة ١٩٦٣م، وقد قام خليفة طلال الجري بترشيح نفسه لهذا المجلس، وفاز بعضويته كما كان متوقعًا وأدى فيه دورًا محمودًا كما حصل له في المجلس التأسيسي.

وقد توقف بعد انتهاء دور انعقاد المجلس الأول عن المشاركة في الانتخابات أثناء عضويته، وبقي بعيدًا عن المجلس، ولكنه لم يكن بعيدًا عن المشاركة العامة، ولا عن الاتصال بالمواطنين، ومتابعة الأعمال التي تضطلع بها الحكومة أو التي يقوم بها المجلس، إلى أن جاء دور الانعقاد الخامس لمجلس الأمة الذي بدأ في سنة ١٩٨١م، وانتهى في سنة ١٩٨٥م، فوجد نفسه على استعداد للمشاركة في هذه المرة، فتقدم للترشيح في الانتخابات التي جرت لذلك، وفاز فيها كما هي عادته.

وعلى الرغم من انقطاعه فترة من الزمن عن متابعة هذا النوع من النشاط إلا أنه أثبت قوة علاقاته بالأهالي، وأكد محبة ناخبيه له.

إضافة إلى ما كان يقوم به في مجلس الأمة بصفته عضوًا فيه، ومن مناقشات ومداخلات واقتراحات وأسئلة فقد كان ذا حضور ملحوظ في الأنشطة الخارجية التي يشارك فيها مجلس الأمة، ولقد اختير لعضوية عدد من الأعمال الخارجية المهمة منها مؤتمر البرلمانيين العرب الذي تم انعقاده في مدينة القاهرة سنة ١٩٦٤م، ومؤتمر الاتحاد البرلماني الدولي الذي عقد في مدينة هافانا عاصمة كوبا سنة ١٩٨٣م، ومؤتمر البرلمانيين الدولي الذي عقد في عاصمة كوريا الجنوبية سنة ١٩٨٤م.

وكانت له إلى جانب هذا أنشطة أخرى متعددة في البلاد. فقد كان له اهتمام بالنشاط الاجتماعي والرياضي، وكان من مؤيدي نادي الساحل الرياضي، وبلغ من قوة تأييده لهذا النادي أن تولى رئاسة مجلس إدارته في دورتين متلاحقتين أولاهما في سنة ١٩٧٦م والثانية في سنة ١٩٨٠م، وهذا الاهتمام قد لا يعرف به عدد كبير من الأوساط الرياضية، أو في أوساط الشباب بشكل عام، الأمر الذي ترك في نفوس أبناء الأجيال اللاحقة لجيله أثرًا قويًّا من المحبة والتقدير له.

وابتداء من سنة ١٩٦٩م اتجه إلى المساهمة في الأعمال التربوية عن طريق إنشاء مؤسسة تعليمية خاصة لا تزال تؤدي دورها بصفتها من أهم مؤسسات التعليم الأهلي في محافظة الأحمدي. وقد دعا زملاءه أصحاب المدارس الخاصة في الكويت إلى تأسيس اتحاد يضمهم، يكون داعمًا لهم ولمدارسهم، وقد تم ذلك بتجاوب الجميع معه، وبرز: الاتحاد الكويتي لأصحاب المدارس الخاصة إلى الوجود في سنة ١٩٧٤م، وقد انتخب رئيسًا له منذ ذلك الوقت إلى سنة ١٩٩٢م، وكانت له مواقف مهمة في هذا السبيل.



هذه نظرة عامة إلى أعمال وسيرة المرحوم خليفة طلال الجري، وهنا ينبغي أن نتحدث عن مساهماته في المجلس التأسيسي والأمة خلال عضويته فيهما، وهذه هي بعض النقاط، مع البدء بفترة قيام المجلس التأسيسي، والانتهاء بدوري مجلس الأمة.

فيما يتعلق بنشاطه في المجلس التأسيسي فإننا نرى ذلك واضحًا في المناقشات التي كانت تدور في الجلسات وبخاصة منها ما يتعلق بالدستور، ولقد كان اهتمامه كبيرًا بهذا الأمر لأنه يوقن تمامًا بأن مصلحة الكويت ومستقبلها مرتبطان بصدور دستور يضمن مسيرة حكومية ونيابية سليمة، ويحتفظ بحق المواطنين في الحريات بكافة أشكالها. ولذا فقد بذل من اتصالاته مع زملائه ومن مناقشاته في الجلسات جهودًا جعلته يطمئن إلى حسن النتيجة، وعندما صدر الدستور بتوقيع أمير البلاد عليه كان ذلك اليوم يوم فرحة غامرة لصديقي الذي تأكد بعد ذلك أن الكويت العزيزة قد نالت ما تصبو إليه.

وفيما يتعلق بآثار صاحبي عضو مجلس الأمة خليفة طلال الجري في ما جرى خلال فترة عضويته في هذا المجلس، فإننا نجد نشاطه واضحًا ومتعددًا ويزيد كثيرًا على نشاطه في المجلس التأسيسي، وذلك لأن مدة هذا المجلس كانت قصيرة مرتبطة بزمن محدد وعمل معين، وعندما تم ذلك انتهى الدور المطلوب منه.

ولكن مشاركته في مجلس الأمة تختلف من حيث طبيعة المجلس المختلفة تمامًا عن المجلس الذي سبقه. لقد أتيحت الفرصة لهذا العضو الجديد في أثناء عضويته لمجلس الأمة ما لم يتح له في المجلس التأسيسي، لذا فنحن نراه يشارك في كل مجال من مجالات العمل فيشارك في النقاش ويقدم الأسئلة، ويقترح المقترحات التي تخص منطقته الانتخابية وغيرها، ويشارك في تقديم مقترحات بإصدار القوانين التي يراها تخدم العمل العام في البلاد وتدفع بعملية التنمية

الاقتصادية والاجتماعية، وكان له دور كبير في الدعوة إلى ترسيخ العمل في خدمة الإسكان الحكومي للمحتاجين، وله دور في الدعوة إلى تعميم المدارس في المنطقة التي يمثلها فهو حريص على أداء الأمانة على خير وجه.

في سنوات العمل بالمجلس ١٩٨١م و ١٩٨٢ و ١٩٨٣ و ١٩٨٤م، نشط خليفة طلال الجري في كثير من مجالات العمل النيابي الذي نقدم مثالاً له فيما يلي باختصار:

**١ - في ١٩٨١/٥/١٣م تقدم مع خمسة آخرين من زملائه الأعضاء باقتراح بقانون يتضمن تعديلاً على قانون الخدمة المدنية.**

**٢ - في ١٩٨٢/١٠/١١م تقدم هو وخمسة من زملائه الأعضاء باقتراح قانون يعدل بعض أحكام القانون الخاص بالهيئات الرياضة.**

**٣ - وفي اليوم المذكور آنفًا قدم بمفرده اقتراحًا يتضمن تعديل حكم المادة ٢٣٧ من قانون الجزاء رقم ١٦ لسنة ١٩٦٠م.**

**٤ - في ١٩٨٢/١٢/٦م قدم بمفرده - أيضًا - اقتراحًا بمشروع قانون يتضمن تعديل بعض أحكام القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٧٢ م بشأن بلدية الكويت.**

**٥ - في ١٩٨٢/٥/١٩م تقدم - متفردًا - باقتراح مشروع قانون بشأن درجات ومرتبات العاملين في إدارة التحقيقات بوزارة الداخلية.**

وفي سنة ١٩٨٣م قدم عددًا كبيرًا من المقترحات تشمل إنشاء جمعيات تعاونية في منطقته الانتخابية التي كانت محرومة منها وقتذاك. كما قدم مقترحات أخرى بشأن إنشاء مدارس وطرق ومكتبة عامة لحاجة المنطقة إلى كل ذلك، واقترح إنشاء عدد من بيوت ذوي الدخل المحدود لتوزيعها على المحتاجين في تلك المنطقة، كما



قدم عددًا كبيرًا آخر من الطلبات والاقتراحات التي تدل على مدى اهتمامه بالكويت بصورة عامة وليس كما كان الأمر متوقعًا بحصر هذا الاهتمام بمنطقته دون غيرها فهو بصفته نائبًا يمثل الكويت كلها على استعداد لبذل مايستطيع من أجلها.

وفي سنة ١٩٨٤م كان له اهتمام كبير بتقديم الأسئلة التي يقصد من ورائها الإحاطة ببعض ما يجد أنه من المهم أن يعرفه من معلومات عن عدد من الأمور العامة الجارية في الوزارات أو في بعض المؤسسات الحكومية الأخرى.

في ١٩٨٤/٢/١٥م قدم سؤالًا طويلاً ضم ست عشرة فقرة ووجهه إلى وزير الصحة، وزير التخطيط آنذاك، وكان ذلك السؤال الشامل متعلقًا بمجلس حماية البيئة، وقد تطرق السؤال إلى عدد كبير من الأمور التي تناولت كافة ما يقوم به هذا المجلس من أنشطة، ودقق في السؤال بصفة خاصة في المصروفات التي يقدمها مجلس البيئة، وكان يرغب في معرفة جوانب تلك المصروفات، وجدوى تقديمها وكان أيضًا يريد أن يتأكد من مقدرة الجهاز الفني والإداري العامل في هذا المجال المهم على أداء المهمة المنوطة به.

وكان هذا السؤال ضمن أسئلة كثيرة عن المدارس والمستشفيات والرعاية الاجتماعية والإسكان، بل وعن مجلس التعاون الخليجي، وعن الحرب العراقية الإيرانية التي كانت مشتعلة وقتذاك، وبالاختصار فإننا نجده قد قدم مجموعة كبيرة متنوعة من الأسئلة بحيث لم يترك مجالاً من المجالات إلا أثار حوله الأسئلة ولفت إليه الأنظار، وكانت بعض أسئلته تدل بوضوح على أنه ينوي متابعة الموضوع الذي يسأل عنه واستقصاء الكثير مما يجب أن يستقصي بحيث لا يدع الأمر معلقًا ويكتفي فقط بالسؤال وبالإجابة عنه، فهو لا يريد مجرد التظاهر بما يفعل وإنما يريد أن يصل إلى نتائج تفيد الوطن.

وإذا عدنا القهقرى وجدناه في ١٩٦٥/١١/٢٩م يقدم اقتراحًا بإنشاء روضة الأطفال في قريته بوحليفة استكمالاً للأعمال المدرسية التي تمت بها. وفي اليوم نفسه قدّم اقتراحًا آخر بإنشاء مدرسة بنات في القرية ذاتها، وفي ١٩٦٥/٤/٧م قدم اقتراحًا بإنشاء مستوصف في بوحليفة، وقدم في التاريخ نفسه اقتراحًا آخر بإنشاء مخفرين للشرطة أحدهما في الفنطاس والآخر في بوحليفة، وفي ١٩٦٥/٢/١٧م قدم اقتراحين أحدهما بشأن إنشاء مساكن لذوي الدخل المحدود في قرية المنقف، والآخر بشأن تبليط شوارع قرية بوحليفة.

ونراه في ١٩٦٥/٥/٣م يخرج عن هذا الإطار لكي يقدم هو وأربعة من زملائه الأعضاء اقتراحًا بإنشاء دار للإفتاء في البلاد.

وفي سنتي ١٩٦٥م، ١٩٦٦م قدم عددًا لا بأس به من الأسئلة وكلها ذات مغزى مهم لأنها تلفت أنظار من وجهها إليهم إلى أبواب من الخدمة العامة ينبغي أن يلاحظوها، أو أمور من القصور ينبغي أن يقوموا بتلافيها. ولم تكن هذه الأسئلة مقتصرة على منطقة بعينها بل كانت تشمل دولة الكويت بأسرها، وفي غير مجال الأسئلة وجدناه في ١٩٦٦/٢/٢٧م يقدم مع الأعضاء: أحمد السرحان، وعبدالعزيز الخالد، وأحمد الفوزان، وحمد المشاري اقتراحًا بقانون بشأن المساعدات العامة التي تقدمها الدولة للمحتاجين، وكان اهتمام هؤلاء الأعضاء بهذا الأمر الاجتماعي والإنساني من الأمور التي لاتنسى لهم.

لا أدعي أن كل ما قدمته هو ما قام به خليفة طلال الجري من أعمال في المجلس أو في خارجه ولكنني حرصت على أن أضع بين يدي القارئ نماذج لما كان يقوم به. ويكفي ماذكرته من أمور أنها تدل على إخلاصه ووفائه وصدقه في التعامل مع الناس. رحمه الله رحمة واسعة.

****



## ملحاق خير

زاملت المرحوم خليفة طلال الجري مدة أربع سنوات بدأت في سنة ١٩٨١م وانتهت في سنة ١٩٨٥م، وكان ذلك في الفصل التشريعي الذي عاد به إلى عضوية مجلس الأمة، وكنت يومها عضوًا بحكم منصبي لا بالانتخاب وهذا أمر معروف، وكانت صلتي به قوية لأنها بدأت منذ كان عضوًا في المجلس التأسيسي. وكنت أشعر بقيمة هذا الرجل وطيب نفسه، وحرصه على تكوين العلاقات مع من يراهم أهلاً لذلك، وهذا هو سر كثرة أعداد من يعرف من أبناء الكويت في مختلف مناطقها. كما كنت أشعر بمحبته لوطنه وحرصه على مستقبله، وهو على استعداد لبذل كل ما يقدر عليه من جهد في سبيل تحقيق ذلك.

استمرت العلاقات الأخوية بيننا، وكنت أرى منه في كل يوم جديد ما يؤكد مشاعري تجاهه، فهو إنسان يستحق المحبة وهو كذلك جدير بالاحترام.

ولا يفوتني في (ملحاق خير) هذا أن أذكر ثلاثة أمور تؤكد ذلك من خلال علاقتنا الشخصية ببعض.

أولها: أنه خلال عضويته في مجلس الأمة اهتم بموضوع له علاقة بخدمة الجمهور، وسعى إلى كشف ما لديه من شكوك عن طريق تقديم الأسئلة للوزير المختص، ولم يكن الوزير يومذاك متجاوبًا مع رجاء السائل في ضرورة الإجابة والإسراع بها، مما جعله يفكر في خطوة تالية وهي أن يُقدِّم الوزير المعني للاستجواب.

كانت الاستجوابات من الأمور النادرة وليست كما هي الآن حيث نستمع في كل يوم يمر علينا إلى عضو يتقدم باستجواب. وكان الوزراء متعاونين لا يحفر بعضهم لبعض. وبحكم علاقتي بهذا الرجل الكريم توجهت إليه متحدثًا في موضوع ذلك الاستجواب الذي أوشك على تقديمه رسميًا لرئاسة المجلس.

ولقد وجدت لديه الاستعداد لبحث الأمر بعيدًا من التشنج الذي نراه اليوم، وقال لي يومذاك: إنني قد قدمت عددًا من الأسئلة لا أهدف من ورائها إلاّ كشف الحقائق فلماذا لا يرد الوزير على أسئلتي. وأذكر أنني قلت له ردًّا على تساؤله: لك كل الحق في السؤال وفي تلقي الإجابة عما تسأل عنه، وهذا حق يكفله النظام الديموقراطي الذي نسير عليه. ولي إليك رجاء هو أنه إذا استطعت الحصول على المعلومات التي تريدها وأضيفت إليها معالجة القضايا التي قد ترى ضرورة معالجتها بعد حصولك على الردود، فهل أنت على استعداد للتخلي عن هذا الاستجواب؟

فرد عليّ قائلاً: إنني لا أريد الاستجواب من أجل أن يقال إنني استجوبت الوزير الفلاني، ولكنني أريد المصلحة العامة، فمن يضمن لي الوصول إلى ذلك في حالة توقفي عن الإجراء الذي أنوي اتخاذه؟

قلت له: وفي هذا لك حق أيضًا، واسمح لي أن أقول لك إنني أضمن تحقيق ذلك إذا أعلنت نيتك بالتوقف عن إجراءات الاستجواب.

هنا قال لي: أنت أخ عزيز، وما تقوله لي آخذه بمأخذ الثقة واعتبرني الآن قد توقفت.

وتم تنفيذ الاتفاق من الطرفين وسارت الأمور على ما يرام، ودل موقف صاحبي على تقديره لصديقه الذي فتح معه هذا الموضوع. وارتفعت درجة محبتي له بعد ذلك كثيرًا.



وثاني الأمور هو ما حدث في يوم من أيام الثلاثاء أذكر أنني انشغلت فيه بعمل خارجي فلم استطع أن أحضر جلسة ذلك اليوم، وعدت إلى منزلي ظهرًا وفي هذه الأثناء أبلغت بأن طارقًا يطرق الباب فخرجت لكي أرى من الطارق، وإذا هو المرحوم خليفة طلال الجري. أدخلته وجلست معه، وسألته ما الأمر؟ لأنه لم يأتني إلى منزلي قبل هذا اليوم أبدًا.

فقال: لا شيء لقد جئت من أجْل الاطمئنان عليك، لقد اعتدنا على اللقاء في جلسة المجلس يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وعندما رفعت الجلسة ولم تحضر خشيت أن يكون قد أصابك مكروه فجئت إلى بيتك من أجل ذلك.

لقد كانت لفتة لا أنساها من هذا الرجل الوفي الذي يأخذ بلُبِّك ما يقوم به من مبادرات تجاه أصحابه، معتبرًا أن مثل هذه المبادرات هي الأساس في علاقات المجتمع المتميزة.

أما ثالث الأمور، فكان أمرًا آسرًا كما كان قد عودني صاحبي، كان في إحدى سنوات ما قبل الغزو العراقي الغاشم للكويت في أسبانيا يتلقى علاجًا هناك وكنت في الوقت نفسه طريح الفراش في مستشفى مبارك. وفي فترة من فترات الزيارة أقبل عليّ بعض الشباب عرفت فيهم أبناء أخي خليفة الجري، وأبلغوني أنهم أتوا إليّ تنفيذًا لأمر والدهم الذي اتصل بهم من أسبانيا عندما علم بمرضي وطلب منهم الحضور لعيادتي ثم إبلاغه عن وضعي الصحي آنذاك. كانت لفتة كريمة أعجز عن أن أعبِّر له عن عرفاني بالجميل من أجلها فهو في الوقت الذي لم أقم بواجبي تجاهه ولم اتصل به يطلب من هناك من أولاده الأعزاء زيارتي وإبلاغه بحالتي.

كان رحمه الله رجلاً نادرًا في وفائه وإخلاصه، وفي مقدار المحبة التي يكنها قلبه لأصدقائه.

****

# التنمية الاقتصادية في الكويت ضمن تقرير دولي[1]

في سنة ١٩٦١م استعانت الكويت بالبنك الدولي للإنشاء والتعمير لكي يقوم بدراسة شأن التنمية الاقتصادية بها، وذلك لأن تلك الفترة من تاريخ الكويت كانت مهمة من حيث تنامي الثروة النفطية واتساع البلاد وانتهاء الاتفاق المعقود مع بريطانيا وفي بداية خطواتها إلى العالم وجدت الكويت أنها لابد وأن تستعين بجهة متخصصة تدرس أوضاعها الاقتصادية وتقدم لها النصح فيما يتعلق بالآتي من الأيام، وليس أمامها من مرجع لهذا الأمر إلا البنك الدولي فهو جهة خبيرة في مجال التنمية ومحايدة في الوقت نفسه، إذ هو دولي المرجع لا تؤثر فيه دولة ذات مصالح في منطقتنا، وهو مسؤول عن كل ما يقدمه من نصح.

أرسل البنك الدولي للإنشاء والتعمير لجنتين إحداهما كثيرة العدد متنوعة التخصصات ووذلك في سنة ١٩٦١م والأخرى قليلة العدد لا تزيد عن ثلاثة أفراد، جاءت في سنة ١٩٦٣م، وكان دور اللجنة الأولى أساسيًا وقد ضمت بالإضافات إلى رئيسها مختصًا في الاقتصاد وآخر في موارد المياه، وفيها أيضًا من هو متخصص في الصناعة والأشغال العامة، والتربية والإدارة العامة والميزانيات والمحاسبة والاقتصاد الزراعي والشؤون الصحية.

أما اللجنة الثانية فكان مع رئيسها خبير اقتصادي ومستشار في الشؤون الصناعية.

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٩م.



كان عمل اللجنة الثانية، هو مراجعة عمل اللجنة الأولى واستدراك ما فاتها، وإضافة ما استجد في السنوات الفاصلة بين تاريخي وصول اللجنتين إلى البلاد، وقد قامت اللجنة الأخيرة بعملها وأصدرت تقريرًا دمجت فيه التقريرين فجاء في تقرير واحد واسع قام البنك الدولي للإنشاء والتعمير بطبعه باللغة الإنجليزية في أمريكا، ثم ترجم إلى اللغة العربية ونشرته دار المكتب العربي للطباعة والنشر والتوزيع في الكويت وقام بترجمته الدكتور صلاح الدين الصباغ، وراجعه الأخ الدكتور محمد يوسف نجم، ولقيام هذين الرجلين بالترجمة والمراجعة فقد جاء الكتاب الذي يضم التقرير النهائي رصين العبارة لا يتوقف قارئه ليستجلي معنى عبارة أو كلمة حتى لكأنه كتب أصلاً بالعربية.

بعد ذكر أسماء أعضاء الوفدين جاء فهرس الكتاب وهو يتكون من مقدمة وعشرة أبواب وملحقين.

لقد جاء في المقدمة أن البنك الدولي للإنشاء والتعمير قد استعان بمنظمة الأمم المتحدة وبعض الهيئات الدولية المتخصصة مثل اليونسكو ومنظمة الصحة العالمية وبالحكومة الامريكية أيضًا في اختيار الخبراء الذين انضموا الى الوفدين الأول والثاني.

واثنت المقدمة كذلك على الاستقبال الطيب والتعاون المثمر الذي تم مع البعثتين في الكويت، وكان الباب الأول من الكتاب عبارة عن تلخيص لما جاء في التقرير الذي كتب في سنة ١٩٦١م. وقد جاء فيه ما يعتبر بديهيًا من حيث النص على أن النفط هو عماد الاقتصاد الكويتي وأن الوفرة النفطية أدت الى وفرة مادية، وفي هذا الموضع إشارة إلى أن توزيع الاقتصاد الكويتي وتوزيع استخداماته مفيد للبلاد ويبدو أن الوفد لاحظ أن الحكومة على دراية بان النفط سوف يبقى عماد الاقتصاد الكويتي لمدة طويلة، ولذا فهي تتصرف بوعي وحكمة عندما

تحتاط للمستقبل الذي قد يؤثر على هذه الوفرة القائمة وتصبح البلاد في حاجة إلى مصادر أخرى للدخل، ثم يضيف هذا التقرير «وحتى لو صرفنا النظر عن الاعتبارات الاقتصادية المحضة، فإن تنوع الاقتصاد هو الذي سيتيح للسكان عددًا أكبر من مجالات العمل، وسوف يؤدي إلى تحسين البيئة الاجتماعية في الكويت ويزيدها رونقًا وجاذبية».

وقد لوحظ أن الكويت تسعى إلى تنمية نفسها تنمية داخلية سليمة، وتسعى إلى رفع مستوى الدخل لدى السكان وفي الوقت نفسه فهي تصرف في مجالات التنمية المختلفة مثل البرامج الاقتصادية والصحية والتربوية والاجتماعية وغير ذلك من البرامج النافعة.

وقد لاحظ الوفد أن وضع الكويت مختلف من عدة جوانب عن كثير من البلدان التي عملوا فيها فمن ناحية نرى أن البلاد لا تمتلك مواد أخرى غير النفط والغاز، ومن ناحية أخرى نرى أن الشعب الكويتي المتمرس بالحياة البحرية والتجارية قد بدا يساهم في الأنشطة الجديدة يساعده عدد من العاملين غير الكويتيين الذين وجدوا في الأعمال المتوافرة في الكويت مصدرًا للرزق وفي الوقت نفسه فإن عددًا منهم يمتلك خبرات لا بأس بها أفادت في التحرك إلى الأفضل في مجال التنمية.

ثم ينتقل هذا الجزء من الكتاب إلى الحديث عن استثمارات القطاع الخاص، وكانت بعثة البنك الدولي التي جاءت إلى الكويت في سنة ١٩٦١م قد أوصت الحكومة بأن تقوم بصرف ما يوازي ٢٨٪ من مجموع إيرادات الدولة على النفقات الإنشائية المحلية، وهذا يصل إلى ما يزيد على الخمسين مليون دينار في السنة، كان من المتوجب أن يصرف منها مبلغ ٤٤ مليون على القطاع العام، أما الباقي فيخصص للاستثمارات الحكومية في القطاع الخاص، أو للاشتراك معه، ورغبة من البعثة في إتاحة الفرصة لنمو أعمال القطاع الخاص، فقد اقترحت خفض المبالغ الخاصة باستملاك الأراضي بحيث تغطي القيمة الناتجة عن الخفض



حاجات القطاع الخاص الذي من المصلحة أن ينمو ويزدهر، وقد رأت البعثة الثانية أن هذا الاقتراح سديد وينبغي الأخذ به.

كان مجلس التخطيط الحكومي قد نشأ آنذاك وفي نيته وضع خطة خمسية تبدأ منذ ذلك الوقت، ولذا لم تحاول البعثة في سنة ١٩٦٣م أن تضع خطة للسنة المالية ١٩٦٦/٦٥م غير أنها نصحت بزيادة الصرف على الإسكان والمياه.

وفي موضوع القطاع الخاص لاحظت البعثة أن المهن المتعلقة بالتجارة والبناء والخدمات الشخصية قد زاد نموها في السنوات الاثنتي عشر الماضية، وأن المهن التقليدية قد تقهقرت نسبيًّا، وذلك لأن مستوى الدخل في الأنشطة المستجدة صار أعلى من الأنشطة القديمة وقد لاحظت البعثة أن وفرة رأس المال لم يكن سببًا في اتجاه أصحاب الأموال إلى الصناعة بالقدر الكافي وإن كان قد ظهرت بعض الأعمال الصغيرة المتعلقة بإنتاج مواد البناء، وقد تمت ملاحظة إقدام القطاع الخاص على المساهمة في الشركات الصناعية اذا كات الحكومة تساهم بها، وقد حذرت بعثة سنة ١٩٦٣ من إمكان حدوث خلافات بين ممثلي الحكومة وممثلي الأهالي في هذه الشركات ذات القطاع المشترك. وقالت البعثة أنه إذا رغبت الحكومة في أن تساهم في بعض الخسائر التي تنشأ عن إقامة صناعات جديدة فإن بإمكانها أن تفعل ذلك بتقديم القروض لآجال بعيدة وبفائدة قليلة بواسطة مؤسساتها الخاصة، وهذا هو ما يقوم به البنك الصناعي حاليًّا.

وفي هذا الخصوص رأت بعثة سنة ١٩٦٣م أن الحكومة تستطيع أن تسلك في تشجيعها للصناعة أحد طريقين أولهما هو ما ذكرناه آنفًا، والثاني هو زيادة الجمارك على البضائع التي لها شبيه في المنتج المحلي. وقد ذكرت البعثة أنها اختارت تقديم هذين العرضين لأنها ترى أن الكويت تستطيع المنافسة في صناعات قطاعات معينة مثل الكيماويات البترولية، وأن تشجيع الصناعة على أحد الأساسين

السابقين يؤدي إلى خفض أعداد العاملين في مجالات أخرى وهم يتقاضون رواتب كبيرة ولكن رواتبهم لا تتكافأ مع إنتاجهم. والأمر الثالث هو أن البعثة ترى أن السوق المحلي يستوعب إنتاج الصناعات بدليل كمية البضائع التي تستورد سنويًا. ومن الملاحظ أن بعثة ١٩٦٣م قد اهتمت كثيرًا باليد العاملة في الشركات متناسية أن الأغلبية الساحقة من الأيدي غير كويتية وأن مجيئها إلى الكويت لتوافر مجالات العمل التي إذا تعذر وجودها اتجهت إلى بلدان أخرى فهي ليست مشكلة كما هي اليوم حيث يعاني شبابنا من بطالة مكشوفة وأخرى مقنعة.

ركزت البعثة كثيرًا على تنمية الصناعة وسبل ذلك، وعددت الوسائل التي ينبغي اتخاذها إذا ما أرادت الحكومة الكويتية الاهتمام بهذا المرفق المهم، كما لاحظت أن الحكومة من جهتها قد باشرت في سنة ١٩٦١م بوضع الخطط بإنشاء منطقة صناعية للصناعات الكبيرة، ولعلهم كانوا يقصدون منطقة الشعيبة الصناعية التي قامت بناء على تلك الخطط الكويتية ولا تزال تؤدي دورها الكبير في خدمة تنمية الصناعة وعلى الأخص صناعة البتروكيماويات.

بعد ذلك تحدث التقرير عن توزيع الموارد المائية، وقد كانت على ضخامة حجمها في ذلك الوقت متواضعة جدًا إذا قسناها بالمبالغ المتوافرة اليوم، وبالذات تلك التي تصرف على الإنشاءات وغيرها، وقد كان إحساس البعثة بحجم المبالغ هو الذي دفعها هي وبعثة سنة ١٩٦١م إلى الطلب من الحكومة تخفيض النفقات التي تصرف على استملاك الأراضي.

ومن الملاحظ هنا أن كثيرًا من المقترحات التي كان أعضاء البعثتين يفكرون بها قد سبقت إليها الحكومة وهذا ما تمت الإشارة إليه فيما مضى، ولعل مما يجدر بنا ذكره هو الحديث المباشر عن استثمارات الكويت الخارجية وثناء لجنة سنة ١٩٦٣م على التقدم الذي أبدته الحكومة خلال العمل في هذا المجال، ومما



قالته اللجنة: «ولقد تقدمت الكويت تقدما مدهشًا منذ سنة ١٩٦١م في إرساء إدارة استثماراتها الخارجية على أسس وطيدة، فالصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ورأسماله ١٠٠ مليون دينار، قد أخذ يساهم مساهمة فعالة في تقدم عدد من البلاد. وتبلغ قيمة القروض التي قدمها ٢٠,٤ مليون دينار عدا عن قروض أخرى لا تزال قيد الدرس، ويعمل في الصندوق موظفون من ذوي الكفاءات المهنية، ومن حسن الحظ أن الحكومة أدركت حكمة المحافظة على استقلال الصندوق من المؤثرات السياسية فهو لا يقدم قروضًا لا تخصص لمشروعات معينة (كالقرض الذي أعطي مؤخرًا للعراق والبالغ ٣٠ مليون دينار) يضاف إلى ذلك أن الحكومة أخذت منذ سنة ١٩٦١م تستشير الخبراء الممتازين في أمر إدارة استثماراتها المولدة للدخل في المملكة المتحدة وخارجها».

انتقل الحديث بعد ذلك إلى السياسات الاقتصادية الأخرى ومنها السياسة الضريبية، وقد ورد أنها كانت من نوعين الأول منهما هو الضريبة الجمركية وهذه أمرها معروف والثانية هي الضريبة على الأعمال وتفرض على الشركات الأجنبية، ونذكر هنا أن هذا الموضوع لا يزال موضوع بحث حتى يومنا هذا.

ومن السياسات قيام البنك المركزي، وكان آنذاك فكرة بادرت إليها الحكومة وقد تحققت فيما بعد، وها هو ذا بنك الكويت المركزي يؤدي دوره المهم في إدارة عجلة الاقتصاد والاستثمارات والمحافظة على النقد الوطني في البلاد.

وفي مجال (الإحصاء) لاحظت البعثة أن وضع هذا المرفق قد تحسن الآن وأصبح على المستوى اللائق، أما بخصوص عمل الشركات الاجنبية في الكويت فقد ذكرت البعثة أنه إذا كانت الكويت ترغب في التوسع في أعمالها المصرفية والتأمينية في الخارج، وهذا أمر مستحسن فإن عليها أن تفسح المجال للشركات

الاجنبية للعمل لديها على أساس المعاملة بالمثل، وهذا هو الأمر الذي تحقق بعد مرور عدد كبير من السنين.

وفي حديث لاحق عن سياسة التجنيس، ذكرت البعثة أن العناصر التي يتألف منها بلد ما، ومستوى السكان فيها، ونسبة زيادتهم السنوية عوامل أساسية تؤثر في التنمية الاقتصادية لذلك البلد، وقد طلبت البعثة أن تقوم السلطات الكويتية بسن قواعد وأسس في هذا السبيل، وهذا الأمر الذي لم تتخلف عنه البلاد منذ سنة ١٩٥٩م حين صدر المرسوم بقانون رقم (١٠) لسنة ١٩٥٩م الخاص بالجنسية الكويتية، ثم حين صدر قانون تحقيق الجنسية رقم (٥) لسنة ١٩٦٠م، وهو القانون الذي شكل اللجان المنوط بها تحقيق الجنسية بحسب المناطق التي تم تحديد عمل كل لجنة بها.

وهكذا ترى مرة أخرى أن حكومة الكويت تسابق الزمن في تحقيق ما يجب عليها وتسبق البعثتين في القيام بكثير مما اقترحتاه في تقريريهما الصادرين في سنة ١٩٦١م و١٩٦٣م.

وجاء الدور على الحديث عن الإدارة العامة في البلاد وقد لاحظت البعثة أن الكويت منذ اليوم التاسع عشر من شهر يونيو لسنة ١٩٦١م ومع انتهاء العمل باتفاق سنة ١٨٩٩م صارت تتحرك بسرعة نحو الحكم التمثيلي، وذلك بصدور الدستور وانتخاب مجلس الأمة، وقيام مجلس الوزراء، وهنا تقول البعثة سنة ١٩٦٣م إن هذه التطورات قد ألغت الكثير من توصيات البعثة الأولى التي جاءت في سنة ١٩٦١م وكان ذلك في شهر مارس الذي سبق توقيع الاتفاق بين الكويت وبريطانيا الخاص بإلغاء اتفاقية سنة ١٨٩٩م.

وقد ألقت البعثة الثانية نظرة على الأوضاع الإدارية في الكويت عامة ولاحظت بعض الملاحظات التي بدأت الحكومة عاجلًا وبادرت إلى معالجة ما بها، وفي نهاية



ما ذكرته هذه البعثة عن النواحي الإدارية أنها لاحظت بكل سرور تبني حكومة الكويت لاقتراحين قدمتهما البعثة الأولى وهما تركز الميزانية في يد وزارة المالية، وإقامة نظام مراقبة على الصرف.

تحدث البندان الأخيران من بنود السياسات العامة عن الصحة والتربية، ومن الجدير بالذكر أن كثيرًا من الاقتراحات الواردة تحت هذين البندين قد تعداهما الزمن الآن لأن النمو في خدمة الصحة والتربية خلال الفترة التي مرت منذ سنة ١٩٦٣م حتى اليوم كان نموًّا سريعًا، وكانت جميع الثغرات التي يمكن أن ترى في سنة ١٩٦١م وما بعدها إلى السنة التي كتبت فيها البعثة الثانية تقريرها قد سُدّت، وتجاوز النشاط العملي في البلاد كثيرًا من النواقص ليصل إلى مستوى جيد لو اطلعت عليه البعثتان لتغير حديثهما.

هذا هو الباب الأول الذي لخصت فيه البعثة الثانية أعمال البعثة الأولى وعلقت عليها، ومن الظاهر أن الحكومة كانت راغبة أشد الرغبة في الاستفادة من كل ما يمكن أن تقدمه البعثتان، ولذلك فقد كان الاهتمام بهما شديدًا، وكانتا تطلعان على كل صغيرة وكبيرة في الجهاز الحكومي بحيث غطت توصياتهما مجالات متعددة، وجاءت اقتراحاتهما مفيدة.

ولم يكن من السهل عرض الكتاب كله فهو يتكون من عشرة أبواب شملت كافة الأنشطة في البلاد ولا مجال لاستقصاء ما جاء فيها وكان اهتمامنا منصبًّا على الباب الأول لانه يكاد يكون من عمل البعثتين مجتمعتين كما قد أوضحنا منذ البداية.

وبعد فلا بأس هنا أن نلقي نظرة على ما حدث في الكويت منذ سنة ١٩٦١م حتى سنة ١٩٦٣م، على أن تكون هذه النظرة في منتهى الإيجاز، وسبب ذكرنا لهذا الأمر هو تزامن هذه الأحداث التي سوف نذكرها مع الفترة التي زارت البعثتان

الدولتان فيها الكويت فكانت نتيجة زيارتهما التقرير المتضمن في الكتاب الذي تحدثنا عنه ولما كان ما ذكرته البعثتان له علاقة بأمور جرى حدوثها في بلادنا وقتذاك، فإن من الأفضل استكمال ما غفلنا عن ذكره، وذلك كما يلي:

نشأت في الكويت في تلك الفترة وما قبلها بقليل شركات مساهمة عديدة وذات أهمية بالنسبة لاقتصاد البلاد منها قيام شركة ناقلات النفط في اليوم الخامس عشر من شهر إبريل لسنة ١٩٥٩م، وشركة السينما في اليوم الخامس والعشرين من شهر مايو لسنة ١٩٥٤م، وبنك الكويت الوطني في شهر نوفمبر لسنة ١٩٥٤م، وشركة الصناعات الوطنية في أواخر سنة ١٩٦١م، وشركة مطاحن الدقيق التي صدر مرسوم أميري بإنشائها في سنة ١٩٦١م، وشركة الفنادق التي صدر مرسوم إنشائها في شهر يونيو لسنة ١٩٦٢م..

وكان هناك البنك البريطاني الذي نشأ في اليوم الثامن عشر من شهر ديسمبر لسنة ١٩٤٢م، واستمر في العمل حتى صار فيما بعد بنكًا كويتيًّا خالصًا تحت اسم: بنك الكويت والشرق الأوسط ومن الأعمال التي تم ضمها إلى شركة الصناعات الكويتية التي أشرنا إليها آنفا مصنع الطابوق الرملي والجيري الذي تم إنشاؤه في سنة ١٩٥٣م. وهذه هي مجرد اختيارات لما كان قائمًا في الفترة التي تحدثنا عن زيارة البعثتين فيها من شركات.

ومن جهة أخرى بدأت الكويت في افتتاح سفاراتها في الخارج، ففي اليوم الخامس عشر من شهر أكتوبر لسنة ١٩٦١م تم تعيين السيد عيسى العبداللطيف العبدالجليل سفيرًا للبلاد في المملكة العربية السعودية، والسيد عبدالرحمن سالم العتيقي سفيرًا في الولايات المتحدة في اليوم الثاني من شهر ديسمبر للسنة ذاتها.

وصدر في البلاد عدد من الصحف بعضها توقف عن الصدور بعد فترة قليلة والآخر استمر؛ منها مجلة الكويت التي أصدرتها وزارة الإرشاد والأنباء (الإعلام



حاليًّا) وكان رئيس تحريرها المرحوم حمد يوسف الرومي، ومجلة حماة الوطن عن وزارة الدفاع، ومجلة الهدف وكان رئيس تحريرها السيد خالد العيسى الصالح، وصدرت مجلة الجماهير في اليوم العشرين من شهر مارس لسنة ١٩٦١م، وكان رئيسها المرحوم سامي أحمد المنيس، ومجلة الرسالة في شهر أبريل لصاحبها ورئيس تحريرها الأخ جاسم المبارك، وغيرها كثير.

وافتتحت سفارات لعدد من الدول في البلاد، وصدرت قوانين منظمة لكثير من الأعمال منها قانون المعاشات ومكافآت التقاعد للعسكريين، وقانون الشركات وقانون المطبوعات، وأنشأت الحكومة دائرة الخارجية (وزارة الخارجية فيما بعد) وإدارة التسجيل العقاري، وتم تأسيس الصندوق الكويتي للتنمية العربية الاقتصادية.

ولا ننسى أن نذكر - كما ذكرنا مرارًا - أن سنة ١٩٦١م، هي سنة الاستقلال في التاسع عشر منه، وهي السنة التي انضمت فيها البلاد إلى عضوية جامعة الدول العربية في اليوم التاسع عشر من شهر يوليو، ورفع فيها علم الكويت الجديد في اليوم الرابع عشر من شهر نوفمبر.

وجرى بعد أعمال النفط افتتاح مشروع الغاز المسال من أجل الاستفادة من هذه المادة بدلاً من إحراقها كما كانت العادة تجري بذلك فيما مضى.

وإذا كنا نلاحظ أن سنة ١٩٦١م قد حفلت بأعمال كثيرة لم نستطع أن نجد المجال لذكرها كلها، فإن من المؤكد أن سنتي ١٩٦٢م و١٩٦٣م قد حفلتا بكثير من الأعمال التي تحتاج إلى مزيد من الصفحات من أجل الإحاطة بها، وما ذكرناه عن سنة ١٩٦١م يكفي للدلالة على أن اللجنتين اللتين تحدثنا عن تقريرهما، لم تحيطا بكل الأنشطة التي كانت قائمة في البلاد، وربما كان ذلك بسبب قصر مدة عملهما عندنا، أو أنهما كانتا تركزان فقط على بعض الأعمال دون غيرها.

****

# الرسوم المالية بين شاعرين[1]

تفرض إدارات البلدية في عدد من البلدان رسومًا مالية تستطيع بحصيلتها أن تتفق على مختلف أبواب الصرف التي تقوم بها خدمة للأهالي وخدمة للمنطقة الواقعة تحت مسؤولية البلدية في كل موقع من المواقع.

عندما تأسست دائرة بلدية الكويت، كان ذلك في وقت صعب على البلاد من الناحية المالية، ولم تكن الحكومة يومذاك قادرة على الصرف في الوجوه المختلفة التي تضطلع البلدية بالاهتمام بها. ولذا لم يجد المجلس البلدي في سنة ١٩٣٠م إلا أن يتجه إلى فرض الرسوم على الأهالي فشكل لجنة لهذا الغرض قامت بدراسة الأمر جيدًا، ثم وضعت نظام الرسوم الذي أقره ذلك المجلس.

كان وضع الرسوم ثقيلاً على الناس، ولذا فقد حاولت دائرة بلدية الكويت أن تبذل جهدها من ناحية تقرير أقل ما يمكن من المبالغ، وتقسيط هذه المبالغ ليسهل على المواطنين دفعها. وقد أبلغ رئيس البلدية هؤلاء بما يجب عليهم، وقسط لهم المبالغ المطلوبة على أربعة أقساط، وذكر في رسالة تم توزيعها على الجميع أن مندوبًا من الدائرة يقوم بتحصيل المبلغ المستحق على كل شخص، ويدفع له وصلاً مختومًا بختم البلدية مع الإمضاء، وبه أرقام مسلسلة، ومع ذلك فقد كان الكثيرون يطلبون تقسيط المبالغ عليهم، أو تأخير دفعها، وكانت البلدية تستجيب إلى ذلك.

ينبغي أن أذكر هنا أنني أعوِّل في هذا الموضوع المتعلق برسوم بلدية الكويت على الكتاب القيم الذي قامت بتأليفه الدكتورة نجاة عبدالقادر الجاسم وأصدرته

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/٩/١٦م.



بلدية الكويت في سنة ١٩٨٠م، وعنوان الكتاب هو: «بلدية الكويت في خمسين عامًا». وقد ذكرت المؤلفة أن المبالغ المحصلة لم تعد كافية بعد فترة قليلة من بدء عمل هذه الدائرة، وذلك لتشعب أعمالها، وكثرة، ما يجب عليها من التزامات تجاه البلاد بأسرها. ولذا فقد قُدِّمَ اقتراح بإضافة نصف بالمائة على الرسوم الجمركية حتى يفيد حاصلها ميزانية الإدارة المعنية، وقد أقر الشيخ أحمد الجابر الصباح هذا الرأي حين تم عرضه عليه، وأمر بتنفيذه فورًا.

كانت المساكن مقسمة إلى أربعة أقسام بحسب حجمها وإمكانات سكانها يدفع سكان القسم الأول ربيتين شهريًا، ويدفع سكان القسم الثاني ربية واحدة شهريًّا أما سكان القسم الثالث فيدفع نصف ربية شهريًا ويدفع البحارة وهم القسم الرابع أربعة آنات شهريًا وهي تساوي ربع ربية.

وكان النواخذة ملزمين بخصم ربية تغطي فترة أربعة أشهر من كل بحار عند تقديم السلف له، وتوريدها ضمن كشف يتضمن أسماء البحارة الذين يستخدمونهم إلى صندوق البلدية، وذلك وفق نظام محاسبي معروف لدى النواخذة والبحارة على حد سواء. هذا وقد أسقطت رسوم المساكن اعتبارًا من سنة ١٩٣١م. وَوُضعت في شهر مارس لسنة ١٩٣٢م رسوم على الدكاكين قسمت على أقسام، فالدكان الواقع في وسط السوق يدفع صاحبه ربية واحدة وأربع آنات شهريًا، ويدفع الحلاقون والحدادون والنجارون والصاغة نصف ربية شهريًا إذا كانت محلاتهم واقعة على طرق رئيسة، ويدفعون ربع ربية شهريًا إذا كانت محلاتهم في طرق غير رئيسة.

هذا وقد جرت زيادات على هذه الرسوم اعتبارًا من سنة ١٩٤٦م، وذلك وفق تغير الأحوال العامة.

وهناك رسوم تدفع عن افتتاح الدكاكين في داخل السوق وكانت قيمتها حتى سنة ١٩٤٢م عشر ربيات للدكان الواحد. أما إذا كان الدكان في وسط الطرقات بعيدًا عن السوق فيدفع صاحبه خمس ربيات فقط.

وقامت البلدية بفرض رسوم على مزاولي مهنة الطب وقد قسمتها إلى قسمين الأول منها يدفع خمسين ربية والثاني يدفع خمسًا وعشرين ربية. وذلك من أجل الترخيص له بمزاولة العمل.

وقد تم تقرير رسوم تدفعها المقاهي كل منها بحسب حجمه من حيث قيمة ما يدفعه صاحب المقهى من رسوم. وهناك رسوم على مطاحن الدقيق ومعامل البقصم، ومعامل الطابوق والجص والسيارات وأماكن تصليحها (الكراجات) وعلى الدلالين، وعلى الحمالين والحمارة الذين يستعملون الحمير في النقل. ومما هو جدير بالذكر أن المجلس البلدي كان دائم المراجعة للرسوم، ينظر إليها وفق ظروف الناس، ووفق الحالة المالية العامة في البلاد وكان كثيرًا ما يقوم بتخفيض أنواع منها، كما كان يقوم بإلغاء عدد منها تمشيًا مع ما ذكرنا عن الظروف التي كان المجلس يراعيها عند مراجعاته المستمرة للرسوم المقررة، إلى أن جاء الوقت الذي تم فيه إلغاء القسم الأكبر منها.

هذه فترة قد مضت، عانى فيها الناس من دفع الرسوم، وعانت البلدية من جبايتها. ولكن هذه الدائرة كانت معذورة في لجوئها إلى تحصيل هذه المبالغ لأنها لم تكن بدونها على قلتها تستطيع أن تقوم بواجباتها الكثيرة التي تم تأسيسها من أجل أن تقوم بها خدمة للوطن وأهله.

كما ورد في مطلع هذا المقال، فإن الرسوم التي فرضتها دائرة بلدية الكويت وفق ما فصلناه آنفا ليست هي الرسوم الوحيدة من نوعها في العالم. فهذا النوع من الرسوم يجري تحصيله تسهيلاً لأداء الخدمات التي تقدمها البلديات في كل مكان وتمويلاً لأنشطتها المتعددة. وعلى الرغم من العائد المعنوي والعملي الكبيرين اللذين يعودان على دافعي الرسوم إلا أن دفعها كان ثقيلاً على الناس، وكان جابي هذه الرسوم من أبغض الناس عندهم. ولذا فقد ذكره، وذكر هذه الرسوم عدد من



الشعراء في الكويت وفي خارجها نذكر منهم شاعر الكويت صقر الشبيب، وأمير الشعراء الثاني الأخطل الصغير، فلكل واحد منهما قصيدة في هذا الموضوع الذي رأياه شاغلاً لهما، ومؤثرًا على حياتهما.

كان الشاعر بشارة بن عبدالله الخوري اللبناني الجنسية من أبرز شعراء عصره، ولد في سنة ١٨٨٥ م وتوفي في سنة ١٩٦٨م. تعلم في وطنه لبنان، ثم استهوته حرفة الأدب والصحافة فأنشأ في سنة ١٩٠٨م جريدة أدبية أسبوعية ثم يومية تحت اسم «البرق» وقد كان يوقع شعره بتوقيع: الأخطل الصغير، حتى لزمه هذا اللقب، واشتهر به. وشارك في عدد من المهرجانات الشعرية منها مهرجان حلب الذي أقيم في ذكر المتنبي وألقى فيه قصيدة رائعة، ومهرجان أحمد شوقي الذي أقيم تكريمًا له في القاهرة. وصدر له في خمسينيّات القرن الماضي ديوان «الهوى والشباب» عن دار المعارف بمصر في طبعة أنيقة مصورة. وقد ضم هذا الديوان عددًا من قصائده الجميلة المبهرة.

وكانت للأخطل الصغير علاقات طيبة مع عدد من الأدباء والفنانين المصريين كان منهم أمير الشعراء أحمد شوقي الذي تبادل معه بعض القصائد. وكان منهم الفنان محمد عبدالوهاب الذي غنى له قصيدته التي صارت مشهورة، وهي:

جفنُهُ علَّم الغزلْ
ومن العلم ما قتلْ
فَحرقنا نفوسَنا
في جحيمٍ من القُبلْ

وغنى له أيضًا قوله:

الصِّبا والجمالُ بين يديكِ
أيّ تاجٍ أعزُّ من تاجيكِ
نصبَ الحُسنُ عرشَهُ فسألنا
مَن تراها له فدلَّ عليكِ

وغنى له غيرهما، كما أنشد عدد من المطربات والمطربين بعض قصائده، ولا غرو في ذلك فقد كان شعره رقيقًا، وبيانه واضحًا، لا يمل المرء من قراءته وتتبع ألفاظه ومعانيه.

هذا ولبشارة الخوري حديث عن (الجابي) بل إن له قصيدة مثبتة في ديوانه، وعليها التعليق التالي: «في شهر آب (أغسطس) سنة ١٩٣٥م، أطلقت وزارة المالية جباتها إلى القرى اللبنانية يمعنون في الأهلين إرهاقًا لتحصيل بقايا الأموال الأميرية خلال أزمة مضنية، فأوحى ذلك الإرهاق للشاعر بهذه القصيدة».

يتحدث الأخطل الصغير عن (الجابي) فيذكر أنه ينعب كالغراب عند الباب، وقد جاء في وقت مبكر من الصباح قبل أن تشرق الشمس، وقبل أن تتحرك العصافير من أعشاشها. ولما كان يتحدث عن حالة من حالات البائسين الذين يفاجئهم هذا الجابي في ذلك الوقت فقد تحدث عن هذا الموقف الكئيب إذ إن الرجل الذي تعرض لهجمة ذلك الجابي ثقيل الدم، القبيح المنظر، لم ينم ليله، ولم يطعم أطفاله، وقد تكاثرت عليه الهموم والأوصاب، وكلها تدل على أنه ليس في مقدرته دفع أي مبلغ لهذا المتسلط مهما كان المبلغ يسيرًا، لأن اليسير عند غيره عسير عليه:

مَــن الـنـاعـبُ قـبـلَ الـفـجْـ
ـــرِ مَـنْ هـذا عـلـى الـبـابِ؟
أعـيـذُ الـقـبـحَ مـن قـبـحٍ
بـاظـفـارٍ وأنـيـابِ
أ قَـبْـلَ الـشـمـسِ فـي الآفـا
قِ والـعـصـفـورُ فـي الـغـابِ؟
ومـا زار الـكـرى جـفـنـي
ولـم تَـغْـلَـقْـهُ أهـدابـي



ولا غــذيــتُ أطــفــالــي
ســوى هـمِّـي وأوصـابـي
فــراشـي يـا وقـاكَ الـلْـ
ــهُ مـنـه بـعـض أعـشـاب
وهــذي كـوبـتـي الـفـخـا
ر مـا فـيـهـا سـوى صـاب
فـمـا تـبـغـيـه فـي بـابـي
ومَـــن أنـــتَ؟ أنـا الـجـابـي

عبَّر الشاعر خير تعبير عن مشاعر الفقراء الذين ليس بإمكانهم دفع ما عليهم لهذا الجابي، ومع ذلك فهو يتسلط عليهم في أوقات غير مناسبة حتى يضمن وجودهم في منازلهم، فيبدأ بطلب ما عليهم، ثم يشدد في الطلب إذا لم يجد تلبية لطلبه. وما زاد الأمر صعوبة أن إرسال الجباة كان في وقت صعب للغاية على الناس، ثم إنهم كانوا ينتشرون في القرى وهي أشد فقرًا من المدن، ولذا فإن شقاء الأهالي بالحياة، أشد وطأة لهذين السببين. وفي بقية القصيدة حديث طويل عن مشاعر هؤلاء تجاه أزمتهم، وفيها دعاؤهم إلى الله سبحانه طلبًا للخلاص.

نعود الآن إلى الحديث عن شاعر الكويت صقر الشبيب وعن قصيدته التي قالها عن الجابي، وذلك هو ما أشرنا إليه في أول مقالنا هذا.

اسم الشاعر كاملاً هو: صقر بن سالم الشبيب، وهو معروف بلقب ارتبط به وهو قولهم: شاعر الكويت. كان شاعرًا جيد الشعر، يحرص الناس على رواية ما يكتب من قصائد، وهو ينشر أشعاره في المجلات التي كانت تصدر في وقته سواء منها ما كان صدوره في الكويت أم في خارجها.

ولد في الكويت سنة ١٨٩٢م، ودرس في وطنه، وفي بعض الدول المجاورة، وأحب دراسة اللغة العربية والأدب، ونظم الشعر في وقت مبكر من حياته، فقد

بصره وهو صغير لم يتجاوز السنة التاسعة من عمره، وتوفي في سنة ١٩٦٣م، وكانت حياته بائسة، ولذا فقد كان كثير الشكوى في شعره، أغلق عليه باب بيته، فلم يكن يأذن بالدخول عليه إلا لعدد يسير من الناس، وصدر له ديوان كبير ضم شعره كله على وجه التقريب. وقد اهتم بطبعه الأستاذ أحمد البشر الرومي وهو من أدباء الكويت ومؤرخيها المعروفين وكان ملازمًا للشاعر طوال حياته.

كان شعر صقر الشبيب صورة للحياة التي كان يحياها، وكان - أيضًا - صورة للمجتمع الذي يحيط به، وقد تحدث فيه عن الأمور الوطنية والسياسية العامة، وخاطب شعراء عصره، وتحدث عن حياته البائسة الشديدة القسوة على واحد مثله، كما أرسل شعره إلى المصلحين والكرماء من رجال قومه، ولم ينس أن يكتب شعرًا ينتقد به بعض العادات غير السليمة التي كان يمارسها البعض - آنذاك - وكانت دعوته للإصلاح تتوج - دائمًا - أعماله الشعرية.

كان صقر الشبيب على صلة بأمير دولة الكويت الأسبق الشيخ سالم المبارك الصباح، وكان هذا الأمير يعطف عليه كثيرًا ويبذل له الكثير من المساعدات، وعندما توفي الشيخ كان حزن الشاعر عليه شديدًا، وقد كتب فيه قصيدة رثائية معبرة عن هذا الحزن الشديد، وقد كانت طويلة بحيث لا تقاس بعدد أبياتها فهي تقع في ثماني صفحات من ديوانه وقد ذكر فيها الشيخ ومآثره، وما كان يلقاه به من اهتمام وما يبذله له مما يدل على كثرة بكائه عليه، فقال: إنه هو الذي فتح لي باب السعادة، وحمل عني همومي، فمن يعينني بعده؟

وقد قام صقر الشبيب بإرسال قصيدته الرثائية هذه إلى الشيخ عبدالله بن الشيخ سالم المبارك الذي كان محبًا للشعر، مقربًا للشعراء، فاستقبل القصيدة بإعجاب شديد وشكر الشاعر ومنذ ذلك اليوم صار الشيخ يولي شاعرنا عناية كبيرة ويساعده ماديا ومعنويًّا.



كانت قصيدته «قرعة الجابي» تحمل تعبيرًا صادقًا عن وضعه، فهذا المبلغ البسيط الذي يطلبه منه جابي بلدية الكويت كان من الصعب عليه تدبيره، وهو في قصيدته يعبر تعبيرًا مباشرًا عن نفسه على خلاف قصيدة الأخطل الصغير الذي كان يحكي فيها وضع شخص آخر طرقه عند الفجر ذلك الجابي البغيض، ولذا فإن إحساس شاعرنا الشبيب واضح في أبيات قصيدته المعبرة عن معاناته من مأزق لم يجد مخرجًا منه إلا بكتابة هذه القصيدة وتوجيهها إلى رئيس بلدية الكويت فهو يقول:

يا رئيسَ البلديةْ
لا أصابتْكَ بليّةْ

ومنها قوله:

قرعةُ الجابي لِبابي
غادرتْ نفسي شجيّه
واثقًا أنَّ اعتذاري
منه، لا يثني أبيّه

وهي قصيدة طويلة عبر فيها عن عدم مقدرته على دفع المبلغ المطلوب، وامتدح الرئيس الذي يأمل فيه كل خير، ويظنه سوف يدفع عنه غائلة الجابي اللحوح الذي لم يتزحزح عن بابه وعن مخاطبته بطلب المبلغ إلا بعد جهد شديد من الشاعر، الذي كان يتوقع عودته، ولذلك عمد الى كتابة قصيدته هذه وتوجيهها إلى رئيس البلدية، وكان آنذاك هو الشيخ عبدالله الجابر الصباح.

تعبِّر القصيدتان عن مأساة مشتركة، جزء منها في الكويت والآخر في لبنان، وقد أنشدهما الشاعران في وقت واحد تقريبًا، وهما شاهدتان على الأوضاع الاجتماعية والمادية التي كانت سائدة آنذاك.

****

# الكويت في مجلة مصرية قديمة[1]

الأخ الكريم الدكتور يوسف الحشاش، صديق قديم، متخصص في الأدب الأندلسي، حصل على شهادة الدكتوراه عنه في أسبانيا حيث كانت الأندلس. وهو لذا من علماء الأندلسيات المعروفين، يقوم حاليًّا بالتدريس في جامعة الكويت.

يهتم أبوعبدالرحمن بمتابعة مقالات «الأزمنة والأمكنة» ويقترح في أحيان بعض ما يصلح لها، ومن هذا أنه أوحى لي بموضوع هذا المقال الذي هو بين يدي القارئ في هذا اليوم. وقد أملى على صاحبي حرصه على إثارة انتباهي إلى هذا الموضوع حبه لوطنه الكويت، واهتمامه بصفته عالمًا بنشر كل ما يعلم عنه. ولذا فقد زودني بمجموعة من المقالات التي نشرتها مجلة «الثقافة» التي كانت تصدر في مصر، وهي (أي المقالات) بقلم الأديب أحمد طه السنوسي.

ومجلة «الثقافة» مجلة تعني بالشؤون الثقافية وتنشر الأبحاث والمقالات المهمة لكتاب من كافة أنحاء الوطن العربي، أصدرها الدكتور أحمد أمين في سنة ١٩٣٩م واستمر إصدارها حتى سنة ١٩٥٢م، تحت مظلة اللجنة التي سيأتي ذكرها، وهي مجلة راقية كان جميع المهتمين بالأدب والثقافة بصورة عامة يهتمون باقتنائها وقراءتها.

والدكتور أحمد أمين أديب موسوعي مشهور له عدد كبير من المؤلفات سنذكر شيئًا عنها هنا. ولد هذا الأديب في القاهرة سنة ١٨٧٨م، وتوفي في سنة ١٩٥٤م.

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٢٣م.



تخرج في مدرسة القضاء الشرعي في وطنه، ثم تولى التدريس بها الى سنة ١٩٢١م. وتولى القضاء في بعض المحاكم الشرعية، ثم انتقل للعمل مدرسًا في الجامعة المصرية بكلية الآداب التي منحته الدكتوراه الفخرية وصار عميدًا لها فيما بعد. وكان عضوًا في عدد من المجامع اللغوية العربية، ومشرفًا على لجنة التأليف والترجمة والنشر، وهي لجنة أصدرت عددًا كبيرًا من الكتب القيّمة، له مقالات كثيرة نشرها في كتابه «فيض الخاطر» وهو في عدة مجلدات. وله كتب يوم الإسلام، وفجر الإسلام، وضحى الإسلام وظهر الإسلام وكتب أخرى متنوعة في الأدب والفلسفة والسيرة الذاتية.

والملاحظ لاهتمام الدكتور أحمد أمين بالدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي يعجب مما كتبه ابنه الأستاذ جلال أمين في كتابه «ماذا علمتني الحياة؟» فقد أشار فيه إلى أمر يدل على ابتعاد والده عن الممارسات الدينية التي يفرضها عليه دينه، وتؤكدها دراساته وكتاباته فهو يقول (ص ٣٠٣ من الكتاب) ما يلي: «فأبي على الرغم من نشأته هذه، وشدة تدين أبيه وأمه، ونوع التعليم الذي تلقاه في صباه وشبابه، وعلى الرغم من أن أهم كتاباته كانت تدور حول الإسلام، لم يكن متدينًا بمعظم المعاني الشائعة اليوم، إني لا أتذكر مثلاً أني رأيت أبي وهو يصلي، ولا أذكر أني رأيته وهو يقرأ في المصحف، إني أتذكر اعتذاره عن الصوم بسبب مرض أو آخر كان يفرض عليه نظامًا معينًا في الأكل، أو بسبب التدخين، ولكنني لا أتذكره وهو ينتظر حلول المغرب ليتناول إفطاره في رمضان، لا شك أن للأمر علاقة بأني أصغر أولاده، وربما كان إخوتي الذين عاصروه في فترات أخرى من عمره، يذكرون أشياء أخرى. ولكنني أقول فقط ما رأيته بنفسي وما لم أره. إن هذا لا ينفي ما كان يتحلى به أبي من صفات قريبة من التصوف، كما لا يتعارض مع ما أتذكره من أقواله الكثيرة التي تتم عن إيمان عميق بالله».

وبعد» فقد كان الدكتور أحمد أمين علمًا من أعلام الفكر والأدب في زمنه، وآثاره ما تزال مقروءة يطلع عليها الجميع، أما ما ذكره ابنه فالأمر فيه مرفوع إلى الله سبحانه وتعالى، وإن كان قول الابن بأنه كان صغير السن حين لاحظ هذا الابتعاد عن العبادات فإن ذلك يشفع له لأن شهادة الصغير لا تكون دقيقة إلى حد ما، وخاصة وهو يقول عن إخوانه الأكبر سنًّا منه إنهم ربما كانوا يذكرون أشياء أخرى لأنهم عاصروه في فترة تسبق الفترة التي يتحدث عنها، غفر الله للدكتور أحمد أمين فقد خدم الإسلام بكتاباته القيمة.

الأستاذ أحمد طه السنوسي من كتاب العربية البارزين عرفته وعرفت كتاباته من مجلة البعثة الكويتية منذ أوائل الخمسينيات وكان قد بدأ الكتابة بها منذ سنة ١٩٤٩م، ومقالاته هنا منوعة سيأتي استعراضها بعد قليل، وله كتابات في عدد كبير من المجلات التي كانت تصدر في وقته، وهو حريص على أن يوالي الكتابة في موضوعاته نفسها فقد اهتم بالكتابات التاريخية والاجتماعية والوصفية وكان فيما يبدو كثير الترحال فقد وجدنا له رسائل للبعثة من جنوبي اليمن فقد كان يتحدث عن هذا البلد ويزود المجلة بأخباره.

أما في مجلة (البعثة) فقد تردد اسمه فيما يقرب من ثلاثين موضعًا وفق المقالات التي كانت تنشر له، أو المعلومات التي كان يرسلها إلى هذه المجلة.

ومن مقالاته مقال نشره في سنة ١٩٥٠م وكان عن اللهجة الكويتية ضمن مجموعة مقالات له كتبها تحت عنوان «من اللهجات العربية» وقد يعجب القارئ لإلمامه بلهجة أبناء الكويت وحديثه عنها حديث العارف بها، ومن الجدير بنا ذكره هنا أنه كانت له علاقة طيبة مع الأستاذ أحمد البشر الرومي، وكان هذا الأستاذ يزوده بالمعلومات والكتب.



وله مقال عن الأمثال العامية ودلالتها على الفلسفة الشعبية إضافة إلى مقال عن الأمثال العربية بشكل عام.

وله أيضًا سلسلة من المقالات المنوعة تحت عنوان «أحاديث المجالس» كان يجمع فيها كل ما يخطر على باله من موضوعات يصادفها في مسيرته، مما يعبر فيه عن شؤون الحياة المختلفة.

هذا وعندما علم الأستاذ أحمد طه السنوسي، في سنة ١٩٤٩م بصدور مجلة (كاظمة) التي تولى إصدارها في الكويت الأستاذ الشاعر أحمد السقاف، بادر إلى الكتابة إلى الأستاذ السقاف عارضًا أخوته واستعداده للمساهمة في الكتابة، معبرًا على محبته للكويت وتقديره لها ولأهلها. ويذكر أنه يسعى إلى إنشاء الدار الحضرمية في القاهرة، وهذا يدل على صلته السابقة بجنوبي اليمن كما نوهنا سلفًا، ونؤثر هنا أن نورد الكتاب بنصه لأهميته، يقول بعد توجيه التحية إلى الأستاذ السقاف: «وبعد» فقد علمت بإصدار مجلتكم الكريمة (كاظمة) في الكويت العربية، فكان سروري بذلك عظيمًا، وعزمت على أن أراسلكم وأكتسب صداقتكم الكريمة وأخوتكم الغالية، وأرجو المعذرة من التأخر في هذه المراسلة ولكني أرجوكم أن تراسلوني وأن تفتحوا لي من فؤادكم الخالص آية من آيات الوفاء.

لست محتاجًا إلى ذكر بعض شعوري نحو الكويت فنجابتكم لا تحول بينكم وبين ذلك. وإن الكويت في هذا الثوب القشيب الذي بدت به في هذه الحقبة من الزمن قد حركت قلبًا داوم على الخفقان بحبها والشعور نحوها بأسمى شعور تحويه نفس بشرية. وإن شاء الله ستتلقون مني مقالات لنشرها في «كاظمة» الغراء، وأرجو من الله أن يستفيد أشقائي وإخواني الكويتيون منها. وأرجو منك يا أخي الأعز أن تتكرم بإهداء الأعداد التي ظهرت من كاظمة إليّ، وذلك بإرسالها بالبريد، كما وأرجو أن ترسلوا لي الأعداد الآتية تباعًا.

وإن بغيتم فائدة أعم، فلتتفضلوا بإرسال نسختين من كل عدد لإطلاع الأصدقاء المحترمين عليها، ولكن أنتم وشأنكم في ذلك.

ويسرني أن أحيطكم علمًا بأني أسعى لإعداد الدار العربية الحضرمية، وستؤدي هذه الدار إن شاء الله رسالة عربية كبيرة، وسأهدي إليكم أعداد مجلتي الحضرمية حين تظهر، كما سأهدي إليكم مؤلفاتي إذا نشرت، وبذلك ترى أن صلتي بكم ستكون صلة كبيرة، خصوصًا وأنكم عرب وأدباء، ونحن لا ندعي لأنفسنا إلا كذلك.

وتقبل من أخيك العربي كل ولاء وكل حب ووفاء»

وفي ختام رسالته هذه يضع اسمه مضيفًا إليه صفته وهي: رئيس الدار العربية الحضرمية.

ويستمر صاحبنا في توطيد صلته بالكويت مراسلًا وكاتبًا، وتتنوع مقالاته، ولكنه يحرص على أمرين مهمين هما: التراث الشعبي في الأمثال واللهجات والكتابة عن عدن وما جاورها.

ها هو ذا يراسل مجلة (الرائد) الكويتية منذ سنة ١٩٥٣م، وينشر فيها عدة مقالات هي: الشعب في الأمثال العامية، ولغة أبناء واحة سيوه، وتاريخ عدن السياسي والحربي، وقد انقطع عن النشر في هذه المجلة بعد ذلك لأنها توقفت بنهاية السنة المذكورة.

هكذا نرى مدى تعلق الرجل بالكويت، وبأصحابه الذين عرفهم أولًا من خلال مجلة البعثة وللأسف الشديد أنني لم أجد عنه ما يدلني على سيرته الذاتية التي سوف تكون مفيدة للقارئ إذ عن طريقها يعرف كُنه هذا الكاتب المحب للكويت والكويتيين.



خمسة مقالات كتبها الأستاذ السنوسي عن الكويت أو عن أمر يتعلق بها، ونشرها في مجلة الثقافة المصرية التي تحدثنا عنها وعن ناشرها. وبذلك يكون قد خرج عن نطاق الصحافة الكويتية في الكتابة عن الكويت، وقد كان المقال الأول له في هذه المجلة المعروفة في العدد رقم ٥٠٥ الصادرة في آخر يوم من شهر أغسطس لسنة ١٩٤٨م، أما موضوع المقال فهو بحسب عنوانه: «الكويت والحياة الاقتصادية»، تحدث فيه عن موقع البلاد ودوره في الحركة الاقتصادية كما تحدث عن شخصية الكويتي التجارية فقال: «وشخصية الكويتي التجارية شخصية بارزة بين تجار العالم، ويعزى ذلك لدأبه وحيويته وجرأته وبسالته على ظهر السفن وسط العباب، بين البحار والمحيطات»، وهو يرى أن هذه الروح الوثابة هي التي كفلت النمو الاقتصادي للكويتي، وهيأت لها عددًا من القادة البحريين والتجاريين، وكونت أسطولها البحري المشهور في الموانئ التي يصل إليها ويتوقف عندها.

استتبع حديثه هذا حديثًا عن البادية ومنتجاتها، وهي منتجات تعتمد على ما تمدها به الأمطار من إمكانات تغير طبيعتها عند الربيع فتجد هذه المنتجات سبيلها إلى العاصمة لبيعها والاستفادة منها، أما الزراعة بشكل عام فهي ضئيلة لقلة الموارد المائية الملائمة لها، ثم تحدث السنوسي عن الغوص على اللؤلؤ، وأهمية هذا العمل للبلاد وأهلها. ولم يَنْسَ أن يتحدث عن النفط الذي بدأ تصديره من الكويت قبل سنتين من نشر مقاله هذا فأعطاه ما يستحقه من وصف وتحليل. ثم تحدث عن صناعة السفن وأبرز أهميتها، وجودة ما يصنع من وسائل النقل البحري عن طريقها وسدها حاجة المتاجرين عن طريق البحر إلى مزيد من السفن الشراعية الخشبية التي يتم إنتاجها محليًا وانتهى مقاله بالحديث عن بعض الصناعات الخفيفة وعن الشركات التي يزمع أبناء الكويت أن يقوموا بإنشائها، وعن التطورات المأمولة في مجال النمو الاقتصادي في البلاد مع مرور الأيام.

وفي العدد رقم ٥٣١ من مجلة الثقافة الصادر في اليوم الثامن والعشرين من شهر فبراير لسنة ١٩٤٩م، جاء المقال الثاني لصاحبنا وهو بعنوان: «خواطر عن اللؤلؤ» والمقال قريب الصلة بالكويت وإن لم يذكرها كاتبه، لأنه من المعروف أن صناعة الغوص على اللؤلؤ كانت من أهم ما تعتمد عليه البلاد من الموارد المالية. ولأنه من الواضح انه استمد كثيرًا من المعلومات عن رجال من أهل الكويت أو عن كتاب «تاريخ الكويت للشيخ عبدالعزيز الرشيد، الذي كتب تفصيلاً مهما عن هذا الموضوع».

أما العدد رقم ٥٧٧ من مجلة الثقافة وهو الصادر في اليوم السادس عشر من شهر يناير لسنة ١٩٥٠م، فكان عنوانه: «الكويت والحياة الاقتصادية»، وفيه يتحدث الكاتب حديثًا مشابهًا لما جاء في المقال الأول حتى لا يكاد يخرج عنه إلا في أمور قليلة لا تكاد تذكر، ولكنه لأمر ما أعاد كل ذلك بالتفصيل نفسه، وبالجمل ذاتها، ولا ندري سببًا لذلك. أما إذا أردنا أن نفتش عن شيء جديد لم يقله في مقاله الأول فهو الإعجاب الشديد بالبلاد وبالناس وبالحكومة الكويتية التي تحرص على السير بالبلاد في طريق التقدم والرقي، وهذا ما تدل عليه حركة المجتمع وتطور البيئة، إضافة إلى استتباب الأمن واستقرار المعيشة.

وفي العدد رقم ٥٨٤ من «الثقافة» الصادر في اليوم السادس من شهر مارس لسنة ١٩٥٠م حديث عن الكويت ولكنه في موضوع طريف، فهو تحت عنوان «الكويت وحالة الشعر» وقد ذكر فيه السنوسي شيئًا كثيرًا عن شعراء الكويت وعن شعرهم. وذكر ما يميز الشعراء عندنا عن أمثالهم في مصر مثلا قائلاً: «فإن الكويتي بحكم بيئته وفطرته دائب العمل والجد، فإن كانت لديه الملكة الشعرية اتخذ من نظم



الشعر حلية يتحلى بها، وقيثارة يبثها لواعج نفسه، إذا هزه الشوق إلى اللحن أو رفرفت حوله الذكريات.. وهذا فريق من شعراء الكويت، إذ يوجد أفراد على غير هذه الشاكلة. والذي لحظته أن الكويتيين يعتبرون من كانت له هبة الشعر بعمله التكسبي الأصلي قبل أن يعتبروه شاعرًا، ولعل الشاعر لا يحاول أن ينال أكثر من ذلك، وكل هذا على عكس ما في مصر مثلاً» ففيها متفرغون للأدب كما أن الصبغة الأدبية تغلب على صبغة العمل التكسبي في الأدباء فقد تسأل المصري مثلاً عن أديب معروف، فلا يعرف عنه إلا أنه أديب، أما وظيفته في ديوانه، فهذا ما لا يحس به وما لا يسعى إلى معرفته في أغلب الأحوال.

ثم يعلق على ما سبق أن ذكره بقوله انه يستنتج من ذلك ميزة جليلة يمتاز بها ميراث الشعر الكويتي وهي خلوه من التكلف، لأنه ليس من طبيعة شعراء هذه البلاد، وهم عندما يبدعون شعرهم فكأنهم يكتبون لأنفسهم، ترتاح إليه أرواحهم ثم لا يهتمون بنشره بين الناس. ويضيف إلى هذا أن عدم اهتمام الشعراء بإذاعة ما يكتبون من شعر يتنافى مع ما نلاحظه من تعطش الشعب الكويتي لكل نتاج جديد يبدعه شعراؤهم، ولذا فإن الشاعر المبتدئ لا يبذل جهدًا كبيرًا في التعريف بشعره لأن رغبة الناس في متابعة كل جديد في هذا المجال كافية لنشر شعر هذا المبتدئ وهي إلى ذلك تكفل له الشهرة الأدبية.

ثم ذكر أن الشعر الكويتي يمتاز بالتعبير الدقيق عن نفسية الكويتيين، وهو الطريق المختصر إلى تفهم نفسيات أفراد المجتمع الكويتي بصفته معبرًا صادقًا عنها.

ويمتاز الشعر الكويتي بخلوه من السرقات، فليس هناك شاعر كويتي يخشى أن يسطو على شعره شاعر آخر لأن الاثنين لا يلجآن الى التكسب بالشعر والفخر به.

والشعر الكويتي يخلو من التكرار، وفيه يلجأ الشاعر إلى التعبير عما يريد بأقصر طريق ممكن، وكل ما يكتبه سهل الفهم على الناس العاديين وذلك لقرب لهجتهم إلى أمها الفصحى.

وهو أي الشعر الكويتي مرآة لتاريخ الكويت منذ نشأتها، وتعبير عن كثير من الأحداث التي مرت بها، وباختصار فإنه يقول عن الشعر الكويتي: «والشعر الحديث في الكويت شعر ينتزع من بين الاشعار العربية مركزًا ساميًا، فقد لفظ الأغراض التافهة، وانخرط في سلك رائع تحوم حوله حمائم القوة وتسنده ألسنة الشباب وترضعه أثداء المدنية وتمده النهضة والنضج بروح الثورة وروح الحياة.

ولم يبد الشعر الكويتي كله جانحًا إلى نواحي القوة والحماس، بل إن هنالك تحت سماء الكويت شعراء بؤساء، أرضعهم البؤس لبنا، وغذاهم اللبن بؤسًا، فسكبوا الدمع الهتون، وجاشت صدورهم بأحاسيس الشقاء، واندلعت ألسنتهم وقد أحرقها جدار الفاقة لتقول شعرًا دامعًا البؤس تتخنه الجراح».

ولم ينس الكاتب أن يذكر النادي الأدبي الذي نشأ في الكويت قبل كتابة مقاله هذا بزمن، فقد كان وجوده آنذاك من أسباب نهضة الشعر، ودواعي رقيه. لقد عبر السنوسي تعبيرًا جيدًا عن الحالة الشعرية في الكويت إبان نشر مقاله، وذلك يدل على دراية تامة بنواحي الحياة الثقافية عندنا وبصلاته الطيبة مع عدد من الكويتيين استطاع أن يعرف من خلالهم ما سطره في مقاله القيم هذا.

وصدر المقال الخامس في العدد رقم ٥٩٢ من مجلة الثقافة في أول يوم من شهر مايو لسنة ١٩٥٠م، وكان عن «الأمثال العامية في الكويت». وهذا تنويع آخر من أحمد طه السنوسي فقد كتب عن الاقتصاد وعن الشعر وها هو يكتب عن الأمثال، والواقع أنه مولع بالبحث حول هذا الموضوع من موضوعات العادات



الشعبية أو ما يطلق عليه اسم الأدب الشعبي، وله عدة مقالات هنا وهناك ليست عن أمثالنا فحسب بل عن الأمثال عند دول عربية أخرى. اعتمد السنوسي في هذا المقال على سرد عدد من الأمثال الشعبية الكويتية مع ذكر مضاربها ومعاني بعض كلماتها محاولًا بقدر الإمكان تقريب المثل لقراء مجلة الثقافة لأن الأكثرية الكاثرة منهم لا يعرفون لهجتنا، وقد استطاع أن يقرب تلك الأمثال إليهم ويجعل معانيها في متناول أذهانهم.

وهذا هو آخر مقال من المقالات الخمسة التي كتبها الأستاذ أحمد طه السنوسي، وقد لا تحتاج إلى مزيد من التفكير لنعرف مدى حبه للكويت وتقديره لجهودها في مختلف المجالات بدليل تنوع موضوعات مقالاته التي تحدثنا عنها في هذا المقال.

****

# هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف[١]

حديثنا اليوم عن الكتاب الذي عنوانه هو عنوان هذا المقال، وهو كتاب غريب وعجيب، هو غريب لأنه ابتعد كثيراً عن التداول ولم يعد بين أيدي الناس كما كان في سابق عهده، وهو عجيب لما فيه من مختلف الحكايات والأشعار والمعلومات، ولما ينزل فيه كثيراً عن المستوى الأخلاقي العام معلنًا أن الأدب نبع مفتوح ينهل الجميع منه، ومن لا يعجبه هذا الذي يضمه الكتاب فما عليه إلا أن يبعده عن نفسه وقد حصل ذلك بابتعاد الناس فيما بعد عنه بحيث صار غريبًا كما ذكرنا، وكان في السابق مقروءاً، وكان يردده رواة القصص الشعبي في كل مكان.

وعلى الرغم من غياب هذا الكتاب عن الناس، فإنه قد نال اهتمامًا من عدد من الأدباء منهم الدكتور أحمد أمين صاحب كتاب فجر الاسلام ويوم الاسلام وغيرهما، وقد نشر عن «هز القحوف» دراسة في مجلة الثقافة القديمة، كان ذلك في عددها الصادر في اليوم الرابع والعشرين من شهر يونيو لسنة ١٩٤١م. ومنهم الدكتور شوقي ضيف الأديب الشهير الذي نشرنا عنه . فيما سبق . مقالاً ضمن مقالات «الأزمنة والأمكنة» وكان قد نشر مقالات عن الكتاب الذي نتحدث عنه في مجلة الكاتب المصري وذلك خلال أربعينيات القرن الماضي، وبين يدينا دراستان موسعتان عن «هز القحوف» إحداهما كتاب الأستاذ الأديب يحيى حقي ونشرها في كتابه «الدعابة في المجتمع المصري»، ولسنا في حاجة إلى الحديث عن يحيى حقي فهو أشهر من أن يُعرَّف، ثم إننا قد نشرنا عنه مقالاً كاملاً ضمن مقالات «الأزمنة والأمكنة».

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٣٠م.



يقول إنه اختار الحديث عن كتاب «هز القحوف»لأنه يدل على ما أشار إليه في كتابه من أنّ أهل القاهرة كانوا يجدون بعض فكاهاتهم في حيرة الفلاح الساذج إذا دخل مدينتهم، ثم هو أي «هز القحوف» من ناحية أخرى مثال لدعابة العلماء والمشايخ في عصر الجبرتي وما قبله واقتصارهم في ذلك على الشعر وحده، ووقف هذا الشعر على وصف المآكل والطبيخ.

مؤلف الكتاب هو الشيخ يوسف بن محمد الشربيني، ولم يذكر هذا المؤلف في الكتب التي تحدثت عن الأشخاص أو عن الأماكن في الفترة التي عاش فيها، ولكن يحيى حقي لم يترك الأمر على علاته، إذ ثبت أنه توفي في سنة ١٠٩٨ هـ (١٦٨٧م) وأنه قروي، ولد في قرية شربين، وتزوج منها، ثم رحل إلى الأزهر الشريف ودرس به، وتوجه إلى الحج سنة ١٠٧٥ هـ (١٦٦٥م) عن طريق ميناء القصير الواقع على البحر الأحمر، كان كثير الترحال ولكنه لم يقطع صلته بقريته فظل حافظاً لعلاقاته بها.

ومما كتب عن «هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف» كتاب أصدره طاهر أبو فاشا، ولم يرتض لنفسه أن يكون مؤلفًا ولكنه وضع أمام اسمه على غلاف كتاب: عرض وتحليل بقلم طاهر أبو فاشا، والكتاب كما ذكر مؤلفه فيه عرض شامل وتحليل شيق لكتاب الشربيني الذي سوف نتولى الحديث عنه فيما بعد.

طاهر أبوفاشا من أدباء مصر البارزين، كان كاتبًا وشاعرًا له كتب ودواوين، ولد في سنة ١٩٠٧م وتوفي سنة ١٩٨٩م، وهو من خريجي كلية دار العلوم سنة ١٩٣٩م سابقًا سنة تخرجي منها باثنتين وعشرين سنة. عمل في الصحافة والإذاعة ومن أشهر أعماله الإذاعية «ألف ليلة وليلة» الذي كتب منه أكثر من ثمانمائة حلقة أذيعت على مدى ست وعشرين سنة، وكان الناس يترقبونها ويحبون الاستماع إليها.

كان استعراض طاهر أبوفاشا (لهز القحوف) استعراضًا علميًّا سليمًا، وكان يتتبع الكثير مما يحتاج منه إلى تعليق فيقوم بالتعليق عليه. ثم إنه لا ينسى التطبيقات التاريخية بما يتماشى مع الأحداث التي يشير إليها الشربيني في كتابه وهي كثيرة جدًّا، ولذا وجدنا أبا فاشا يكتب عن الاحتلال العثماني وعن ظلمات العصر التركي، وغير ذلك.

تتكون قصيدة أبي شادوف من أربعين بيتًا تتحدث كلها عن فلاح بسيط تحدث له أحداث، ويتورط في عدد من المشكلات ولكن شرحها «هز القحوف» واسع جدًّا يقع في مائتين وخمس عشرة صفحة. ويتكون من جزءين أحدهما يتناول حياة أهل الريف، ويصف طبائعهم وأخلاقهم ويتندر بأسمائهم وملابسهم ونسائهم إلى غير ذلك مما هو واضح في هذا الجزء من الكتاب، وأما الجزء الثاني فيضم القصيدة وشرحها.

وحول القصيدة يقول طاهر أبوفاشا: «إن قصيدة أبي شادوف من الناحية الفنية ليست ذات قيمة أدبية. والذي نريد أن ننفذ إلى لبه من القشور هو هذه الصورة التي قدمتها القصيدة، وشرحها للحياة السياسية والاجتماعية في تلك العهود، أما ما عدا ذلك فلن يزيد عن كونه نماذج، وأمثلة لهبوط الكتابة وإسفافها في العصر التركي الذي عاشته مصر آنذاك».

بين يدي الآن الطبعة الثانية من كتاب: «هزّ القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف» للعلامة يوسف بن محمد الشربيني. وهي مطبوعة في المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩١م).

القحوف في الفصحى هي جمع قحف، وقد ورد ذكره في كتاب لسان العرب على انه (الكرب) وهو أصل سعفة النخلة.



ونحن نسمي في لهجتنا القطعة المكسورة من الإناء الفخاري (برمة الماء مثلا..) القحف، وهي لفظة عربية فصيحة، ونقول - أيضًا - قحفت الأذى عن الطريق إذا جرفته وأزلته عنه، وهي فصيحة لفظاً ومعنى.

يبدأ الشيخ الشربيني كتابه هذا بالحديث عن صاحب القصيدة فيذكر بداية حياته، وكيف كان يعيش في قريته، وما تعرض له من أمراض نتيجة لعدم اهتمامه بالنظافة. ويتخيّلُ له سيرة ذاتية عامرة بالأحداث، مليئة بالمفاجآت، وقد سماه بهذا الاسم كناية عن أنه فلاح لأنّ الفلاح هو الذي يستخدم الشادوف لري زراعته. ولذا فإنّ هناك من يرى أن هذا الفلاح الذي يعبِّر في قصيدته عن حاله ليس في الحقيقة إلا رمزاً وأن كاتب القصيدة شخص آخر اختار لنفسه هذا اللقب لأنه لم يرد أن يظهر أمام أبناء بلده بصورة الشخص الذي يتحدث عنهم بما لا يليق..

والواقع أنه من المحتمل أن القصيدة وشرحها قد نالا من الناس صدودًا بسبب المبالغة في ذم فئة الفلاحين وهي فئة كان لها دورها في تنمية زراعة مصر، ومساعدتها على الاكتفاء الذاتي من الأغذية في الوقت الذي تم فيه تأليف الكتاب. والواقع أن الشربيني قد زاد من تهجمه على الفلاحين مع أننا نعرف أنه واحد منهم فهو قروي من شربين، ولكننا لا نفهم السبب الذي دفعه إلى اتخاذ هذا الموقف.

تتألف قصيدة أبي شادوف من أربعين بيتًا كما سبق أن ذكرنا وكلها على وزن واحد وقافية واحدة. وهي تصور حالة الشاعر بصفته أحد الفلاحين الذين يعيشون في ريف مصر، ويختلطون بأهله ويتطبعون بطبائع هؤلاء الذين ظهر أثر الفقر وقلة التعليم في سلوكهم، وإن كانوا أهل نخوة يساعد بعضهم بعضاً.

يستهل الشاعر قصيدته بقوله:

**يقول أبو شادوف من عظم ما شكا**
**من القلّ جسمه ما يزال نحيف**

أنا القمل والصيبان في طوق جبتي

شبيه النخالة يجرفوه جريف

ها هو يبدأ قصيدته بالشكوى التي كان سببها (القل) أي قلة ما في يده من المال، وتأثير ذلك على جسمه الذي صار نحيفًا. وكلمة (القل) بمعنى الحاجة وقلة المال وهي عربية فصيحة مستعملة في اللهجة وإن بدأت تنزوي قليلاً عن الاستعمال بين الناس، ثم يقول إنه لم يستطع أن يقوم بما يجب عليه تجاه نفسه من النظافة حتى تكاثر عليه القمل والصيبان وهما أيضًا مستعملتان في اللهجة الكويتية.

وقد قام الشربيني بعد ذكره لهذين البيتين بشرحهما شرحًا واسعًا زاد عن الحد المعقول وذلك لأنه سوّدَ عددًا كبيرًا من الصحائف في هذا الشرح وخرج عن الموضوع أكثر من مرة موردًا مختارات من الشعر وقصصًا مختلفة ومسائل خيالية أطلق على كل منها اسم (مسألة هبالية) وهي تعتمد على إنشاء سؤال غير معقول والرد عليه بالأسلوب نفسه، وهو يسمي رده بالجواب (الفشروي) وهي لفظة مصرية معروفة. ثم وهو يتحدث عن الشاعر يصف الشادوف وطريقة صنعه وطريقة عمله في نزح الماء إلى المزروعات وفي نهاية الصفحة الرابعة من الكتاب، وصل الشارح - فقط - إلى آخر الشطر الأول من البيت الذي ينتهي عند قوله: من عظم ما شكا، وكان شرحًا طويلاً تمثل لبعض أجزائه بأبيات من الشعر، وبين أنواع الشكوى ثم أورد إحدى مسائله (الهبالية) إذ يقول: «ما الحكمة في اشتقاق القل من القولق، أو من القلة، أو من القلقلة، وما المناسبة لذلك؟ وما معنى هذه الألفاظ؟» ثم يأتي بالجواب (الفشروي) على حد قوله فيتحدث فيه حديثًا لا يقبله عقل. ثم يواصل شرح باقي البيت الأول من القصيدة فقال: ما يضال: معناها ما يزال. وأثبت في شرحه للبيت الثاني أنه لا أحد في الدنيا أكثر منه معرفة بأحوال



القمل والصيبان، فقد ذكرهما بتفصيل شديد، فبين مضارهما ووسائل القضاء عليهما، وما ورد عنهما من الشعر.

واستطرد بعد ذلك فذكر بعض الألفاظ التي يستعملها الصغار من الأطفال، وهي ألفاظ مستعملة في اللهجة الكويتية. مثل نمنم للأكل، وتقال عندنا نام نام. وانبوه للماء وتنطبق عند امبواه، وذكر أن الأم تخوف ابنها فتقول: اسكت لا يأكلك البعبع.

وعندنا يقال: بعبع ياكل ما يشبع. وهكذا...

وإذا قرأت الكتاب كله وهو مكتوب بلغة نصف عامية، أو قرأت القصيدة المكتوبة كلها بالعامية وجدت الكثير من ألفاظ اللهجة الكويتية متناثرة هنا وهناك في القصيدة أو في شرحها، وليس ذلك مستغربًا فاللهجة المصرية فرع عن العربية الفصحى ولهجتنا كذلك، ولابد من التشابه الذي إن لم يشمل جميع الألفاظ فإنه يضم عددًا لا بأس به منها يكون مشتركًا في اللهجتين المصرية والكويتية.

ولقد كان الشربيني متوسعًا في الشرح يسلك فيه طرقًا شتى، ويبالغ في الانتقال من موضوع إلى آخر وكأنه يستعرض معلوماته، ويكفي للدلالة على هذا التوسع الزائد عن الحاجة في الشرح أن نجد حديثه عن كل بيت من أبيات قصيدة أبي شادوف لا يقل عن خمس صفحات كاملة يشرّق فيها ويغرّب ويملؤها بروايات وأشعار وأحاديث نبوية وغير ذلك مما نراه في الكتاب.

على أن أغلب ألفاظه غير ملائمة، وأكثر قصصه فيها كثير من التحلل والعزوف عن الأسلوب اللائق به بصفته عالمًا من علماء الدين يشار إلى اسمه على غلاف الكتاب بلقب: (العلامة)، وهو لقب كان يجب أن يكسبه العفه، وينأى به عن الانحدار إلى استعمال الألفاظ الرديئة التي استعملها في الكتاب.

وقد قام الأستاذ يحيى حقي بتحليل هذه الظاهرة التي نراها فيما كتب الشربيني عن القرية المصرية وأهلها في زمنه، وقد وصل في تحليله إلى الصواب في كثير من الجوانب التي خاض فيها مؤلف هز القحوف، وعبر بما يقرب من الواقع عن الدافع الذي جعل هذا المؤلف يكتب بهذا الأسلوب الذي أشرنا إليه قبل قليل.

يقول الأستاذ يحيى حقي في كتابه: «الدعابة في المجتمع المصري» بعد أن استعرض بعض أبيات قصيدة أبي شادوف، وأبدى استغرابه لأسلوب الشربيني الذي يستفز القارئ، ويحمل الناس في هذا الوقت على تجاهل الكتاب، بحيث لو لم يقم بعض الأدباء بالكتابة عنه لتم نسيانه، ولم يتعرفه أحد في زمننا:

«هذه القصيدة متناسقة لها طابع خاص بها لا يشذ منها سوى بيتين في آخرها. فإذا جئنا للشرح الذي كتبه الشيخ يوسف الشربيني وجدنا ظاهرة تحير. ذلك أننا نعرف أنه قروي ومتزوج من قروية وكثير التردد على بلده. ولكنك إذا قرأت شرحة خيل إليك أن هناك ثأراً قديماً بينه وبين الفلاحين، فهو ينعتهم بأقبح الألفاظ ولا يترك لهم عورة إلا كشفها ولا عيبًا إلا بالغ فيه حتى ألحقهم بالبهائم.

فما تفسير هذا التناقض؟

لو اعتمدنا في فهم عقلية الشيخ يوسف وعواطفه على شرحه الذي كتبه لهذه القصيدة لما خرجنا بشيء يثني عليه. فهذا الشرح بذيء لدرجة توجب مصادرته، وهو فوق ذلك ركيك منحط الذوق، ثقيل الدعابة فاحش اللفظ، بارد النكتة، تقتصر وجهة الدعابة فيها على ألفاظ دنسة ومحاولات سخيفة في التعرض للقارئ بمعانٍ دنيئة. ليس فيه ترتيب ولا اتساق فهو يخرج من أفحش القول إلى ذكر مقتل الحسين، ومن أبرد النكات إلى تفسير آية قرآنية. هذه ظاهرة واضحة في كتب شعبية عديدة كـ «المستطرف في كل فن مستظرف» و «إعلام الناس بما جرى



للبرامكة مع بني العباس»، وقد أضاع هذا الشرح مزايا قصيدة أبي شادوف وأهال عليها التراب.

يحتمل كثيراً أن الشيخ يوسف كان من الشخصيات الضعيفة المغرورة التي تستعبدها المظاهر فتسارع في التنكر لأهلها إذا رأت نفسها في جو أرقى ولكننا رغم هذه الظروف والاحتمالات السيئة المحيطة بالشيخ يوسف الشربيني لا نصدق أنه بعد أن يتهذب ويتعلم يتنمر على أهل بلده ويلعنهم وفيهم آباؤه وأمهاته، بل نحن في حاجة إلى بحث أدق بين سطور هذا الكتاب لنرى أن الشيخ يوسف ما كتب هذا الشرح وملأه بالمبالغات إلا ليعبر عما في نفسه من ألم وضيق من حالة الفلاحين في عصره».

والخلاصة أن كتاب: «هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف» كتاب لم يترك شيئًا من الحديث عن أحوال الفلاحين إلا ذكره، وقد بين عاداتهم، وطرق معيشتهم، وصور مجتمعهم تصويرًا كاملاً بغض النظر عن المبالغات التي يراها القارئ. وتحدث عن مأكولاتهم بأنواعها وطرق صنعها، ولعل من المناسب أن نذكر أنه أورد شيئًا عن نوع من الخبز اسمه (المصبوبة) وصفها أبوفاشا بأنها رغفان صغيرة تشبه القطايف، ولكنها تصنع من عجين غير متماسك يصب كما تصب القطايف على الصاج المحمي بالنار. وهذا النوع كان مستعملاً في الكويت وبخاصة عندما كان يندر الحصول على الطحين المعتاد، ونسمى هذا النوع: الصبيب، والاسم قريب من الاسم الذي ذكره الشربيني في كتابه.

وبعد. فهذا عرض سريع للكتاب قصدت منه التلميح إلى تقارب لهجة الكويت مع لهجة مصر، وإن كان الأمر غير مستغرب، ولكني وجدت الكتاب يدل على ذلك فأشرت إليه.

****

## الحاضرة والبادية في شعر[1]
## الشاعر الكويتي ضويحي بن رميح

هناك مقولة مشهورة تقول: «الشعر ديوان العرب» بمعنى أنه سِجلٌّ يدوِّن أحداث أيامهم، ويصور حياتهم ويحفظ ذكرهم. والشعر النبطي الكويتي هو سجل الكويت منه نستمد الكثير من المعلومات التاريخية والاجتماعية، فالشاعر النبطي عادة إنسان بسيط يعايش الناس ويحدث له ما يحدث لهم، ويعبر عن كل ما يشاهده من أمور الحياة التي تطرأ حين مشاهدته لها فهو العين التي تراقب وتسجل وتحفظ.

وضويحي بن رميح الشاعر الكويتي الذي توفي في سنة ١٩٠٧م، واحد من هؤلاء الشعراء الذين جاء شعرهم مرآة صادقة لعصرهم. لقد ولد هذا الشاعر في الكويت وعاصر فترة من حكم الشيخ جابر بن عبدالله بن صباح (١٨١٤ - ١٨٥٠م) وكانت وفاته في زمن حكم الشيخ مبارك الصباح.

تعلّم هذا الشاعر القراءة والكتابة، ثم التحق بالعمل في مجال البحر منذ بداية شبابه وظل يمارس هذه المهنة إلى أن توفي. وكان هذا مجال عمل مفتوح يستطيع كل من عنده القدرة الجسمانية الانخراط فيه لأن حاجة السفن إلى العاملين في ازدياد مع الزيادة المطردة في النشاط البحري في الكويت. ضويحي بن رميح شاعر موهوب له قصائد متنوعة وله قصائد يرددها الناس حتى يومنا

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/٧م.



هذا، ومنها هذه القصيدة التي شاعت على الألسنة منذ أبدعها الشاعر ولا تزال تسمع في حفلات الأعراس وهي:

مبارك عرس الاثنين
ليلة ربيع وقمره
يا المعرس اذبح خروفين
وإلا عليك الملامه
وإن كان ماكو خروفين
عيش وكثّر ايدامه
من عانك الله هل امعين
ربعك رجالٍ نشامه
عروسنا زينة العين
بنت الشرف والكرامه

وكنا نسمع هذا الغناء دون أن نعرف قائله حتى قام الأستاذ عبدالرزاق العدساني بتحقيق ونشر ديوان الشاعر ومنه عرفنا نسبة هذه الأبيات إليه.

ومن قصائده المشهورة أيضًا:

يا جر قلبي جر لدن العضون
اغصون سدر جرها السيل جَرّا
على الذي مشيه تخطن بهون
وعصير ما بين الفريجين مرّا

وله أخرى مشهورة أخطأ عدد من الناس بنسبة بعض أبياتها إلى شعراء آخرين وهي:

أحب الخضر يوم ان لي صاحب خَضَرْ
وأبا هي بزينة جملة البيض واماري

مجيّه نهار العيد سبب لي الكدر
ومن حين شفته يا سعد ضاعت أفكاري

ولكننا لانريد الخوض في حديث يتعلق بهذا النوع من أشعاره، بل إن ما يعنينا هو البحث عن مظاهر الحاضرة والبادية في شعره.

كان شاعرنا من سكان منطقة القبلة، وقد أوحى إلينا في إحدى قصائده بما يدل على موقع سكنه حين قال وهو في الغوص يتشوق إلى موطنه ويقارن بين موقعه هناك، والبلد الذي ولد وعاش على ثراه فنجده يقول:

أخير من شوف ابو عينين وبروجه
شوفة غميضه ومسكنها واهاليها
نفسي بوسط الكويت تصير مبهوجه
بلادي اللي من الأوطان مغليها
عيني من البعد يا الأجواد مزعوجة
هني من شاف داره واهتنا فيها

وهو يتحدث في شعره عن الفرجان، والدكاكين المجاورة، ويصف ما يلاقيه في حياته ضمن المنطقة التي يعيش فيها، وقد مر بنا قوله:

على الذي مشيه تخطن بهون
وعصير ما بين الفريجين مرّا

ويقول داعيًا لوطنه:

يا الله عسى برق تزايد لميعه
يمطر على جبله وشرق الغمامي
عله على الاحواد يضفي ربيعه
يضفي على دار الشيوخ الحشامي

وفي قصيدة أخرى يتجه إلى أخيه سعد بن رميح وهو في القصيدة (أبوفهد) فيتحدث إليه عن محبوبته وأسلوب حديثها، وتحركها في الفريج تلبية لرغبات



أهلها، ويصفها وصفًا شاملاً، ثم يبث شكايته إلى أخيه مدعيًا أن أهلاً لمحبوبته قد منعوه منها وحالوا دونه ودونها:

هرجة عشيري يعلم الله قروضات
نخي وفيه من الملبس نمونه
يضحك ويظهر لي من الحب شارات
والموت يطرخ في محاجر عيونه
والعنق عنق بريق وردوف نبهات
يا ويل من مثلي شكى من طعونه
لي راح منهم يشتري له غريضات
صوب الفريج اللي هله يندبونه
أخاف يقطع منه لولو ودانات
والا بعد بعيونهم يحسدونه

وهكذا نراه يتحدث عن الفريج، وعن الدكان الذي يذهب إليه المحبوب لشراء ما يحتاج إليه أهله من (غريضات) فتقرأ القصيدة وكأنك تعيش معه في مكانه وفي زمانه وذلك لفرط رقته وإحساسه وجودة شعره.

وعندما يتحدث عن السفر أو الغوص، فاننا نجد حنينه المتزايد إلى وطنه، وشكواه من البعد ومما يعانيه من شظف العيش وشدة النوخذة، وهو يرى أن البحر مورد من موارد الرزق، ولكنه مورد محفوف بالأخطار، وأكبر ما يعانيه عندما تهب على سفينتهم الرياح الشديدة، أو إذا لم يقم السيب بواجبه فيجره من قاع البحر في الوقت المناسب، أو إذا كان النوخذة في غاية الضيق. ولكنه مع كل هذه المضايقات فإنه يعلم أنه قد أقدم على خوض هذه المغامرة الصعبة حتى يستطيع أن يجمع من المال ما يعينه على قضاء حاجته وهي الزواج ممن يحب الذي هو

مستعد من أجل إرضائه أن يخوض البحار لسبعة شهور أخرى، ها هو يقول موجهًا كلامه إلى صديق له:

**يابحر فيك الرزق لاشك مخطور**
**أكبر خطر غوص البحور الغزيرة**
**أكبر مصيبة عندما بابو منصور**
**لا هبت رياح قوية خطيرة**
**ولا نساك السيب في جمة بحور**
**إما نعس والا تعومس مريرة**
**والنوخذة لا صار ضايق ومحشور**
**نضيق من ضيقه ونعجب نظيره**
**لعيون خلي سيد البيض والحور**
**سيد البنات اللي نهوده صغيره**
**لزيد في ذاك الخطر سبعة شهور**
**إن كان ذا يرضي خوافي ضميره**

ثم يقول في قصيدة أخرى إنه كان الليلة البارحة في راس تنوره على ساحل الخليج ولكنه صار اليوم في الهير حيث بدأ الغوص على اللؤلؤ، رموا فوقه الحبال، وقالوا له أحضر كل ما تسطيع إحضاره من المحار، ويصف هنا قاع البحر وما به من صخور ونباتات، ثم يدعو النوخذة إلى مغادرة هذا المكان برفع الشراع العود والاتجاه إلى الوطن حيث الحبيب الغالي ثم يقول:

**ياحالي اللي من الأمواج مخطورة**
**أنا بسفين البحر والترف بظلال**

فهو مشتاق إلى هذا الترف الذي يعيش في ظلال ناعمة بينما هو يعاني ما يعانيه في البحر، وفي رحلة من رحلات السفر، أقبل عليه العيد وهو في الهند، فتذكر وطنه في هذا اليوم، وقال:



**بالهند جانا العيد يا شين عيده**
**لو قالوا انه عيد ماظنتي عيد**
**عيد بليا صاحبي ما نريده**
**يعل عيده عاد لو إنه بعيد**
**انا ابمبي عنه داري بعيده**
**وهو بدار مطوعين الا واليد**

ثم يقول:

**مبروك ياللي وسط قلبي وجيده**
**عسى عليك العيد مبروك وسعيد**

هكذا نجد الشاعر يكثر من ذكر وطنه، ومن الحديث عن تجاربه في الحياة، وبخاصة في المجال الذي عاش فيه، فيصور لنا تلك الفترة الغابرة، ويحفظ لنا صور الحياة الكويتية القديمة، ويجلو لنا مدى تأثر الناس بالأعمال البحرية التي عاشوها ، ومدى تأثير تلك الأعمال في حياتهم، وفي مأثوراتهم الشعبية.

بقي أن نقول إن هذا المقدام الذي لم يتردد في خوض البحار من أجل كسب رزقه، تغلب عليه في فترة من الفترات حالة نفسية تؤثر في سيره إلى مشاركة زملائه في رحلتهم، لقد استعد (للدّشة)، ولكنه وجد محبوبته تمسح دموعها حزنًا على فراقه، فتوقف عن الرحيل قائلاً:

**والله جزا ماراح يمسح دموعه إني لخلي روحتي يم سيلان**

ولكن ضويحي بن رميح لاينسى البادية التي أحبها ولم ينقطع عنها، فهو يذكرها في قصائد كثيرة، وقد ذكر موضعًا في قصيدتين مما يدل على ارتباطه بهذا الموضع ففي إحداهما ذكر أن موقعه وراء برقان وذلك في أبيات قالها وهو في الغوص، حيث كان نائمًا فزاره طيف من يحب فقد اجتاز المسافات الطويلة وحل عنده وهو في مرقده فوق متن السفينة:

سرى الليل كله ما سرى مدمج السيقان

أنا والغضي في مرقدي مع هل الفنَه

على مشغله جاني وهو من ورا البرقان

تكلمت أنا وصويحبي زاهي الخنَه

وفي الأبيات الأخرى صرح باسم الموضع وهو «بيضا النثيل» وهذا الموقع قريب من منطقة الصبيحية وراء برقان، وفيها يقول:

ياالله اليوم ياعدالها لا تميل

يا بو الافراج يافتاح باب الغناه

ترحم اللي من الغالي قليل الحصيل

ما طلب صاحبه شي وهو ماعطاه

لاسقاك الحيا ياجو بيضا النثيل

يوم شالوا عرب خلي وأنا فوق ماه

وهكذا يستمر الشاعر في التعبير عن مشاعره المتعلقة بالبادية ومن ذلك حديثه عن دار خله التي نظر إليها وهي خاوية تتلاعب فيها الوحوش الضارية، مر عليها الليل وهي خالية من أهلها، ليس فيها من صوت إلا صوت اصطفاق الباب بالهواء، وقد أثاره فراق (الخل) الذي تعلق به طيلة حياته ويأبى أن يفرط به أو أن يغيب عنه، ولذا فقد سالت دموعه على الخدين لكثرة مايشكو من الألم الممض الذي سببه له ذلك الفراق ، حتى جعل دمعه كما قال: (لو يشتكي لصم الحصى ذاب من البكاء). لقد تحرك الأحباب ثم ساروا إلى وجهتهم التي يزمعون الرحيل إليها دون أن يفكروا بما سوف يجري على من البلاء لذلك الفراق، فأنا عقب رحيل المحبوب قد صارت حالي صعبة وصار كل من يراني يأسف لما حل بي. وقد صرت بسبب تفكري المنصب فقط على ذكرياتي هذه المحدودة فكأنني غريب بين أهلي.



هذه القصيدة هي التي جاءت في الديوان تحت عنوان «ياويل مثلي» ومطلعها:

يا دار خلي يوم اشوفك اقبالي

لكن يمشي بك مغاليث[1] وذياب

وفي قصيدة أخرى يتحدث الشاعر عن الفراق أيضًا ويقول إن قلبه حزين بعد فراق صاحبه، ويقول إن يوم الفراق لا ينسى أبدًا وكل من جريه رسخ في باله طوال حياته. لقد صمموا على الرحيل وطووا بيتهم الصحراوي المصنوع من الشعر، واتجهوا إلى الشمال بينما اتجه الشاعر وقومه إلى الجنوب. يقول: لقد وقفت متحيرًا لا أستطيع عمل شيء حتى أنني لم أقدر على مد يدي إلى ثوبي لكي أقطعه حزنًا. وقد اكتفى بوصف حالته حين قال:

هلت العبرة عيوني وأجر الونين

ونة اللي ساير السم عن نومه حداه

ليت أهلنا مع أهْلَهْ يوم شدوا مشملين

لكن المقسوم جاري على اللي ما بغاه

وفي قصيدة أخرى يصف موضعًا في البادية هو الموضع الذي تعيش فيه محبوبته، وهو موضع جميل أضفى عليه هطول المطر مزيدًا من البهجة فنمت أعشابه البرية، وتداعى الناس إلى الاستمتاع بذلك الجو الرائق الذي جعل شاعرنا يقول:

يا زين عشب الثرى

فيه الأباعر تفلي

يتليهن الأعفرا

مزعل ارنوُعَه ارضَالي

اللي ليا من طرا

عليه دمعي يهلي

(1) المغاليث: الكلاب المسعورة. لكَن: لكانَ.

وفي آخرها قوله:

لـــولا الحـيــا والـــــزرا[1]
وادراك يــا عَـــزْ مـــن لـي
لأجـيـك مــا خـْــدٍ دري
وروح مــا احْــدٍ فـطـنْ لـي

إذن فنحن أمام شاعر عرف البرّ والبحر، عاش حياة الحاضرة وحياة البادية، له تجارب كثيرة في كل موقع من تلك المواقع التي ذكرها، وقد انطبعت تلك التجارب في شعره، وهو شعر قريب إلى النفس، يستطيبه المستمع ويهتم بترداده، فهو صادر عن نفس مولعة بالجمال، محبة للوطن، شديدة التعلق بالأهل والأصحاب، تنم عن روح دينية صادقة، كما أن هذا الشعر رقيق إلى الحد الذي يشعر فيه قارئه بروح طفوليه لطيفة تشع من بين أبياته، وتدل على روح راضية مطمئنة إلى قدرها، ولا تخلو القصيدة الواحدة من قصائده من دعاء، واستذكار لقدرة الله سبحانه وتعالى، وهو يرى أن هذه القدر الربانية هي التي تعينه على تحمل كل ما يعانيه من صعاب، في حله وفي ترحاله وفي حالة شقائه بصدود المحبوب، أو سعادته بقربه.

****

(1) الزرا: الانتقاد



# الكويت في مجموعة من صحف الأمس[1]

لايزال أخي الكريم الأستاذ عبدالرحمن الخرجي مستمرًا في إمدادي بفيض من مدخراته الثقافية والصحافية مما كان يزين به مكتبته العريقة: مكتبة الطلبة، وقد سبق له أن أمدني بمجموعات أفادتني كثيرًا في عملي الخاص بكتابة مقالات الأزمنة والأمكنة، وهو اليوم يقدم دفعة أخرى من هداياه القيمة التي أجد أنه لابُدّ من عرضها على القارئ الكريم لما فيها من فوائد وعلى الأخص وأنه ضمّن المقالات التي احتوتها أحاديث كثيرة عن الكويت في أوقات سابقة فهي مفيدة لأنها تتحدث عن الكويت في الوقت الذي صدرت فيه المجالات المهداة، وبذلك فإننا نستطيع أن نضيف ما جاء فيها من معلومات إلى المعلومات السابقة التي استقيناها من كتب التاريخ ومن الرواة مما يتعلق بأخبار وطننا الماضية.

تحدثت أكثر من مرة عن الأستاذ عبدالرحمن وأفضت في ذكر فضائله، وعمله بمكتبة الطلبة التي كانت موردًا عذبًا صافيًا لطلاب المعرفة، فهي تضم كل جديد في عالم الكتب، وتردها الصحف في وقتها، وكانت اختياراته من الكتب التي يعرضها على مرتادي مكتبته ذات دلالة باهرة على مدى ثقافته واطلاعه إذ لولا ذلك لما كان في مقدوره انتقاء هذه المجموعات القيمة من المطبوعات التي لاتزال بقاياها عنده بعد أن أغلق المكتبة بزمن وهي أيضًا لا تزال محتفظة بقيمتها، فهي تعطي الدليل على ثقافة ذلك الزمن ومثقفيه، ولا أشك في أن الذين اقتنوا من

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ١٤/١٠/٢٠٠٩م.

مكتبته ما شاءوا من كتب يحتفظون له إلى اليوم بالود وبالتقدير، والعرفان بالجميل لأنه قرب لهم ما بَعُدَ عنهم وأمدهم بما هم في حاجة إليه مما هو غير متوافر في أية مكتبة أخرى في البلاد حين كان يدير ذلك النبع الثقافي الغامر.

تتكون هدية الأستاذ عبدالرحمن الخرجي هذ المرة مما يمكن أن أقسمه إلى ثلاثة اقسام هي:

**١ - خمس مجلات عربية منوعة.**

**٢ - مجلة إسبانية عربية المنشأ اسمها: الغربال.**

**٣ - بعض أعداد من جريدة «الوطن» القديمة عندما كان صاحبها الأستاذ أحمد العامر.**

وسوف أبدأ في هذا المقال باستعراض ما ورد في المجلات الخمس عن الكويت لأن هذا الموضوع هو الذي يهمني هنا ولأن استعراض كامل ما ورد في تلك المجلات يحتاج إلى وقت طويل، ومكان يتعدى الصفحتين المخصصتين للأزمنة والأمكنة.

والمجلات الخمس التي نشير إليها هي:

**١ - عدد من مجلة الأسرة الأردنية.**

**٢ - عدد آخر من المجلة رقم (١).**

**٣ - مجلة الإذاعة والتلفزيون المصرية.**

**٤ - مجلة المجتمع الجديد البحرينية.**

**٥ - مجلة الجمهور الجديد اللبنانية.**



نبدأ منها بالمجلة الأولى (وللعلم فانني قمت بترتيب عرض ما فيها بحسب تاريخ صدور كل مجلة)، وهي مجلة الأسرة الصادرة في الأردن منذ سنة ١٩٦٠م، صاحبة امتيازها ورئيسة تحريرها السيدة هدى صلاح، ومقر المجلة عمان عاصمة الاردن، أما العدد الذي نتحدث عنه فهو الخامس والعشرون الصادر في شهر مايو لسنة ١٩٦٣م، وقد كتب تحت العنوان الرئيسي للمجلة ما يلي: مجلة اجتماعية أدبية نسائية، وورد ما كتب فيها عن الكويت في صفحتين هما: الثانية والعشرون والثالثة والعشرون، وما كتب ضمه قسمان أولهما مقال تحت عنوان: المرأة في الكويت كتبه شخص اسمه يعقوب فهد جابر، والثاني مادة خبرية تحت عنوان: مجتمع الكويت.

يروي كاتب المقال كثيرًا من المعلومات عن المرأة الكويتية ومن هذه المعلومات ما هو مطابق للواقع، ومنها ما هو معبر عن وجهة نظر الكاتب حتى لو لم يكن مطابقًا.

فهو يقول منذ البداية: «إن المرأة في الكويت كانت تتخبط في دياجير مظلمة من التقاليد القديمة والعادات البائدة، ولكنها تقدمت تقدمًا رائعًا يبشر بانطلاقات عظيمة مقبلة».

ولقد أوغل كثيرًا في الحديث عن التقاليد والعادات، صحيح أن الكويتية كانت ولا تزال حريصة على تقاليد وطنها وعادات أهلها، ولكنها لم تكن قط تتخبط في ظلام دامس كما يوحي لنا الكاتب. لقد كان الإقبال على الدراسة في المدارس المتاحة قديمًا اقبالًا شديدًا وكان الأهالي يحرصون على تعليم بناتهم، ومما يدل على أن بذرة التعليم للبنات كانت قد وضعت في وقت مبكر سرعة بروز الكفاءات النسائية وتبوؤ العدد الوافر منهن مناصب مهمة، وقيامهن باعمال متنوعة سدت أعدادهن فيها فراغًا كبيرًا من الحاجة إلى العاملين والعاملات في كثير من مرافق البلاد.

ولقد قام الكاتب بعد ذلك بتدارك ما بدر منه فقال: «لقد أثبتت الكويتية كفاءتها في ميدان التعليم فكانت خير مربية ومعلمة، ودخلت جميع ميادين الحياة الاجتماعية بنجاح» ثم يضيف قوله: «إن مستقبل المرأة في الكويت يبدو مشرقًا، وتقدمها الحثيث يبعث على الأمل»، وفي هذه الفقرة الأخيرة أصاب الكاتب كبد الحقيقة وها نحن نلاحظ مدى التقدم الذي أحرزته المرأة عندنا.

ثم نجد في العدد نفسه موضوعًا آخر أشرنا إليه منذ بداية حديثنا عن هذه المجلة وهو موضوع إخباري خاص بالمجتمع الكويتي جاء فيه أن الكويت احتفلت في اليوم الخامس عشر من شهر أبريل ١٩٦٣م بعيد العلم، وكان احتفالاً مهمًّا شارك فيه الجميع، ونال المتفوقون فيه الجوائز التي يستحقونها في مقابل تفوقهم، وجرى فيه افتتاح معرض العلم في مدرسة ثانوية الشويخ وكان معرضًا مهمًّا شاركت فيه مختلف المؤسسات الحكومية والشركات الكبرى وعرضت فتيات الكويت بعض أعمالهن الفنية اليدوية.

وضم هذا الحديث صورة تمثل المتفوقات، ولكن نقل الصورة إلى جانب هذا المقال صعب لأنها لم تكن واضحة بما فيه الكفاية.

أما المجلة الثانية فهي عدد آخر من مجلة الأسرة السابق ذكرها، وقد صدرت في شهر نوفمبر لسنة ١٩٦٥م، ويتضمن هذا العدد موضوعًا سعدت جدًّا بالاطلاع عليه ففيه مقابلة صحافية مع أمّنا السيدة (ماما أنيسة) التي يحبها الكبار والصغار، وفيه مقدمة تناولت السيرة الذاتية لهذه الأم الكريمة منذ بداية دراستها إلى أن انخرطت في سلك العمل بالتدريس. وقد كانت تتولى تقديم برامج الأطفال منذ سنة ١٩٦١م، وذلك بالإضافة إلى عملها الأول ولكنها انتقلت إلى جهاز خاص في وزارة التربية لتتفرغ لهذا العمل المهم في سنة ١٩٦٢م ومنذ ذلك التاريخ وهي تتولى تقديم برامج الأطفال المنوعة المتجددة في الإذاعة وفي التلفزيون على حد سواء.



قابلها الصحافي محمد بشير الوظائفي، وكان لقاؤهما في مبنى «تلفزيون الكويت» القديم بالقرب من قصر دسمان، وقد تحدثت (الماما) كثيرًا عن طبيعة عملها، وعن علاقاتها الحميمة مع الأطفال، ومحبتهم لها مع محبتها لهم، وكانت في أقوالها للصحافي تتحدث عن الأطفال فتقول: «الواقع أنني أستغرب شكوى بعض الأمهات من أطفالهن، واتهامهن لهم بالإزعاج والمضايقات، بينما أرى الطفل سهل القياد إلى حد كبير مما يؤكد أن ذلك يرجع إلى الأم والبيت أولاً وأخيرًا».

وعندما دار الكلام عن المرأة بشكل عام وجدناها تقول:

- **تستطيع كل زوجة أن تكون سعيدة إذا عرفت كيف تعامل زوجها، وكيف ترضيه.**

- **على المرأة أن تعطي زوجها وبيتها أكثر مما تعطي لنفسها وزينتها، إذا كانت تطمح في بيت سعيد.**

- **أنصح كل فتاة مقبلة على الزواج أن تتفهم نفسية شريكها المقبل، وتحاول الإلمام بكل ميوله ورغباته، وتحاول التنازل عن بعض كبريائها ورغباتها في سبيل إرضائه.**

هكذا تحدثت (الأم) في هذه المقابلة عن جانبين مهمين هما جانب برامج الأطفال، وجانب أحوال المرأة بشكل عام. وقدمت ما رأته مفيدًا لأولياء الأمور وللزوجات وللفتيات المقبلات على الزواج. كان إلمامًا باهرًا بهذين الموضوعين بحيث تبين لنا مدى اتساع مداركها، وقدرتها على تفهم شؤون الحياة، نرجو لها الصحة والعافية والعمر المديد بإذنه تعالى.

تصدر هيئة الإذاعة والتلفزيون بمصر مجلة اسمها «مجلة الإذاعة والتلفزيون» وهي مجلة تصدر منذ زمن طويل منذ كانت مختصة بالإذاعة قبل أن تنشأ الحكومة

المصرية جهاز التلفزيون. وهي تصور كافة أنشطة هذين الجهازين، وتبين الجهود المبذولة في عمل جميع العاملين بهما وتستفيد من المجالات الثقافية والفنية التي تعرض فيهما بحيث تضم شيئًا منها في كل عدد يصدر، ولذا فإن أعدادها غنية بالمعلومات زاخرة بكل ما يفيد القارئ، وهي تضيف إلى ذلك عروضًا للبرامج المرئية والمسموعة، وهي برامج تجدد كل أسبوع مع صدور كل عدد حتى يتابع القراء ما سوف يقدم لهم عبر الجهازين الإعلاميين المهمين.

وليس ما ورد في (ص٣٠) من العدد الصادر في اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر لسنة ١٩٦٥م، مخصصًا للحديث عن الكويت، ولكن الصفحة المذكورة تتحدث زاوية من زواياها عن موضوع تحويل روافد نهر الأردن وهي مسألة كانت من أشق المسائل التي مرت بالأمة العربية، وتتضمن الزاوية المشار إليها جزءًا من أقوال الزعيم المصري الراحل جمال عبدالناصر فيما يتعلق بموضوع نهر الأردن، وهو يقول إن مجابهة إسرائيل في موقفها هذا تقتضي تآزر جميع الدول العربية، ولا يمكن لدولة منها منفردة أن تستطيع القيام بما يجب لردع المعتدين، لذا فإنه يدعو إلى اجتماع قمة عربية تتولى التنسيق ووضع السياسات الملائمة التي تلتزم بها الدول مجتمعة. وهذا ما حدث بالفعل فقد اجتمعت القمة العربية المخصصة اجتماعاتها لهذا الغرض، وتم اتخاذ عدد من القرارات المهمة في حينها.

المهم أن هذه الزاوية ضمت صورة أرشيفية من صور أحد اجتماعات القمة التي سبقت هذه المشار إليها ويبدو في الصورة واضحًا الشيخ عبدالله السالم الصباح.

أما المجلة الرابعة التي سوف نستعرضها هنا فهي مجلة أسبوعية تصدر في البحرين تحت اسم «المجتمع الجديد وهذه المجلة تصدر أسبوعيًا عن الشركة الوطنية للصحافة والإعلان. وهذا هو العدد الصادر في اليوم السادس عشر من



شهر ديسمبر لسنة ١٩٧٠م، وهو يضم الكثير من المعلومات عن البلد الشقيق. تحت عنوان: أخبار وتحقيقات تواجهنا ثلاثة أخبار عن الكويت، الأول منها يتعلق بخريجي الجامعة في تلك الفترة وقد حضر حفل توزيع الشهادات عليهم واحتفى بهم الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، وكان في ذلك الوقت رئيسًا للوزراء وليًّا للعهد، يقول الخبر أن الشيخ قد أقام في تلك المناسبة: «مأدبة عشاء تكريمًا لخريجات وخريجي الدفعة الأولى من الجامعة، وقد حضر المأدبة الأستاذ صالح عبد الملك وزير التربية، وأعضاء وفود اتحاد الجامعات العربية.

ويشير الخبر الثاني إلى انه تم في الكويت آنذاك افتتاح معرض إيراني في فندق هيلتون، وقد قام الشيخ عبدالله الجابر الصباح بافتتاح هذا المعرض الذي استمر أسبوعًا ورافقته فعالياته ثقافية وإعلامية أخرى.

أما الخبر الثالث فكان عن زيارة قام بها مدير الجامعة الأمريكية في بيروت إلى الكويت زار خلالها متحف الكويت الوطني ضمن برنامج زيارته المعد سلفًا، وذكرت المجلة أن الأستاذ صالح شهاب الوكيل المساعد لشؤون الثقافة والنشر والسياحة بوزارة الإعلان وقتذاك قد استقبل الضيف، وقد التقطت صورة ظهر فيها الأستاذ صالح وضيفه.

بعد هذا ينبغي أن نشير إلى أنه ليس من المستغرب أن تقوم مجلة تصدر في البحرين بنشر أخبار الكويت فإن العلاقات المتينة بين البلدين هي التي تدفع إلى ذلك، كما أن صحف الكويت بدورها لا تخلو أبدًا من أخبار البحرين.

تصدر في لبنان مجلة أسبوعية سياسية وثقافية واجتماعية تحت اسم «الجمهور الجديد» صاحبها ورئيس تحريرها الصحافي المشهور فريد أبوشهلا، وهي مجلة عريقة عندما اطلعت على العدد المهدى إلي من الأخ عبدالرحمن

الخرجي وجدت أنه قد صدر في شهر فبراير لسنة ١٩٧١م، وأن المجلة كانت تصدر منذ خمس وعشرين سنة سابقة لهذا التاريخ الأمر الذي جعلني أنعتها بالعراقة.

تهتم هذه المجلة بالكويت وبقرائها هنا، ولذا فقد أنشأت لها مكتبًا بيننا يمدها بالمعلومات والأخبار وكل ما تحتاج إلى نشره، وفي العدد المشار إليه إلى جانب ما سوف نذكره مما ورد فيه عن الكويت نجد كثيرًا من المعلومات المهمة عن لبنان وجيرانه، وعن العلوم الحديثة وتطور الحياة في مختلف أنحاء الدنيا.

أما ما نشر في العدد المذكور آنفا مما يتعلق بوطننا فهو خاص بمرحلة من مراحل الحياة في الكويت إبان سنة ١٩٧١م، وهي مرحلة مهمة في تاريخنا. ففي السنة نفسها افتتحت الكويت عددًا من السفارات في الخارج، وأقيم مصنع الطابوق الجيري الذي سد حاجة قصوى للبلاد في مجال مواد البناء والتعمير. وتأسس معرض الكويت على هيئة شركة هي التي تديره حتى اليوم، وابتدأ تشغيل وحدة التقطير في محطة الشعيبة الجنوبية، وتأسس بنك الكويت والشرق الأوسط على انقاض البنك البريطاني للشرق الأوسط، ونالت وزارة التربية ميدالية ذهبية عالمية تقديرًا لدورها في تعليم الكبار ومحو الأمية، وصدر القانون الذي ظهرت أهميته الكبرى فيما بعد وهو قانون احتياطي الأجيال القادمة الذي خصص ١٠٪ من دخل البلاد السنوي للصندوق الخاص بهذا الغرض. يضاف إلى ذلك عدد كبير من الأنشطة الأخرى التي تصعب الإحاطة بها في هذا الموضع.

ولكن ما يهمنا هنا هو أن نشير إلى ما قامت مجلة الجمهور الجديد بنشره في هذه السنة التي تم في مطلعها ما يلي:

**١ - جرت انتخابات الفصل التشريعي الثالث لمجلس الأمة في العشرين من شهر يناير، وتم انتخاب السيد خالد صالح الغنيم رئيسًا لهذا المجلس، في أول جلسة له.**



**٢ - تشكلت الوزارة السابعة في البلاد برئاسة الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح في اليوم الثاني من شهر فبراير للسنة ذاتها.**

وهذان الأمران اللذان ذكرناهما أخيرًا هما مدار حديث المجلة اللبنانية المشار إليها، ففي عددها الصادر في التاريخ الذي ذكرناه فيما سبق حديث عن نتائج الانتخابات وعن قوة المعارضة الصاعدة إلى المجلس، ثم عن انتخابات الرئاسة التي تنافس عليها ثلاثة من الأعضاء فاز منهم السيد خالد صالح الغنيم كما ورد قبل قليل.

تقول المجلة في بداية حديثها عن الانتخابات:

«إذا كانت الانتخابات النيابية التي جرت الأسبوع الماضي قد تميزت ببعض المظاهر غير المألوفة عادة في أساليب الدعاية للاستفتاءات الشعبية كالمآدب العامرة تحت الخيام المنصوبة في أنحاء الدوائر الانتخابية، والولائم التي نحرت فيها الخراف بالمئات حتى قيل إن سعر اللحم قد ارتفع إلى ضعفيه عشية الانتخابات.. فإن هذه الانتخابات، وهي الثالثة التي تشهدها الكويت، قد تميزت بظاهرة غير مألوفة هي أيضًا ونكاد نقول غير طبيعية، وهي وقوف السلطة في حيادها موقف المتفرج وكأن الذي يجري لا يعنيها أو كأنه يجري في بلد آخر. فلقد حرصت حكومة الكويت على أن توفر للانتخابات جوًّا تامًا كاملاً من الحرية وعدم التدخل. ولولا الوجود الطبيعي لوزارة الداخلية من حيث مراقبة عمليات الاقتراع والمحافظة على الأمن حول أقلام الاقتراع، لما كان المواطن ليشعر بأي أثر للدولة.

هذا ما أجمع عليه المراقبون والمرشحون والمواطنون.. ولعلها المرة الأولى التي نرى فيها المرشحين يشيدون بنزاهة السلطة وحيادها قبل إعلان نتيجة الانتخابات، وقبل أن يعرفوا ما إذا كانوا قد نجحوا أو فشلوا.

ثم تقول: «وفي طليعة المسؤوليات التي سيواجهها الأعضاء المنتخبون إعادة النظر في عدد من القوانين التي أقرت في السابق، والنظر في بعض الاقتراحات لتعديل الدستور ومن ضمنها المادة ١٣١ التي تمنع الجمع بين الوزارة والتجارة، فضلاً عن مراجعة قوانين المطبوعات والجزاء وغيرها.

وأغلب الظن أن بيان سمو ولي العهد الذي ألقاه يوم ٢٤ يونيو الماضي وضمنه تقييمه للتجربة الديموقراطية في البلاد سيكون المنطلق الرئيسي للخطوات الإصلاحية التي ستشهدها الكويت في ظل التعاون بين المجلس الجديد والحكومة الجديدة التي ستنبثق منه.

ومن المتوقع أن يتضمن الخطاب الأميري الذي ستواجه به الحكومة الجديدة مجلس الأمة في بداية الفصل التشريعي الثالث معظم الخطوط العريضة الواردة في بيان سمو ولي العهد، بحيث تتبنى الإصلاحات الضرورية وتعتمده أساسًا لخطة العمل للنهوض بالبلاد وخدمتها في الداخل والخارج».

أما الموضوع الثاني الذي تحدثت عنه المجلة فهو موضوع تشكيل الحكومة الذي يبدو أنه لم يتم عند كتابة الموضوع المنشور بهذا الخصوص. وقد جاء فيه ما يلي:

«ومثلما جاء مجلس الأمة الجديد، صورة مصغرة عن الشعب، ستكون الحكومة الجديدة مرآة صادقة للمجلس، فالارتياح الشعبي الكبير الذي ظهر عقب إعلان نتائج الانتخابات، عبر عن الثقة التي يستند إليها النواب الجدد، وعن المسؤولية التي ألقاها الشعب على كاهل كل منهم، الأمر الذي حتم وجود حكومة قوية يمكنها مواجهة مثل هذا المجلس وسط ظروف تاريخية كهذه الظروف.

والمشاورات التي أجراها صاحب السمو أمير البلاد مع الرؤساء السابقين للمجالس النيابية السادة: عبداللطيف ثنيان الغانم، عبدالعزيز حمد الصقر، سعود



عبدالعزيز عبدالرزاق، وأحمد زيد السرحان، أكدت لسموه مدى الحرص على جودة العناصر التي ستشترك بالحكومة الجديدة وكفاءتها وأهليتها للسير في المرحلة الراهنة، بل إن البعض طالبه بضرورة توفر عنصر الاختصاص فيها.

وأغلب الظن أن حكومة تجيء في أعقاب انتخابات مجلس يمثل مختلف التيارات الشعبية، ويعكس النضوج الشعبي، ويعبر عن نضج التجربة الديموقراطية، ويضم بين صفوفه قدرات وإمكانات متنوعة، لا بد أن تكون مؤهلة للتصدي لعلاج كافة القضايا المطروحة، وتلبية جميع الاحتياجات الشعبية، إذا أرادت الاستمرار في الحكم».

هذه هي نهاية الحديث عما يتعلق بالكويت مما هو منشور في المجلات الخمس التي تحدثنا عنها، ويكفي أنه يحتوي على معلومات مهمة عن فترة من فترات حياتنا يجدر بنا أن نقوم بتسجيلها. ولا يفوتني أن أكرر الشكر للأخ الكريم الأستاذ عبدالرحمن الخرجي على هديته القيمة التي كان من حصيلتها هذا المقال.

****

## الوطن... عزيز[1]

هل يريد القارئ معرفة شيء عن تاريخ الجريدة التي يقرؤها كل يوم: «الوطن»؟ أظن ذلك، لأن تاريخ نشأة هذه الجريدة صار بعيدًا جدًّا يرجع إلى سنة ١٩٦٢م، ولأن الشكل الذي تصدر به في وقتنا الحالي مختلف تمامًا عن الشكل القديم وذلك لاختلاف الظروف وتوافر الإمكانات المادية والتقنية وما توفره ثورة المعلومات. إذ إننا نرى أن الأعداد التي تصدر في هذه الأيام من جريدة «الوطن» تعانق الجرائد العالمية من حيث الصنعة الصحافية، ومن حيث تلبية حاجات القراء، وإمدادهم بكل ما يخطر ببالهم من معلومات سواء أكانت عما يجري في الداخل أم ما هو جارٍ في الخارج، إضافة إلى متابعة قديرة للأحداث في كل مكان ولاسيما في الكويت.

أنشأ جريدة «الوطن» الأستاذ أحمد العامر في السنة التي أشرنا إليها وكان هو رئيس تحريرها إلى أن تنازل عنها بالبيع فتعاقب عليها عدد من رؤساء التحرير، وحين تأسست شركة «دار الوطن للصحافة والطباعة والنشر» بدأت الجريدة في مسيرتها الجديدة، وآخر من تولى رئاسة تحريرها هو الشيخ خليفة العلي الخليفة الصباح الذي بذل فيها جهدًا كبيرًا وسعى إلى تطويرها بصورة مستمرة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، وإن كان طموحه يدفع به إلى المزيد من التطوير، والحرص على إبراز جريدته في أحسن صورة وأبهاها.

ومن الجدير بنا ذكره هنا أن شركة «الوطن» قد نوَّعت منتجاتها فهي إضافة إلى الجريدة تصدر عددًا من المطبوعات المهمة منها مجلة «سمرة» ومجلة «نيوزويك العربية» ومجلة «الوطن الممتاز» ومجلة «أوتو تريد» وغيرها.

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/٢١م.



إضافة إلى صرح مهم من صروح الإعلام المرئي في الكويت هو جهاز «تلفزيون الوطن»، الذي صارت له مكانة عند الناس، وإقبال المشاهدين الكبير عليه دليل على ذلك.

أما عنوان هذا المقال فهو الهتاف الذي أطلقته أجهزة الدعاية عند الصدور الثاني لجريدة «الوطن»، وصار يومها ملفتًا للسمع والبصر ومن هنا آثرت اختياره عنوانًا لهذا الموضوع.

ضمن المجموعة التي أهداها إليَّ الأخ الأستاذ عبدالرحمن الخرجي أربعة أعداد من جريدة «الوطن» يرجع أول عدد منها الى سنة ١٩٦٢م. ولقد أفادني أبو عبدالعزيز كثيرًا بما قدم سابقًا وحاضرًا، وهذه الأعداد تعطينا صورة طيبة عن الصحافة الكويتية اليومية في بداياتها وتنعكس على الوضع الحالي لجريدة «الوطن» بعد التقدم الهائل في العمل الصحافي، وبعد تطور فنون الطباعة والإخراج وبعد تغير النظرة إلى الصحافة من حيث أهميتها في الإعلام والتوعية والتنبيه إلى الأخطاء وفتح الطريق السليم أمام الراغبين في التقدم، ومن يطلع على هذه الأعداد الأربعة يعرف كيف أن جريدة «الوطن» كغيرها من الصحف الكويتية اليومية قد انطلقت انطلاقة قوية، وأصبحت علامة بارزة في مسيرة وطننا، وانتشرت في عدد آخر من البلدان، وذلك بفضل الرجال القائمين عليها، وبفضل تفهمهم للرسالة الصحافية الحقة.

أعرض هنا أولًا بيانات الأعداد الأربعة وهي كما يلي:

**١ - العدد الرابع عشر من السنة الأولى الصادر في ١٩٦٢/٩/٨م.**

**٢ - العدد السابع والعشرون من السنة الثانية الصادر في ١٩٦٣/١٢/١٦م.**

**٣ - العدد الثمانون من السنة الثانية الصادر في ١٩٦٤/١/٦م.**

**٤ - ورقتان فقط من العدد الصادر في ١٩٦٧/٧/١٧م، لا تظهر عليهما بيانات رقم العدد.**

والآن أصبح طريقنا إلى موضوع هذا المقال واضحًا إذ سنستعرض هذه الأعداد لنعرف المستوى الذي كانت عليه صحافة الكويت في الستينيات من القرن الماضي، ثم لنعرف بعض المعلومات التاريخية عن تلك الفترة.

نبدأ بحسب التسلسل السابق فنتحدث عن العدد الرابع عشر من السنة الأولى، وليس ما بيدي منه كاملًا إن هي إلا أربع ورقات تكوّن ثماني صفحات من أصل ست عشرة صفحة هي كل صفحات العدد.

يُرى في أعلى الصفحة الأولى عنوان يدل على خبر مهم هو: «كويتي وقبطان ألماني يخترعان جهازًا جديدًا للحفر وتطهير أعماق البحر» وفي صدر الصفحة حديث مبتور عن هذا الاختراع مع صورة تجمع الرجلين. وهو حديث مبتور لأن بقيته في الصفحة الثالثة المفقودة من هذا العدد، ولا أعرف مصير هذا الاختراع، ولعل الأخ الكويتي المشارك للقبطان الألماني يقرأ هذا الكلام، ثم يدلنا على المعلومات الكاملة بما في ذلك ما آل إليه أمر الجهاز المنوه عنه في الجريدة. هذا وفي الصفحة الأولى أيضًا معلومات عن ثورة الجزائر التي كانت محتدمة آنذاك وفي عنوان ما كتب عنها أن (هواري بومدين) يرفض اتفاقية وقف إطلاق النار المعروضة على الثوار لأنه يريد دخول الجزائر دخول الظافر المنتصر.

وفي الصفحة الثانية برقيات متبادلة الأولى من الشيخ عبدالله السالم الصباح إلى شاه إيران يعزيه ويواسيه بمناسبة الزلزال الخطير الذي حدث هناك، والثانية هي رد الشاه على برقية الشيخ. أما البرقية الثالثة فهي من الشيخ عبدالله السالم الصباح إلى الرئيس الأندونيسي أحمد سوكارنو يهنئه فيها بعيد استقلال بلاده، ثم تأتي البرقية الرابعة وهي رد من سوكارنو على الشيخ يحتوي على الشكر وتقدير الموقف.



كان الزلزال الذي حدث في إيران في ذلك الوقت خطيرًا للغاية، وكان عدد القتلى والمصابين كبيرًا، فأمر الشيخ عبدالله السالم بإرسال بعثة طبية للمساعدة، وللتخفيف عن المصابين.

وقد تزامن هذا مع وصول وفد تجاري إيراني إلى الكويت من أجل تعزيز العلاقات التجارية بين البلدين.

وذكرت الجريدة أيضًا أن وزارة الصحة أرسلت وفدًا طبيًّا آخر إلى الجزائر، ويأتي هذا الوفد تعزيزًا لبعثة طبية كويتية مقيمة في ذلك البلد العربي، للقيام بالمساعدة في مجال العلاج والوقاية من الأمراض، وهذه البعثة لا نعرف عنها شيئًا، ولم تسجل هنا فعالياتها ولا كيف كانت تعمل.

وفي الصفحة المشار إليها خبر عن زيارة وفد يمثل الصندوق الكويتي للتنمية إلى الأردن، والخبر يتناول بيانات عن هذا الوفد وزيارته وبرنامج عمله هناك ثم عودته إلى الكويت.

هذا وتلا ذلك عدة أخبار منوعة من النوع الذي يجري يوميًّا مما لا يوجب رصده هنا.

تأتي بعد الصفحة الثانية مباشرة الصفحة الخامسة عشرة، وذلك بحسب ما نوهنا عنه سلفًا وأكثرها يضم بقايا أحاديث لم تستكمل في صفحات سابقة.

وليس في الصفحة الأخيرة أي جديد، ولكنها تضم كشفًا ببرامج الإذاعة والتلفزيون لمدة أسبوع يبدأ في ٦٢/٩/٨م وينتهي في ١٩٦٢/٩/١٣م مع إشارة إلى أن البث التلفزيوني كان تجريبيًّا وقتذاك.

هل تريد أن تعرف شيئًا عن دور السينما الكويتية في سنة ١٩٦٢م إنها كما جاء في الصفحة الأخيرة: الأندلس والحمراء والفردوس وحولي الصيفية والفحيحيل الصيفية. ومع بيان دور العرض ذكر للأفلام التي كانت تعرض فيها. ومنها فيلم من الأفلام الناجحة آنذاك وهو فيلم: عاشور قلب الأسد، من بطولة الفنان عبدالسلام النابلسي.

عدد «الوطن» الثاني من المجموعة التي أشرنا إليها سلفًا كان هو رقم (٢٧) الصادر في اليوم السادس عشر من شهر ديسمبر لسنة ١٩٦٣م.

احتفل هذا العدد بالذكرى الثانية لجلوس حاكم البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، وأفردت الجريدة مجالاً واسعًا لهذه المناسبة مع ذكر البرقيتين المتبادلتين بين الشيخ عبدالله السالم والشيخ عيسى بن سلمان بهذه المناسبة.

وفي الصفحة الأولى عدة أخبار عالمية وعربية منها نبأ زيارة بورقيبة لمصر، وزيارة الرئيس الصيني لها.

ويحتوي هذا العدد على مجموعة من الأخبار ذات الصفة المحلية منها وصول وفد جزائري إلى البلاد ليقدم رسالة إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح تتعلق بالخلاف الناشب بين الجزائر والمغرب حول حدود البلدين.

وتوقيع الكويت على اتفاقية الطائرات المدنية تنفيذًا لميثاق الجامعة العربية.

وخبر عن عزم الكويت على المساهمة بمشروع خط أنابيب البترول عبر الصحراء الجزائرية، وهو أمر لا نعرف عنه الآن شيئًا.

وفي صفحة لاحقة خبر عن زيارة الأخ الكريم عبدالرحمن العتيقي وكان وكيلاً لوزارة الخارجية في ذلك الوقت لدولة الهند من أجل ترتيب دورات دبلوماسية للشبان الكويتيين الراغبين في الالتحاق بالعمل الدبلوماسي.



ودعوة الكويت للمشاركة في معرض بغداد، بالإضافة إلى مشاركة الكويت في عدد من المؤتمرات والحلقات النقاشية.

وأخيرًا خبر عن زيارة وزير تجارة زنجبار للبلاد.

في الصفحة السادسة من العدد المشار إليه مقال كتبه الأستاذ سيف مرزوق الشملان، كان امتدادًا لحديث له عن مجلة العربي التي كان ينعي عليها عدم اهتمامها بالنشر للأدباء الكويتيين. ولذا فقد أشار في مقاله إلى الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري وأبدى عجبه من عدم نشر أي مقال أو قصيدة له في هذه المجلة.

وجاء في الصفحة رقم (١٥) لأن ما قبلها مفقود .، حديث عن الأدب النسائي لا علاقة له بما نود إثباته هنا مما يتعلق بالمسائل الكويتية. أما باقي العدد فهو منوعات مختلفة. على هذه الشاكلة، وأخبار خارجية لا تمس الكويت، ولذا فإننا سوف نصرف النظر عنها حتى لا يتشعب الحديث فلا نجد مجالاً لنشره.

يأتي بعد ذلك العدد الثمانون الصادر في اليوم السادس من شهر يناير لسنة ١٩٦٤م.

أهم خبر في الصفحة الأولى منه عن مؤتمر القمة العربي الأول الذي حلّ أوان انعقاده في ذلك الوقت وقد ذكرت الجريدة أن موعده هو اليوم الثالث عشر من شهر يناير في السنة التي صدر فيها العدد وهي سنة ١٩٦٤م، وأوردت أسماء أعضاء الوفد الكويتي الذي تم تشكيله برئاسة الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير البلاد آنذاك.

وفي الصفحة الأولى منه للسنة حديث عن المشكلة الإسكانية التي تفاقمت في ذلك الوقت، وذكرت الجريدة أن الحكومة مطالبة بمواجهة مسؤولياتها قبل أن يفلت الزمام، وبينت أن الهجرة المفتوحة هي سبب جميع مشاكلنا، كما ذكرت أن اجتماعات تمت في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل برئاسة الأستاذ حمد

عيسى الرجيب وكيل الوزارة لدراسة الأوضاع التي ترتبت على تأخير تسليم دفعات من بيوت ذوي الدخل المحدود مما جعل المحتاجين للسكن يخرجون في مظاهرة مختلطة تضم الرجال والنساء لأول مرة في تاريخ الكويت.

أما باقي العدد ففيه أخبار متنوعة منها هذا الخبر: «سافر الى بيروت أمس السيد يعقوب الغنيم مدير التلفزيون، لإنجاز بعض الأعمال الخاصة بتلفزيون الكويت».

أما باقي الأخبار فهي رياضية فنية تربوية اقتصادية إلى ما هنالك من أمور تهم القارئ الكويتي الذي يتتبع أعداد جريدة «الوطن» وقت صدورها في تلك الأيام.

أما إذا انتقلنا إلى الصفحة الرابعة من هذا العدد فإننا سوف نجد عدة اخبار مهمة منها انعقاد مؤتمر وزراء التربية في الدول العربية بمدينة بغداد ومشاركة الكويت في هذا المؤتمر، وانعقاد اجتماعات في وزارة التربية من أجل الإعداد لإنشاء جامعة الكويت، وعزم الحكومة الأكيد على إنشاء بنك الكويت المركزي، ولعلنا نلاحظ أن الجامعة قد نشأت بعد تلك الاجتماعات، أما البنك فهو قائم منذ ذلك الوقت.

وفي الصفحة السادسة مقال بقلم الأستاذ سيف مرزوق الشملان يرثي فيه المرحوم راشد بن أحمد الرومي أمير الغوص الذي توفي في اليوم السابع والعشرين من شهر ديسمبر لسنة ١٩٦٣م، وقد تحدث عنه الأستاذ أبومرزوق كثيرًا وبين أعماله ومناقبه وأثنى على جهوده في مجال عمله.

وفي الصفحة الثامنة حديث عن: خطر اعتمادنا على الثروة النفطية، وهجوم على سياسة الكويت الاقتصادية التي يراها الكاتب لا تنظر إلى المستقبل. وهذا حديث نكرره إلى اليوم، ولكن دون جدوى.



ولقد طاف هذا العدد في مجالات كثيرة حول العالم ولم يترك الحديث عن السياسة والفن والأدب والاقتصاد وهذه كلها سوف نتركها جانبًا لأن التزامنا في هذا المقال إنما يقع على ما يتعلق بالكويت الأمر الذي أشرنا إليه مرارًا.

آخر ما لدينا من الأعداد هو العدد الصادر بتاريخ السابع عشر من شهر يوليو لسنة ١٩٦٧م، وليس بين يدي منه غير أربع صفحات منها صفحتان مليئتان بالصور التي تعبر عن المآسي العربية، وبخاصة في فلسطين، وتنادي الجريدة بطلب الثأر وتذكر أنها تنشر هذه الصور البائسة حتى لا نتراجع أو ننسى.

ولقد أطلق رئيس التحرير على هذا العدد اسم: العدد الكسيح، لأنه صدر بعد قليل من نهاية حرب الأيام الستة التي بدأت في اليوم السادس من شهر يوليو لسنة ١٩٦٧م، ولم يكن الرجل في حالة نفسية ملائمة للكتابة وإصدار الجريدة بسبب الكآبة التي كان يشعر بها نتيجة تلك الحرب الخاطفة التي هزمنا بها، وهو معذور في ذلك فكلنا أصابته هذه الكآبة آنذاك وسيطرت عليه.

فيما عدا كلمة رئيس التحرير والصور التي أشرنا إليها هناك حديث عن مجلة العربي فيه نقد شديد لها وليس هذا هو العدد الوحيد الذي تناول فيه رئيس التحرير هذه المجلة وقد مر بنا في أحد الأعداد التي عرضناها هنا أنه نشر للأستاذ سيف مرزوق الشملان مقالاً عن هذا الموضوع، إضافة إلى بعض التنويهات في مواضع أخرى.

ليس هناك ما يمكن الحديث عنه حول هذا العدد لأن حديثنا استوعب كل ما جاء فيه، أو على الأصح أنه استوعب الورقات الأربع التي حصلت عليها منه، وليس في يدي شيء آخر من باقي صفحات هذا العدد.

إلى هنا انتهى حديثي عن الأعداد الأربعة من جريدة «الوطن» في إصدارها القديم. وبقي عليّ أن أقدم شكرين أولهما لمهدي هذه الأعداد الأستاذ عبدالرحمن الخرجي. والثاني للأستاذ أحمد العامر صاحب ورئيس تحرير «الوطن» خلال فترة الستينيات من القرن الماضي، والواقع أنه رجل يستحق الشكر فقد كان من رواد الصحافة في الكويت الحديثة، وكان عصاميًّا يعتمد على نفسه في كل شيء، ولذلك فقد قدم من جريدته أعدادًا يفخر بها تاريخنا الصحافي.

هذا... وليس كل ما ورد في مقالنا هذا نقلاً عن الأعداد أو بقايا الأعداد من جريدة «الوطن» القديمة هو ما حدث في الكويت خلال الفترة التي صدرت فيها فهناك أمور كثيرة قد تكون أخبارها ضمن الصفحات المفقودة التي أشرنا إليها أثناء العرض. ومن ذلك أنه في سنة ١٩٦٢م تمت انتخابات المجلس التأسيسي، وثم افتتاح المطار الدولي العامل حاليًّا، وصدرت جريدة أخبار الكويت التي تغيرت ملكيتها فيما بعد وصار اسمها (الأنباء)، وصدرت عدة قوانين على رأسها الدستور، وبدأت الحركة التعاونية بالظهور ممثلة بأول جمعية من نوعها وهي: جمعية كيفان التعاونية، ثم جمعية الشامية التعاونية، وافتتح مستشفى الصباح، وثم إشهار جمعية المعلمين، وافتتحت سفارات للكويت في الخارج كما افتتحت في الكويت سفارات لدول مختلفة.

وسارت سنة ١٩٦٣م على المنوال نفسه، فتم فيها كثير من الأمور الدالة على التحرك السريع إلى المستقبل، وكان أهمها تشكيل الوزارة الثانية في تاريخ الكويت برئاسة الشيخ صباح السالم الصباح، وانتخاب مجلس الأمة في دور انعقاده الأول، وانتخاب السيد عبدالعزيز الصقر رئيسًا له، ثم السيد سعود العبدالرزاق بعد استقالة الصقر، وأنشئت عدة شركات وجمعيات نفع عام وغير ذلك.



أما ما حدث في سنة ١٩٦٤م فيفصح عنه ما ذكرناه عن السنتين السابقتين لأن الأمور سارت على وتيرة واحدة من العمل المتسارع لتدارك الفترة التي عاشتها البلاد قبل سنة ١٩٦١م حين تحررت من الاتفاق التعاقدي مع بريطانيا.

أما سنة ١٩٦٧م فشهدت تشكيل الوزارة السادسة التي قام برئاستها الشيخ جابر الأحمد الجابر، كما شهدت إنشاء ميناء الشعيبة، وشاركت الكويت بوفد برأسه الشيخ صباح السالم الصباح من أجل حضور مؤتمر القمة العربي الذي عقد في مدينة الخرطوم السودانية في أعقاب حرب يونيو، وهو المؤتمر الذي عرف باسم مؤتمر اللاءات الثلاث.

أضف إلى ذلك كثيرًا من الفعاليات المشابهة للأعمال التي جرت في السنوات السابقة، وهي وإن كانت مختلفة عنها إلا أنها مشابهة لها من حيث التوجه، والاهتمام بالعمل السريع، وإنتاج ما تحتاجه البلاد من مشروعات مهمة.

وبعد، فإنه مما لا شك فيه أن فترة ستينيات القرن الماضي كانت خصبة. وهي جديرة بأن يكتب عنها الكثير، وقد سبق أن نشرنا في «الأزمنة والأمكنة» عدة مقالات عن السنوات الأولى منها، ونأمل في المتابعة.

****

# النفط عند العرب[1]

لا ينكر أحد أهمية النفط، ودوره في الاقتصاد العالمي، وفي الصناعة بصورة عامة. كما لا ينكر أحد أن النفط مادة قديمة الوجود، قديمة الاكتشاف ولئن كنا نرى في الوقت الحاضر الأعمال المتشعبة الواسعة في المجال النفطي، ونرى حجم الاستثمارات التي تبذل من أجل البحث عن هذه المادة المهمة ومن أجل نقلها وتكريرها، وتحويل المادة الخام منها إلى عدد كبير من المشتقات التي يؤدي كل واحد منها غرضًا من الأغراض المهمة في الصناعة وغيرها. وقد كان العرب من قديم الزمان يعرفون مادة النفط ويستخدمونها في كثير من شؤونهم كما سيأتي فيما بعد.

وفي الكويت كان الشيخ أحمد الجابر الصباح في غاية السعادة وهو يتلقى خبر العثور على النفط في الكويت بكميات تجارية. وصار ينظر إلى الماضي، ويستعرض الجهود التي بذلت في هذا السبيل منذ عهد جده الشيخ مبارك الصباح إلى الوقت الذي تلقى فيه هذا الخبر السعيد، كما صار يتطلع إلى المستقبل الذي سوف تتحول فيه بلاده من حال إلى حال بسبب الثروة التي سيأتي بها النفط بعد أن تجمدت الحياة الاقتصادية بسبب توقف أعمال الغوص على اللؤلؤ. وكانت سعادة الشيخ أحمد الجابر غامرة حين وقف في سنة ١٩٤٦م ليفتح الصمام الذي تدفق منه النفط الخام إلى أول ناقلة نفط وقفت في ميناء الكويت لهذا الغرض.

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٨/١٠/٢٠٠٩م.



منذ سنة ١٩١٣م قام الشيخ مبارك الصباح باتصالات كثيرة مع الخارج بغرض التوصل إلى اكتشاف وإنتاج النفط في البلاد.

ولقد دارت مباحثات بين الشيخ مبارك الصباح، والقنصل البريطاني في الخليج السير بيرسي كاكس بتاريخ السادس والعشرين من شهر أكتوبر لسنة ١٩١٣م حول تصورات لوجود النفط في البلاد، بناء على ملاحظات سطحية لبعض الأماكن التي كان القار فيها يفيض على سطح الأرض مما ينبئ بوجود محتمل للنفط تحت التربة المغطاة بذلك القار. وكان كاكس قد اقترح على الشيخ مبارك استدعاء شخص ينظر في هذا الأمر تمهيدًا لاتخاذ إجراءات أخرى مناسبة تستغل الكويت بموجبها هذه الثروة الدفينة.

وفي شهر فبراير لسنة ١٩١٧م، كان الشيخ سالم المبارك الصباح قد تولى الحكم في البلاد، وبدأ في متابعة ما قام به والده من حيث البحث عن النفط، وكانت له مع الوكيل السياسي البريطاني في الكويت مراسلات حول هذا الموضوع المهم، واستقبل وفودًا لها علاقة بذلك وسهل لهذه الوفود مهمة زيارة الأماكن التي كان المهندسون الأجانب يتوقعون العثور على النفط فيها، وقد توفي الشيخ سالم قبل أن يصل إلى النتيجة المطلوبة.

وفي سنة ١٩٢٢م استأنف الشيخ أحمد الجابر الصباح مسألة البحث عن النفط، ولقد كان الحديث بينه وبين الجانب البريطاني مستمرًا حول استخراج النفط، ويبدو أن الشيخ قد لاحظ تلكؤًا من الجانب الآخر في الشروع بهذا العمل المهم بالنسبة للكويت، فأحب أن يقوم باستثارة هذا الجانب حتى يدفعهم إلى القيام بذلك. وهذا هو ما قد تم بفضل الحكمة التي أدار بها الشيخ هذه المشكلة، حيث قام باتصالات مع شركة تنقيب عن النفط من الشركات التي لم ترشحها الحكومة البريطانية مما أثار ثائرة هذه الحكومة البريطانية وجعلها تسرع في عمليات الاستكشاف.

أول نوع من أنواع المنتجات البترولية عرفته الكويت هو ما نسميه (القاز) وتنطلق هذه القاف في اللهجة جيمًا قاهرية و(القاز) سائل أبيض اللون شفاف له رائحة نفاذة، يستعمل في المواقد، وفي الإنارة قديمًا.

وقد جاء هذا الصنف من الوقود على نطاق ضيق منذ سنة ١٨٨٨م، وكان عدد قليل من الناس يحضرونه من الهند بكميات محدودة عندما يسافرون إلى هناك.

تحدث الأستاذ عبدالله الحاتم عن (القاز) فقال:

«وذكر لي الشيخ يوسف عيسى القناعي أنه كان يأتي إليهم بصفائح، كل صفيحتين في صندوق خشبي، وأن أول من قام باستيراد القاز إلى الكويت هو: «شركة (كري مكنزي) وكان ذلك في عام ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) استوردته من الهند في صفائح من التنك: كل صفيحتين في صندوق خشبي، وهو قاز روسي التقطير والتعبئة، وعلى صنفين من حيث العلامة: صنف يحمل علامة الأسد، والصنف الآخر يحمل علامة الشمس. ثم أخذ «كري مكنزي» في عرض نماذج منه على التجار، الواحد بعد الآخر، معددًا لهم منافعه وأرباحه، ويطلب إليهم الاتفاق معه على بيعه دون غيره. وكان أن رسا الاتفاق على الحاج علي بن الشيخ أحمد العمر، الذي صار فيما بعد الوكيل الوحيد لاستيراد وتصريف هذه المادة التي أخذت في الانتشار بين الأهالي بسرعة، حتى أصبحت من المواد الضرورية اليومية التي لا غنى عنها».

كان هذا هو ما يتعلق بمادة (القاز)، أما البانزين المستعمل في تشغيل السيارات، فقد جاء الى الكويت مع أول سيارة وصلت إلى هنا، وذلك في سنة ١٩١٢م واستمر استعمال مادة البانزين بازدياد مع ازدياد عدد السيارات بأنواعها المختلفة.

ومما ورد فيه ذكر (القار) من الشعر قول جرير من قصيدة يهجو بها الفرزدق ومطلعها:



سمت لي نظرةٌ فرأيتُ برقًا
تُهاميًّا فراجعني ادّكاري
وأيام أتين على المطايا
كأن سمومهنَّ أجيجُ نارِ
كأنَّ على مغابنهنَّ هجرًا
كحيل اللّيثِ او نَبغانِ قارِ

يقول الشاعر: تطلعت في السماء فرأيت برقًا لامعًا من جهة تهامة في جزيرة العرب، فراجعه تذكار أيامه الماضية، وبخاصة تلك الأيام الحارة التي تأتي على المطايا بالسموم الحار الذي كأنه نار تأجج، والسموم معروف في لهجتنا. ثم يصف المطايا فيقول إنها لشدة حرارة الجو، ولإحساسها بالتعب فإن العرق يسيل منها كأنه القار أو أحد أنواعه.

وقال عبدالصمد ابن المعذل لصديق له، قد تولى أمور (النفّاطات) فركبه نوع من الكبر لذلك:

لعمري لقد أظهرتَ تيهًا كأنما
توليتَ للفضل بن مروان عكبرا
وما كنتُ أخشى لو وليت مكانةً
عليَّ أبا العباس تتكبرا
لحفظ عيون النفط أحدثت نخوةً
فكيف به لو كان مسكًا وعنبرًا
دعِ الكِبرَ واستَبقِ التَّواضعَ إنه
قبيحٌ بوالي النفطِ أن يتكبرا

والشاعر ممّن عاش في أيام الدولة العباسية، وأدرك خلافة كلّ من الأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل.

وهو في أبياته هذه يشعرنا بوجود آبار للنفط معروفة في زمنه، وأن الدولة قد عينت لها واليًا مسؤولاً عنها، كما يشعرنا بأن هذه الولاية أقل قيمة من الولايات التي تكون على المدن مثل مدينة عكبر التي كانت توصف بجمالها وما فيها من خيرات.

ولم نعرف اسم الوالي إلا ان كنيته ابوالعباس، ولكن الفضل بن مروان هو كاتب الخليفتين المأمون والمعتصم.

وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة يقول الشاعر انه لم يكن يظن بصاحبه أن يتكبر عليه إذا تولى ولاية من الولايات ولذا فقد خاب ظنه فيه. وهو يراه قد أحدث نخوة لتوليه أمر النفاطات، فكيف لو كان مسؤولاً عن مواضع إنتاج المسك والعنبر من الطيوب. وختامًا ينصحه بالتواضع لأنه قبيح بوالي النفط أن يتكبر.

وفي كتاب «تذكرة أولي الألباب» أورد داود بن عمر الأنطاكي ذكر النفط ثم بين استخداماته المتنوعة في العلاج وفي غيره، وذكر المواضع التي يستخرج منها، أما القار فقد تبين أنه نوع من النفط تطلى به السفن ليمنع تسرب الماء إلى داخلها، وذكر أن له فوائد طبية متعددة ليس هنا مجال تعدادها.

وتكلم عن (الزفت) فأورد عنه حديثًا طويلاً، وذكر أن بعضه مصطنع لا يأتي نتيجة تدفق آبار تحتويه، وذكر له العديد من الفوائد الطبية وإذا كنا قد لاحظنا حرص الأنطاكي على أن يبين فوائد هذه الأنواع الثلاثة من الناحية الطبية فذلك لأن كتابه خاص بالعلاجات المستنبطة من الأعشاب والمواد الطبيعية الأخرى، فلا عجب إن ذكر لنا فوائد النفط ومشتقاته من هذه الناحية.

توفي داود الأنطاكي في سنة ١٥٩٩م.



وشُغل القدماء بتحويل (القطران) إلى نفط، والمعروف أن القطران أكثر سماكه، واستعمالاته محدودة، ولكن النفط مفيد في حالات عديدة، وما ورد عن تحويل بعض المواد إلى نفط في الكتب القديمة غريب لأن من يقرأ بعض ما كتب فيها يستغرب أشد الاستغراب حين يرى المواد المذكورة التي يستعملها من يريد القيام بهذا العمل.

كتب جلال الدين عبدالرحمن السيوطي في كتابه «الرحمة في الطب والحكمة» شيئًا عن ذلك فقال: صنعة النفط: «يؤخذ من دهن الآجر ومحلول الرجيئة والزيت والقطران أجزاء سواء يخلط مع زيت الكتان وجريش الكبيبه وجريش عقد الصنوبر وحمالة الملك وبرادة النحاس وزريعة القطن، وزريعة الفلوين وأفيون ولوبان وفرظ وبزر الفجل وشمع وشحم وقلفونيا مصطكي. فلفل ولبان وزنجبيل وخردل وبزر قرطم ويصير الجميع كالدهن وتستعمل ويطفيه في الخل».

ولاشك في أن بعض المواد المذكورة غير معروفة لنا الآن، وذلك لانقطاعها من الوجود، أو لأن أسماءها قد تغيرت. ولكن هذا هو ما ذكره السيوطي، وهذه هي خلطته العجيبة.

وتحدث ابن منظور عن النفط (مادة نفط) فقال: إنه بكسر النون أفصح، وقال: إن النفط تُطْلَى به الإبل لعلاج الجرب، وذكر أن النفط يستخرج من قعر بئر أو من فجوة في سفح جبل. ويسمى الموقع الذي يتوافر فيه النفط: نفاطة.

وتحدث أيضًا عن القار وذكر أنه بلفظين هما القير والقار وكلاهما مستعمل في لهجتنا.

ومما ذكره في هذا الخصوص (الزفت) فقال: إن الزفت هو القار، وهذا اللفظ دخل الى اللهجة الكويتية في منتصف الخمسينيات عندما أتت الشركات المختلفة من الخارج وبدأت في رصف الطرق بالزفت.

أما الكحيل (على لفظ التصغير) فقد ذكر أنه النفط، والقطران مثله.

من أبيات الشاعر عبدالصمد بن المعذل عرفنا كيف كان الأولون يحصلون على النفط. وإذا كان شاعرنا هذا يتحدث عن موضع بعينه فإن في بلاد العرب الكثير من المواضيع التي يتفاعل النفط تحت أديمها، ثم يندفع على شكل مستنقعات صغيرة. وقد وُصفت أماكن كثيرة يستمد منها الناس حاجتهم من النفط أو كما يسمونه أحيانًا (القطران)، وكان من أهم استعمالاته عندهم علاج الإبل الجرباء، والإنارة، والاستخدام الحربي عن طريق تسديد خرق مبللة به ومشتعلة تمامًا على الأعداء مما يسبب دحرهم والانتصار عليهم.

وقد ذكرنا أنه في الكويت خلال أيام حكم الشيخ مبارك الصباح وعلى التحديد في سنة ١٩١٣م لفت الأنظار وجود هذه الظاهرة النفطية في عدد من الأماكن في طول البلاد وعرضها، وقد اهتم الشيخ بهذا الأمر وسعى إلى إيجاد السبل الكفيلة بالتوصل إلى استخراج هذه المادة من باطن الأرض العميق والاستفادة منه تجاريًا بدلًا من تركه على سطح الأرض لا يستفاد منه بشيء إلا في أقل القليل. وقد طرح الشيخ مبارك الكبير على البريطانيين إمكان الاستفادة من هذا المورد الجديد للبلاد، وجاء عدد من الخبراء لهذا الغرض كما ذكرنا فيما سلف، ودارت عجلة البحث والاستقصاء الى أن نعمت الكويت بهذه النعمة ابتداء من سنة ١٩٤٦م، وهي السنة التي تم فيها تصدير أول شحنة من النفط الخام يتم إنتاجها من حقول النفط الكويتية.

ولقد بحث خبراء النفط الأجانب في كافة أرجاء الكويت، في أماكن معينة أملًا في العثور على ضالتهم، ولم يكن بحثهم في هذه الأماكن جزافًا فقد دلهم عليها عدد من الرجال الذين انتدبهم الشيخ مبارك الصباح، وهم بدورهم ذهبوا بالخبراء إلى الأماكن التي يبدو النفط في ظاهرها كما ذكرنا، ومن هذا الظاهر استدلوا على ما يمكن أن يوجد في باطن الأرض وظلوا في بحثهم إلى النهاية السارة.

هذه لمحة، ولكن الحديث عن النفط طويل جدًا.

****



## الشاعر لبيد بن ربيعة والشاعر عبدالله الفرج[1]

لا تستغرب من جمعي بين هذين الشاعرين، وبخاصة أن الأول منهما عاش في وقت بعيد جدًّا عن الوقت الذي عاش فيه الثاني. وأن شعر لبيد عربيٌّ فصيح وشعر عبدالله الفرج على الأكثر نبطي يعتمد اللهجة العامية الدارجة، وإن كانت له بعض القصائد التي نظمها بالفصحى.

وعبدالله الفرج فنان متعدد المواهب، متنوع الأشكال الشعرية، له في كافة البنى منها تجارب وإنجازات، وهو خالد الذكر في مجال الموسيقى ولايزال الناس يرددون ما قاله، وهو جميل الخط، ورسام له رسوم تعجب الناظرين إليها.

ولد الشاعر في الكويت سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٦م) ونشأ في مدينة بومباي الهندية حيث كان والده يعيش هناك مشتغلاً بالتجارة، وقد عاش الابن مرفهًا مدللاً لأنه كان وحيد أبويه، وتلقى دروسه في المدارس الهندية بينما حرص والده على تعليمه اللغة العربية على أيدي متخصصين بها. وعلى الرغم من أنه كان متقدمًا في دراسته إلا أنه هوي دراسة الشعر والموسيقى واتجه إليهما، وحين توفي والده في سنة ١٢٧٠هـ (١٨٥٣م) بدد الابن الثروة العظيمة التي جاءته دون كدٍّ ولا جهد، وصرفه ميله إلى متع الحياة عن تنمية تلك الثروة فضاعت في فترة قصيرة، مما حدا به إلى العودة إلى وطنه الكويت، والإقامة فيه إلى حين وفاته في سنة ١٩٠١م.

ويقول عنه الأديب خالد الفرج في مقدمة ديوان الشاعر عبدالله الفرج: «نشأ الشاعر (عبدالله الفرج) في الهند فتأثر بموسيقاها إلى حد كبير لأنه تعلمها

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/١١/٤م.

على أساتذة الموسيقى هناك. ورأيت في مخلفاته كتابًا للألحان مكتوبة بالنوتة وعليها تعليقات بخطه ما يدل على تضلعه في هذا الفن، وكان الغناء العربي عند أهل السواحل متأثرًا إلى حد بعيد بالألحان العدنية وهي متأثرة بصبغة من النغم السوداني والأفريقي فهذبها ومزجها بالأنغام الهندية فلحن ألحان الخليج العربي التي لاتزال ترددها محطات الإذاعة. وفي بعض ألحانه يظهر النغم الهندي بارزا في مثل قصائد البهاء زهير (ملك الغرام عنانيه) وغيرها، وساهم إلى حد كبير في تلطيف ألحان الفنون الكويتية المعروفة باللعبونيات نسبة إلى الشاعر محمد بن لعبون الذي ولد الشاعر بعد وفاته بخمس سنوات».

هذا وشاعرنا الفرج ذو شعر غزير، كثير التنوع يقرأ القارئ القصيدة من قصائده فيجد المتعة المعنوية والمتعة اللفظية، ففي شعره دائمًا نجد الجديد الجميل على الرغم من قدم ذلك الشعر، وعلى الرغم من أنه قيل في زمن له لغته، وله أسلوب الحياة الخاصة به، ومن قصائده ما يذكرنا بالشعر الجاهلي العريق من حيث التناول والسبك والأغراض حتى ولو كانت اللغة المستعملة هي اللغة الدارجة بين الناس في الوقت الحاضر. نراه يقف في بعض قصائده على الأطلال كما يفعل الشعراء الأقدمون، ونراه يبكي الديار الخالية التي عفى عليها الزمن، وغيَّرتها الرياح والأمطار حتى صارت أثرًا بعد عين. وصارت خالية بعد أن كانت تعجُّ بسكانها، ولم يبقَ منها إلا ما وصفه الشاعر القديم طرفة بن العبد من قبله بقوله عن شبيه بهذه الديار: «تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد».

والقصيدة التي نشير إليها هنا من شعر عبدالله الفرج هي التي يقول في مطلعها:

**هل الدارُ إلا خافيات رسومها**

**وهل شاخصٌ في الحيِّ إلا رسومها**



أما لبيد بن ربيعة العامري فهو شاعر من كبار الشعراء العرب، وهو من مخضرمي الجاهلية والاسلام، ويكفي لإثبات مكانته أن يكون من شعراء المعلقات المعروفين ومعلقته التي سوف نتحدث عنها فيما بعد ذات مستوى عال من حيث المعاني والألفاظ، ومن حيث الصور الخيالية الجميلة التي تحتوي عليها. وقد وفد هذا الشاعر على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ظهر الاسلام، وأسلم هو وجماعة من قومه، وكانت أيام حياته الأخيرة في مدينة الكوفة، وبها توفي وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة. ولم يقل شعرًا منذ أسلم إلا بيتًا واحدًا هو قوله:

**الحمدلله إذ لم يأتني أجلي**

**حتى كساني من الاسلام إلا سربالا**

ومن هذا ما جرى بينه وبين سيدنا عمر بن الخطاب الذي سأله أن ينشده شيئًا من شعره، فقال: ما كنت لأقول شعرًا بعد أن علمني الله سورة البقرة.

كان لبيد بن ربيعة كريمًا، يطعم الطعام، ويغيث الملهوف، وكانت له في شعره حكم بليغه، وله تصاوير جيدة، ومعان تدفع الناس إلى متابعة شعره.

والقصيدة التي تهمنا الإشارة إليها، هي معلقته المعروفة التي تبدأ بقوله:

**عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها**

**بمنًى تأبَّدَ غولُها فرِجامُها**

وسوف نعرضها عرضًا كاملاً فيما يلي:

وقبل أن نصل إلى هذا تجدر بنا الإشارة إلى أن هذا الشاعر، وقد عاش مدة طويلة من العمر، قد مرت به أحداث كثيرة في الجاهلية وفي الإسلام ولعل من أفضل ما نجده عنه ما كتبه أبوبكر محمد بن القاسم الأنباري في كتابه «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» الذي أورد فيه جميع المعلقات من القصائد،

وشرحها شرحًا وافيًا مبتدئًا بالحديث عن كل شاعر قبل أن يورد معلقته، وعندما تحدث عن معلقة لبيد بن ربيعة العامري أورد الكثير عن حياته وما جرى له فيها، ثم أخذ في عرض الأبيات وشرحها. والكتاب من تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون المعروف بدقته في تحقيق التراث وفهرسته. وهو من نشر سلسلة «ذخائر العرب» التي تصدرها دار المعارف بمصر. وقد صدر في سنة ١٩٦٣م.

القصيدة (المعلقة) طويلة كما هي صفة المعلقات، وقد بدأها لبيد بوصف أطلال المنازل الدارسة، ثم تحدث عن الأمطار التي هطلت على ساحتها، فكشفت عنها مما جعل الشاعر يقف أمامها متسائلاً عن حالها الماضي، وما آلت إليها أمورها بعد زمن مضى، ومن هنا بدأ في وصف الموقع بعد خُلوه من أهله الذين كانت تربطهم بالشاعر علاقة متينة، لم يزعزعها مرور الوقت، ثم بدأ يتذكر أيامه معهم، ويتذكر يوم رحيلهم عن المكان.

وبعد ذلك أحس بشيء من اليأس جعله يوصي نفسه بقطع الصلة مع هذا الموقع، والرحيل على متن ناقة قوية يقطع بها الفيافي. وقد استمر في وصف هذه الرحلة بما يقرب من ستة عشر بيتًا.

ثم وصف هذه الناقة التي تجوب البيداء بسرعة فائقة وشبهها ببقرة وحشية أكل السبع ولدها فهي مذعورة مسرعة في جريها خوفًا من أن ينالها ما نال ولدها. واستمر في مقارنة حركة الناقة بحركة الوحشية في تسعة عشر بيتًا، انتقل بعدها إلى وصف نفسه لصاحبته، وقد تحدث كثيرًا في هذا الموضوع وذكر كرمه وحسن صفاته وافتخر بنفسه، وقدم النصح الذي أنهى به هذه المعلقة المتقنة، التي وصف بها لبيد بن ربيعة حاله وعلاقاته ومشاهداته.



أما شاعرنا عبدالله محمد الفرج فقد كانت قصيدته أقصر في عدد الأبيات من قصيدة لبيد، ولكنها قريبة الروح منها. وأدعي أنهما لا تتطابقان في الناحية العروضية ولكنهما تتشابهان كثيرًا حيث إن قصيدة الفرج أقرب إلى بحر الطويل الذي جاءت على منواله قصيدة لبيد، وقصيدة الفرج لم يتطرق فيها إلى كل ما تطرق إليه لبيد، ولكنه وصف الأطلال بعد رحيل من كان ساكنًا فيها، وبكى عليها وبين سبب بكائه، وتحدث عن القافلة المغادرة التي أقلت من يحب. وبعد أن فاض به الحنين إلى أيامه الماضية، ووجد أن المكان خال من محبوبته، لم ير أمامه إلا أن يرسل رسالة إليهم فانتدب شخصًا ماهرًا ثقة وأوصاه بأن يسير برسالته على ناقة وصفها له، ثم ذكر فحوى الرسالة في آخر القصيدة.

وهناك فرق بين الشاعرين في الحديث عن المطر المنهمر على تلك الأطلال، وذلك أن لبيد بن ربيعة يدعو لها بالمطر فيقول:

رُزِقَتْ مرابيعَ النجومِ وصابَها
وَدْقُ الرَّواعدِ جَوْدُها ورِهامُها
من كلِّ ساريةٍ وغادٍ مُدجِنٍ
وعشيَّةٍ مُتَجاوِبٍ إرزامُها

يتمنى لتلك الأرض مطرًا غزيرًا، ومرابيع النجوم هي أول الأمطار عندما يحين موسمها «الوسم»، وقوله: صابها، يعني نزل عليها، والرواعد هي السحب والودق هو الداني من الأرض من السحب.

والسارية في البيت الثاني هي السحابة عندما تأتي ليلاً، وغاد يأتي في الغداة، ومدجن معناها: مظلم، لشدة تراكمه. والأرزام هو الصوت التي تحدثه حالة المطر والرياح التي تدفع السحب.

وفي هذا الموقف يقول عبدالله الفرج:

غدتْ ديمةُ تهمي عليها ملثَّة
أسابيع والشرقي محكم ركومها
ولا قوَّضتْ إلا وهي من ربابها
سباريت، والغدران طامي يمومها

لقد بدأ قبل هذين البيتين بقوله أن هذه المنازل درست، ولم يبق منها إلا أطلال خالية تلوح في ساحاتها كما يلوح الوشم في يد العذراء، أو أن بقاياها تلوح من بعيد كأنها جثة قد أزال عنها الطير والذئب ما كان عليها من لحم. ويؤكد أن معاودة الرياح عليها، وأن المطر الذي اجتمع فوقها في مواسمه، ومنه تلك الديمة التي ظلت تنهمر عليها بشكل مستمر ولمدة أسابيع، والغيوم التي اجتمعت فوقها، وقد أحكمت تراكمها الرياح الشرقية أدت كلها إلى أن تؤول هذه الدار إلى ما كانت عليه.

عواف تلوح اطلالها في عراصها
كما لاح بكفوف العذارى وشومها
تلوح بقاياها كما وصف رمة
نحا الطير والسرحان عنها لحومها

وغني عن البيان أن نقول أن حديث عبدالله الفرج عن الوشم يذكرنا بقول الشاعر القديم طرفة بن العبد:

لخولةَ أطلالٌ ببرقةِ ثهمدِ
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

وفي موقف من مواقف لبيد في معلقته يطلب من صاحبه أن يقطع أمله ممن تعرض له بالوصل دون أن يكون صادقًا في ذلك، ثم يقول: أما من يحمل إليك الجزيل فاهده الجزيل كما يفعل ولا تعجل بقطع علاقتك به، وواصله باللقاء



عندما تركب إليه ناقتك التي ملت من الأسفار، وانحسر لحمها من طول الرحيل في البيداء، ومع شدة ما تعانيه من أسفارها فإن لها في مسيرها هياجًا ونشاطًا كأنها الريح الشديدة أو كأنها:

مشمولةٍ غُلبتْ بنابتِ عرفجٍ
كدخانِ نارٍ ساطعٍ أسنامُها

فهو يقول: كأنها نار أصابتها ريح الشمال فكان ذلك من أسباب اشتعالها بالعرفج الغض.

ومن هنا ينتقل إلى وضع آخر.

أما عبدالله الفرج فله حديث عن رحلة الناقة التي يصفها أطول من حديث طرفة، فهو يقول:

ألا يا نديمي من تخيرت جملة
من الناس حيثك نقوني من فرومها
قم اليوم وانهض لي على قطع لابة
من اللوب ما هي لابة ما تزومها
على هوجل كالنيق ياما تعرضت
بالأقفار غبات وقامت تعومها
إلى روّحت مع لابة ثم قوطرت
على منسم يقدح بحصبا حزومها
حسبت أنها فتخا الجنا حين لقوه
رفوف من العقبان حُومى تزومها
تبوج الفلا أو (من سفين ابن يامن)
على لجة عودية طال دومها

(يفرج حباب الماي حيزومها بها)

كما وصَف عوام عليها يعومها

أمون على قطع التنايف تسوقها

غزوم كما ساق السفينه يهومها

ولا تحسب ان القيظ حامي هجيره

إلى وافق الجوزا يذوّب شحومها

على السير دعها للتنايف بخفها

تتر الحصا فيها وتزبد لغومها

ينادي الشاعر صاحبه الذي تخيره من بين جملة من الناس وانتقاه لأنه من المقدمين فيهم، ويقول لهذا الصاحب: قم في هذا اليوم، وأعد نفسك لقطع مفازة مهلكة، في صحراء قاحلة، ولكنك قادر على اجتيازها (ما هي لابة ما تزومها) وذلك على ناقة شديدة تشبه النعامة الضخمة كم من مرة تعرضت للسير في القفار، وخاضت في رمالها، وكأنها تعوم في بحر. وإذا سارت في الصحراء المقفرة، ثم استمرت في سيرها على أخفافها التي تقدح الشرر من حصباء حزوم تلك الصحراء (أي تلالها الصخرية)، يقول: إذا رأيتها على هذه الحالة حسبتها عُقابًا لينة الجناحين (فتخاء) لسهولة تحركهما من أجل الإسراع إلى الهدف، وقد حامت حول هذا العُقَاب رفوف أخرى من العِقْبان تدفعه بحركتها السريعة من خلفه ليسرع.

إنها تقطع الفلا، كأنها ذلك العُقَاب أو كأنها سفينة من سفن ابن يامن المشهورة في الشعر العربي كما سيأتي، وهي تسير على لجة من البحر ذات موج عال، وأعماق غزيرة.



ويمضي في حديثه عن السفينة التي شبّه بها الناقة قائلاً: إن صدرها يشق ماء البحر بأمواجه ويضرب فقاعات الزبد المتناثرة فوقه بسبب تلك الأمواج، فهي تشبه شخصًا يعوم فوق الماء، إنها ناقة مأمونة، يوثق بها عند السفر البعيد لقدرتها وقوتها، وعدم الخشية من تعرضها للضعف وعدم إمكان مواصلة السير، تستطيع قطع الصحراوات الموحشة دون كلل، يدفعها ريح ملائم، بل إنها لا تعير بالها إلى الصيف وقد زادت حرارته عند ظهور الجوزاء فهو يذيب الشحم، ويدفع بالإبل إلى الهزال.

إنها قادرة على السير فدعها تقطع هذه القفار بأخفافها التي تدفع بها الحصى، وهي تدفع بالزبد من فمها لشدة ما تبذله من جهد.

وقوله «تتر الحصى» شبيه بقول امرئ القيس:

كأنّ الحصى من خلفِها وأمامِها

إذا نَجَلَتْهُ رجلُها حذفُ أعسَرا

لاحظ هنا عودة الفرج إلى إثبات تأثره بالشاعر طرفة بن العبد، فهو إضافة إلى البيت الذي أشرنا إليه فيما سبق يورد ما يشبه قول الأول:

عدوليَّةٌ او من سفين ابن يامنٍ

يجورُ بها الملاحُ طورًا ويهتدي

يشقُّ عبابَ الماء حيزومُها بها

كما قسَمَ التُّربَ المفايلُ باليد

وهنا نكون قد انهينا المقارنة بين الشاعرين في قصيدتيهما، وإن لم نكن قد أحطنا بهما إحاطة تامة لأن المجال يضيق عن ذلك، فتم الاكتفاء بما يدل على ما نعنيه من حيث العلاقة الشعرية بين القديم والحديث.

ولعل مما رأينا ذكره هنا هو مدى إلمام شاعرنا عبدالله الفرج بلغته الفصحى، ومدى اطلاعه على الشعر القديم ولا سيما الجاهلي منه. ولعل من الجدير بالذكر أن هذا الذي وصفه في قصيدته من مكان وأطلال ومسير قافلة، وغير ذلك إنما هو أمر متخيل عنده لأن من الواضح أن أسلوب حياته كان بعيدًا عن العيش في أجواء قصيدته مما يدلنا على أنه بعد أن قرأ معلقة لبيد بن ربيعة أحب أن يقدم قصيدة مشابهة لها وإن لم تكن في طولها ولا في لغتها الفصحى فكان له ما أراد. وبالنسبة للشعر النبطي فقد جاءت قصيدة الفرج رائعة تدل على مستواه وتمكنه من هذا النوع من الشعر.

****



## العلاقات الكويتية العُمانية القديمة[1]

عُمان اليوم تختلف كليًّا عن عُمان الأمس، فالتطورات التي حدثت في هذه السلطنة العزيزة على قلوبنا منذ تولى السلطان قابوس بن سعيد الحكم فيها في اليوم الثالث والعشرين من شهر يوليو لسنة ١٩٧٠م كثيرة وكبيرة، ولقد تسارعت فيها الأعمال في مختلف المجالات واتسعت الخدمات الخاصة بالصحة والتعليم إضافة إلى الاهتمام بزيادة الناتج القومي عن طريق العناية بالزراعة والاستثمار المالي والاستفادة من مجالات السياحة وغير ذلك.

ومن هذا المنطلق صارت سلطنة عمان حريصة على أن تكون منفتحة على دول الخليج بصفة خاصة، ولا سيما بعد الخطوات الكثيرة التي تمت بين هذه الدول في سبيل توحيد الصف وتقريب الكلمة.

ولقد كانت الرحلة التي قام بها سمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح في أواخر سنة ١٩٧٨م، وكان وليًّا للعهد رئيسًا لمجلس الوزراء الكويتي، رحلة ذات نتائج مدهشة عبرت تعبيرًا صادقًا عن طبيعة الروابط التي تجمع الأسرة الخليجية. وقد كانت عمان ضمن الدول التي زارها الشيخ في رحلته هذه. وصدر عنها بيان ختامي أشار إلى أن الطرفين الكويتي والعماني استعرضا الأوضاع الخليجية، وعبرا عن الحاجة إلى تحرك سريع تتضافر فيه الجهود من أجل الوصول بالمنطقة إلى وحدة تحتمها الروابط الدينية والقومية، وتحوم حولها أماني الشعوب في التقدم والرفاه.

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/١١/١١م.

هذا مدخل إلى مقال اليوم من «الأزمنة والأمكنة» الذي سوف نجد فيه أن حبل الود بين البلدين الشقيقين متين جدًّا، وأن الأخوة بين الشعبين تؤكدها عرى لن تنفصم مع مرور الزمان، ومن هنا البداية:

الأستاذ عبدالله الطائي أديب وكاتب وشاعر ولد في سنة ١٩٢٤م وتوفي في سنة ١٩٧٣م، كان نشطًا في مجال الكتابة وله ديوان شعري أصدره تحت عنوان «الفجر الزاحف»، بدأ حياة الترحال للدراسة وتكوين النفس والعمل، وتنقل بين بلدان شتى منها الكويت التي أقام بها منذ سنة ١٩٥٩م حتى سنة ١٩٦٨م، وانتهى الأمر به إلى العودة من حيث أتى فعاد إلى عمان في سنة ١٩٧٠م.

لعبدالله الطائي تنوع كبير في الإنتاج، فهو إلى جانب الشعر يكتب الرواية والقصة القصيرة والمسرحية والمقالة والسيرة الذاتية.

بدأت أعرف هذا الرجل النبيل في وقت مبكر من حياتي ولم ألتق به إلا فيما بعد، كان ينشر المقالات في عدد من المجلات مما جعلني أطلع على كتاباته وأفكاره وأتمنى معرفته والتحدث معه، وقد تحقق لي ذلك حين بدأت العمل في وزارة الإرشاد والأنباء (الإعلام حاليًا) فقد كان يعمل بها في ذلك الوقت، وتم اللقاء بيننا، وصارت صداقة لم تنقطع طوال وجوده في الكويت على الرغم من أنني انتقلت من الوزارة التي كان يعمل فيها إلى وزارة أخرى. وأنا في أشد الأسف أنني لم أتمكن من الاستمرار في الاتصال به بعد أن انتقل إلى خارج الكويت وإن كنت ألتقي به بين حين وآخر عندما يأخذه الحنين إلى هذه البلاد فيزورها متذكرًا لخلانه، أو مشاركًا لأحد الوفود القادمة إليها.

كنت أنوي أن أكتب مقالًا من مقالات «الأزمنة والأمكنة» عن حياته وأدبه، ولكنني وجدت أحد الأدباء وهو الدكتور محسن الكندي قد كتب عنه كتابًا جديدًا وافيًا بالغرض نشرته رابطة الأدباء عندنا. والكاتب يعلن في بداية كتابه أن أصل



هذا البحث كان رسالة للماجستير قدمها في رحاب جامعة السلطان قابوس ونال الدرجة عليها. وقد وجدت أن ما قام به الكاتب، وما عملته الرابطة يكفي فتوقفت إلى أن وجدت نفسي الآن ملزمًا بالإشارة إلى صاحبي المرحوم عبدالله محمد الطائي، وذلك لسبب سوف يأتي قريبًا.

ذلك أنني وجدت من آثار الطائي أثرًا له قيمته الأدبية والتاريخية هو روايته: «الشراع الكبير» التي صدرت طبعتها الأولى في سنة ١٩٨١م وهي تتحدث عن المنطقة الممتدة من رأس الخليج إلى نهاية حدود الكويت، وقد وضع لها عند صفحة الغلاف عبارة ملفتة تقول: «عرب البحر العربي يهنئون عمان بانتصارها على البرتغال».

وهذه الرواية كما يقول مؤلف الكتاب الذي أشرنا إليه: «رواية تاريخية تتحدث عن كفاح الخليج العربي ضد المستعمر البرتغالي في القرن السادس عشر، مستلهمة أهداف الوحدة والتكاتف، والثورة على الاستعمار، وقد كتبها ما بين عامي: ١٩٦٩م و١٩٧١م وتولى أبناؤه طباعتها من بعده».

وإذا علمنا أن الأحداث الواردة في رواية عبدالله الطائي قد تمت في القرن السادس عشر كما ذكر مؤلف الكتاب الذي أشرنا إليه فيما سبق، فما علينا إلا إلقاء نظرة على ما ورد فيها مما له علاقة بالكويت أو القرين بحسب المسمَّى القديم للبلاد.

كانت هجمة البرتغاليين على المنطقة وعلى عمان بالذات شرسة وشديدة، ولكن أبناء هذه البلاد لم يرضخوا للذل الذي يفرضه عليهم الغزاة، فبدأ عندهم التحرك إلى المقاومة، واشتعلت شرارة الثورة وكان التنظيم لها دقيقًا، والرجال الذين يعملون على تأجيجها أقوياء وأذكياء. وقد وزعوا العمل فيما بينهم وأرسلوا

رسلهم إلى مختلف مدن الخليج العربي طلبًا للدعم الذي بدونه تصعب عملية التحرر، وذلك لقوة العدو وكثرة عَدَده وعتاده. وهنا ترد العبارة التالية على لسان أحد أبطال الرواية:

- «أجل كلنا عمانيون، ولكن تذكروا أن المعركة تقوم على الشراع الكبير، شراع السفينة التي تمتد من مسقط وتنتهي بالقرين».

ويسأل سائل:

- القرين؟ وأين القرين؟

ثم يتدارك:

- «نعم نعم عرفتها... تعودنا معشر التجار أن نأوي إليها إن نشبت أخطار أو حروب في البصرة... وعلى مقربة منها كاظمة...»

وفي مجال الاتصالات الممهدة للثورة يقول أحدهم:

- «إن رسلنا تحركت إلى الموانئ العمانية، وإن فريقًا آخر قد سافر إلى البحرين والقرين...».

ثم نجد أحدهم يبشر قائده «بتجاوب أهالي القرين وكاظمة».

وفي مرحلة سابقة، يتحدث أحد قادة ثورة عمان ضد البرتغاليين المعتدين عن الدعم الذي حصلوا عليه أو هو جزء من الدعم نتيجة التحركات التي قاموا بها فيقول:

«نجاح كبير لنا جميعًا... ستصل إليكم أربع سفن تنضم إلى أسطولكم، وبالإضافة إلى ذلك فقد أحضرت من القرين والبحرين وقطر وجلفار ودبي وليوا ومن القبائل العربية بساحل فارس مبلغًا قدره خمسة لكوك محمدية. ثم يحدد الجهات المرسلة للسفن فيذكر أن القرين قد أرسلت سفينة منها.



وهنا ملاحظات لا بد من ذكرها:

أولاً: مدى العلاقات القائمة بين أبناء المنطقة وحرصهم على التآزر والتكاتف.

ثانيًا: ذكر القرين أحيانًا بدون (ال) التعريف ولا ندري لماذا لجأ إلى ذلك؟

ثالثًا: اللك يساوي: مائة ألف، وخمسة لكوك تساوي خمسمائة ألف، والمحمدي نقد ذهبي قديم.

رابعًا: نحن نرى أن الكويت نشأت منذ كان اسمها (القرين) في سنة ١٦١٣م، وهذه الأحداث كما رأينا تمت في القرن السادس عشر، فهل هناك ما يدل على وجود مدة سابقة على سنة ١٦١٣م حيث نشأت (القرين) التي تتحدث عنها الرواية.

خامسًا: بحثت عن مصدر أرجع إليه في هذا الموضوع، ولكنني للأسف الشديد لم أصل إلى شيء فهل تتكرم وزارة التراث القومي العمانية بدراسة هذه المسألة وتحقيقها تاريخيًا بمطابقتها على ما قد تجده من مراجع بين يديها؟

سادسًا: أنا لا أشُكُّ في أن صاحبي قد كتب ما كتب عن تاريخ هذه الفترة وبخاصة ما يتعلق منه بالقرين اعتباطًا دون دليل، وقد جاء دور البحث عن تاريخ هذه الفترة وهي من الفترات المهمة التي تمر بمنطقتنا وأظن أنه لا بد من وجود بقايا المأثورات التي تركها رجال الثورة ففيها الكثير من المعلومات القيمة.

سابعًا: استشهد الراوي لكاظمة ببيتين من الشعر هما:

يا نسيمَ الصُبحِ من كاظمةٍ
شدَّ ما هِجْتَ الجوى والبُرَحا
الصَبا إنْ كان لا بدَّ الصَبا
إنَّها كانت لِقلبي أرْوَحا

ونسبهما إلى الشاعر بشار بن برد، وهما في الحقيقة للشاعر مهيار الديلمي (ديوانه ج ص٢٠٢).

وإضافة إلى ما ذكرنا فإن الرواية تشير إلى أن أحد أبناء القرين كان يقيم في عدن، وأبلغ الثوار بأن البرتغاليين قد أعدوا سفينتين حربيتين مسلحتين بأسلحة شديدة الأثر بقصد إرسالهما إلى عمان. وقد أفاد هذا الخبر الثوار كثيرًا في أخذ جانب الحيطة قبل وقوع المحظور.

وتشير الرواية أيضًا إلى أن عددًا من الوفود قد جاءوا من مختلف البلاد ومنها القرين للتهنئة بالانتصار الكبير على المحتلين.

وذكر عبدالله الطائي أن البرتغاليين قد سلموا القلعتين اللتين تحت أيديهم في اليوم الثامن والعشرين من شهر يناير لسنة ١٦٤٩م. ومرة أخرى نثير موضوعًا سبق لنا ذكره وهو ما قاله مؤلف الكتاب من أن هذه الأحداث قد تمت في القرن السادس عشر مما أوجد لدينا تساؤلات عن تاريخ نشأة الكويت، ولكن الطائي يوضح بجلاء التاريخ وهو في القرن السابع عشر، فهل كان ما يقصده المؤلف هو فترة الاستعداد الطويلة التي هيأت الظروف للمحاربين؟ إذا كان الأمر كذلك فإن الاستفهام الذي قدمناه لا يزال قائمًا، نأمل أن نتوصل إلى إجابة عنه.

استقرت الأمور بعد ذلك، وسارت عمان في طريقها الذي رسمه لها أبناؤها، ولكننا لم نلمس الكثير عن العلاقات الكويتية العمانية بعد تلك الفترة التي تحدثنا عنها من واقع رواية الشراع الكبير الذي كتبها الأستاذ عبدالله الطائي.

ولكن علاقات أبناء الكويت بأبناء عمان استمرت فيما بعد ذلك الزمن على قوتها، ولم تتأثر بتوقف الاتصالات على مستوى الحكومتين، فقد كان العمل في البحر من أهم الروابط التي كانت تربط أبناء هذه المنطقة ببعضها، وكان عدد كبير



من أبناء عمان يعملون في البحر منهم من يمتلك السفن ومنهم من يمتلك رأس المال ومنهم من يعمل في تلك السفن كسبًا للعيش. وكانوا يلتقون دائمًا مع إخوانهم الكويتيين الذي كانوا يقومون بالعمل نفسه، تتم اللقاءات في الموانئ المختلفة على امتداد بحر العرب، وتتم بالتبادل التجاري بينهم، ولذا فإن عددًا منهم، وبخاصة كبار السن من الكويتيين والعمانيين يتذكرون تلك اللقاءات ويشيدون بالعلاقات الطيبة التي كانت سائدة بينهم، ولاشك في أنها البذرة التي لاتزال تعطي أكلها كل حين مودة بين الجميع وحرصًا على إدامة الروابط.

كانت علاقة الشيخ مبارك الصباح بعمان قوية جدًّا، وكان يستورد السلاح للكويت عن طريقها، إضافة إلى ذلك فإنه يقدر سلطان عمان في وقته السيد برغش ولا يريد لأحد ربابنة السفن أن يتجاوز ما يقرره السلطان في بلده ولذلك فإن الشيخ مبارك تلقى طلب بعض الربابنة الكويتيين الذين قالوا له: إننا نلتمس السماح لنا بنقل أي حمولات تتاح من مسقط إلى الباطنة أو صحار ضمن عمان، فقال لهم: «إنه لا مانع بشرط أن يكتب لكم السيد برغش (سلطان عمان آنذاك) ورقة يرخص لكم فيها بذلك، وأن تقوموا بعملكم علانية لا سرًا».

هذا وفي الوثائق البريطانية التي كانت محفوظة في الوكالة السياسية البريطانية في الكويت الكثير من الأمور التي تدل على الصلات القوية بين الكويت وعمان، وعلى الاحترام المتبادل بين عاهليهما. وهي تدل أيضًا على أن عمان كانت مصدرًا مهمًّا من مصادر السلاح في المنطقة وكان الشيخ مبارك يغطي حاجته منه عن طريق وكيل له مقيم في مسقط.

وقد كان ذلك يحدث في وقت كانت الحكومة البريطانية تحظر تجارة السلاح، وتمنع نقله من مكان لآخر بين بلدان الخليج العربي، ولكن الشيخ مباركًا كانت له طرقه العجيبة التي يسلكها فيصل إلى ما يريد دون عناء، ودون أن يلفت أنظار

البريطانيين، فهو يرى أن حاجته إلى السلاح مهمة جدًّا للدفاع عن وطنه، وأن البريطانيين إذا أرادوا منع الاتجار به فذلك يكون بين الأفراد لا الحكومات.

وفي فترة الأربعينيات من القرن الماضي اهتم كل من الشيخ أحمد الجابر الصباح والشيخ عبدالله السالم الصباح بإحياء الصلات القديمة، وتعزيز المودة بين البلدين قيادة وشعبًا فقاما بزيارات متعددة لمدينة مسقط وكان ذلك كما يلي:

في اليوم السادس والعشرين من شهر أغسطس لسنة ١٩٤٧م غادر الشيخ أحمد الجابر الصباح الكويت على الباخرة التي كانت مشهورة في ذلك الوقت وهي المعروفة باسم: «دواركا»، وذلك في رحلة طويلة شملت الباكستان والهند وعمان والبحرين، وقد رافق سموه في هذه الرحلة سمو الشيخ جابر الأحمد الجابر وسمو الشيخ صباح الأحمد الجابر وبعض حاشيته.

كانت عودته في اليوم السابع من شهر أكتوبر لسنة ١٩٤٧م حين بدأ التحرك من كراتشي، ولكنه مر بمسقط تلبية لدعوة من سلطانها، وكان الشيخ أحمد الجابر سعيدًا بهذه الزيارة التي أحيت الصلات بين البلدين والعاهلين.

وكان الشيخ عبدالله السالم محبًّا لعمان كثير التردد على مسقط، وقد كان يقضي فيها أيامًا يرتاح خلالها، حين بلغه خبر وفاة الشيخ أحمد الجابر الصباح في اليوم التاسع والعشرين من شهر يناير لسنة ١٩٥٠م. وقد غادر إلى الكويت على عجل ولكنه لم يصل إلا بعد أن ووري ابن عمه التراب فزار قبره فور نزوله من الباخرة ثم استقبل المعزين.

وبعد ذلك اجتمع بأفراد الأسرة الحاكمة، وتحدث إليهم حديث الأب الرحيم، وحثهم على التآلف والتعاون، ومحبة الوطن والحرص على مصالحه.



وفي الحادي والثلاثين من شهر يناير لسنة ١٩٥٠م أبلغ الشيخ عبدالله السالم المعتمد السياسي البريطاني في الكويت بموجب رسالة منه بما يلي: «بينما كنت في عرض البحر تلقيت بمزيد الأسى والأسف نبأ نعي المغفور له صاحب السمو سيدي الأخ الشيخ أحمد الجابر الصباح، فتكدرت جد الكدر لهذا النبأ المفاجئ، ولكن هذا هو المصير المنطقي للحياة.

والآن وقد وصلت إلى الوطن أبلغكم بأنني تسلمت زمام الحكم في البلاد».

ومن أدباء الكويت الذين اهتموا بالكتابة عن عمان تاريخًا وقبائل وجماعات المرحوم عبدالله العلي الصانع الذي أمضى فترة من حياته في عمان وما جاورها، وكان محبًّا لهذه المنطقة بأسرها، وكتب عدة مقالات عنها في مجلة كاظمة التي كان يصدرها الأستاذ أحمد السقاف، ومجلة البعثة. وكانت معلوماته كما هو واضح لقارئها معلومات رجل خبير بالمنطقة وأهلها. ونستطيع أن نقول إن وجوده هناك كان ضمن الأسباب التي أدت إلى تمتين الصلات بين أبناء المنطقة.

هذا التاريخ المشترك الذي جمع المنطقة وأبناءها هو الذي أدى إلى نشوء مجلس التعاون لدول الخليج العربي الذي شاركت في نشأته والارتباط به دول الخليج العربية الست، وكانت أول نقطة ضوء دالة على ذلك هي ما نتج عن اجتماع وزراء خارجية هذه الدول في اليوم الرابع من شهر فبراير لسنة ١٩٨١م، في مدينة الرياض حيث وضعوا الهيكل التنظيمي لبلورة وتطوير التعاون. وقد تبع ذلك اللقاء الأول لملوك وأمراء هذه الدول في أبوظبي للتوقيع على اتفاقية إنشاء المجلس، وبدأ أول لقاء عمل في الرياض في سنة ١٩٨١م وهو اللقاء الثاني للقادة.

كانت الكويت وعمان بالطبع من ضمن أعضاء المجلس وبذلك صارت العلاقات بينهما مستمرة، ولها أهداف متعددة ضمن المجموعة التي يتكون منها مجلس التعاون.

****

## رجال لا ينساهم الوطن:(1)
## الأستاذ عبدالرزاق البصير

منذ عقد الأربعينيات من القرن الماضي، والأستاذ عبدالرزاق البصير يكتب المقالات، ويحضر الندوات، ويشارك في المناقشات، وقد تكوّن له اسم لامع بسبب نشاطه هذا، وبسبب الأفكار التي كان يطرحها في كل ما يشارك به من كتابة أو قول. ولقد عرفته قبل أن يكون لي به اتصال مباشر عن طريق هذا الذي ذكرته عنه، ولكن الفرصة أتيحت لي فالتقيت به في وزارة الإرشاد والأنباء حين انتقلت إليها ولم يكن اسمها آنذاك قد صار (وزارة الإعلام) ذهبت إليه في مكتبة الوزارة التي كان يعمل أمينا لها، وقد وجدت منه الترحيب والاهتمام، وكان سروري بهذا اللقاء كبيرًا وبخاصة وأنه تم بعد قراءتي لما كان يكتبه في الصحف ومتابعة مداخلاته في بعض الندوات. ولقد استمرت العلاقة بيننا بعد ذلك، ولما كنت قد انتقلت في ذلك الوقت إلى العمل في الوزارة التي يعمل بها فقد كانت الفرصة لي متاحة للقائه بصورة دائمة، وزادت وثوقًا حين شكلت لجنة التراث العربي في الوزارة فكنت معه في عضويتها مما أدام الاتصال.

كان الجلوس مع هذا الرجل مفيدًا وممتعًا، تخرج منه وقد حصلت على معلومات كثيرة بسبب كثرة ما يقرأ، وبسبب شدة حبه للعلم وأهله، ومخالطته لغيره من الأدباء والعلماء الذين تحس وأنت تستمع إليه حين يتحدث عنهم بمدى صلته بهم ومعرفته لهم.

---

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ١٨/١١/٢٠٠٩م.



واستمرت علاقتي مع هذا الرجل الطيب أزوره ويزورني، ونتحدث دائمًا بواسطة المسرّة. إلى أن كان ذلك اليوم الذي اتصلت به فوجدته من خلال الحديث قلقًا منزعجًا، وعندما سألته عن ذلك أخبرني أنه ذاهب الآن إلى المستشفى لعمل فحوصات طبية يخشى أن تكون نتائجها غير سارة، فقلت له: حماك الله من كل سوء، وسوف تظهر النتائج لصالحنا جميعًا إن شاء الله. ولكن الأمور جاءت على خلاف ما توقعت، وثبت وجود المرض الخبيث، وفي يوم لاحق أبلغني أنه ذاهب إلى لندن من أجل العلاج فتمنيت له الشفاء، ولم ألبث إلا أياما محدودة حتى اتصلت به فكلمني من فراش مرضه، وكان صوته ضعيفًا على خلاف العادة، إذ يبدو أن المرض اللعين قد بدأ يفتك فتكته، قال لي: إنه يتلقى علاجًا مستمرًا، ولكنه يائس من الشفاء. وآخر كلمة قالها: ادعو لي. ولقد كتبت يوم ذلك كلمة نشرت في إحدى صحفنا ذكرت فيها مآثره ودعوت كل من سمع به إلى الدعاء له، وقلت: إنه لا يريد منكم غير الدعاء.

لقد قضى الله قضاءه بأسرع مما كنت أتصور، فتوفي في سنة ١٩٩٩م، وأصبت بعده باكتئاب شديد حتى أنني لم أستطع الذهاب لتعزية أهله إلا في آخر يوم لهم في جلستهم التي كان الحزن مخيمًا عليها مثلما كان مخيمًا عليّ.

الأديب المفكر عبدالرزاق ابراهيم عبدالله (المعروف بالبصير)، ولد في منطقة الشرق سنة ١٩٢٥م، ودرس في كتّاب تديره المطوعة صالحة الشمالي، وقد ذكر لي يومًا أن هذا الكتاب كان مختلطًا فيه الأولاد وفيه البنات، وقد درس فيه القرآن الكريم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تعلم على يد أحد العلماء كثيرًا من العلوم وبخاصة النحو والفقه، والفلسفة القديمة، وجال على عدد من حلقات العلم يستفيد منها ويضيف إلى ذلك ما يستنتجه من قراءاته الكثيرة في كتب منوعة مستفيدًا من قارئ يقرأ له بسبب إصابته في بصره منذ كان في السنة الرابعة من

عمره، ولقد استطاع بمزيد من الجهد والاهتمام والرغبة الشديدة في التعلم أن يصل إلى مرتبة مرموقة، فيكون من أدباء الكويت البارزين، ويدعى للعمل قاضياً للأحوال الشخصية في المحاكم. وارتفع ذكره حتى تم اختياره عضوًا في مجمع اللغة العربية في القاهرة بترشيح من الدكتور طه حسين، ولم يتخلف البصير منذ اختياره لهذه العضوية المشرفة عن حضور الجلسات أو تقديم البحوث حتى توفي.

هذا وكانت له مشاركات في عدد من الأندية الكويتية كان منها النادي الثقافي القومي الذي انضم إليه في سنة ١٩٥٢م، ورابطة الأدباء، التي انتخب عضوًا في مجلس إدارتها منذ سنة ١٩٦٧م حتى سنة ١٩٨٠م.

ولقد كوّن لنفسه مكتبة كبيرة تزهو بما فيها من أمهات الكتب، وقد كان يحلو له الجلوس فيها لما يجده من متعة في جلوسه بين هذا التراث العظيم الذي تعب في تكوينه حتى جاوز الخمسة آلاف مجلد. وكان لحبه لمكتبته يدرك كل ما فيها من كتب، ويعرف موضع كل كتاب فما إن يذكر اسم واحد منها حتى يشير إلى موضعه، وهذه مزيّة من مزاياه الدالة على الذكاء وقوة البصيرة.

وله إلى جانب ذلك عدد من المؤلفات نذكرها فيما يلي:

١ - كتاب تأملات في الأدب والحياة هو أول ما أصدره عبدالرزاق البصير من كتبه، وهو كتاب متوسط الحجم، أصدرته له مكتبة الأمل في منتصف الستينات من القرن الماضي، وطبعته مطبعة الجبل بلبنان.

يتكون الكتاب من عدة مقالات سبق له أن نشرها في عدد من الصحف، وقد اختار مما نشره فيما سبق مقالات ذات صلة ببعضها بحيث يمكن أن يطلق اسم الكتاب الذي أوردناه هنا على أي من تلك المقالات.



ومما جاء في مقدمة الكتاب قوله:

«وفي اعتقادي أن كل فرد من تلك الفئات يخلص لفنه ويقدم للناس ما في قدرته، ينبغي على النقاد إذا ما تيقنوا إخلاصه لفنه أن يسلكوا في طريقهم لنقده سلوك المرشد الهادي، لا سلوك الهادم الحاقد. ولاسيما إذا كان الكاتب يعترف بأنه لا يمتلك من الطاقات والمواهب ما يجعله في عداد الموهوبين».

وهذا تمهيد لما سوف يقوله لاحقًا:

«وكاتب هذه السطور من هذا النوع من الناس يعتقد في نفسه أن طاقاته الفكرية والفنية طاقات محدودة جدًا، وهو إذ يقدم هذه الأحاديث المتواضعة إنما هو من باب الاستجابة لكثير من الأصدقاء. ثم إنه يرى في تقديمها نوعًا من التعليم للكاتب نفسه. فربما يقرؤها ناقد نزيه فيتفضل بإرشاده إلى ما ابتعد عنه من صواب الفكر، وتنبيهه إلى ما غفل عنه من خطأ في الأسلوب».

هذا ويضم الكتاب خمسة عشر موضوعًا هي كلها تأملات في الأدب والحياة، كما أرادها الأستاذ البصير.

٢ - الخليج العربي والحضارة المعاصرة، وقد نشر الأستاذ عبدالرزاق البصير هذا الكتاب في سنة ١٩٨٦م، وطبعته مطبعة حكومة الكويت، وعنوانه يدل على فحواه فهو يتناول كل ما يتعلق بالخليج العربي تاريخًا وحضارة وأدبًا ورجالاً. وفيه من التنوع الشيء الكثير مما يحدونا إلى القول بأن أبناء هذه المنطقة جديرون بالاطلاع عليه ودراسته.

٣ - شعراء معروفون مجهولون، وهذا كتاب من مؤلفات الأستاذ عبدالرزاق البصير وهو على صغره كثير الفائدة، لأنه انتقى مختارات جيدة من عيون الشعر قالها عدد من الشعراء الذين تميز شعرهم بالرقة. ومن ذلك ما قاله ابن زريق في قصيدته العينية المشهورة التي مطلعها:

لا تعذليه فإن العذلَ يولعهُ
قد قلت حقًا ولكنْ ليس يَسْمعُهُ

ومما قاله ابن النحاس:

بات ساجي الطَّرفِ والشوقُ يلحُّ
والدّجى إن يمضِ جنحٌ يأتِ جُنْحُ

ومنها:

كم أداوي القلبَ قلَّت حِيلتي
كلما داويتُ جُرحًا سال جُرْحُ

وهذه من القصائد التي تغنى عندنا بألحان الصوت المعروفة.

٤ – وله: الجريمة الكبرى في الكويت وأمانة القلم. ألَّف هذا الكتاب وأصدره عبدالرزاق البصير في سنة ١٩٩٥م. وقد طبعته مطبعة حكومة الكويت في ٢٨٧ صفحة من القطع الصغير.

واضح من عنوان الكتاب أن المؤلف يهدف إلى الإشارة إلى موضوع الغزو العراقي للكويت، وقد تضمن الكثير من المعلومات الخاصة مع بعض الذكريات المرة، والوقائع التي تثبت مكر المحتلين وظلم قوات الاحتلال. كما تضمن دور أبناء الكويت حكومة وشعبًا في الدفاع عن الوطن وإنهاض عملية التحرير، يضاف إلى كل ذلك أحاديث المؤلف المتنوعة التي تتحدث عن الأوضاع القائمة بعد التحرير وعن المستقبل الذي ننتظره لوطننا. وعلى كل حال فإنه على الرغم من الحجم الصغير للكتاب إلا أنه جمّ المنفعة، ويكفي أن نعدَّه تذكارًا لأيام كئيبة مررنا بها.

٥ – وكتابه: نظرات في الأدب والنقد، وهذا الكتاب من منشورات «كتاب العربي»، وقد صدر في سنة ١٩٩٠م ضمن السلسلة التي تصدرها مجلتنا العريقة، وتعنى فيها باختيار الأفضل فتقدمه إلى قرائها.



الكتاب في مائتي صفحة من القطع الوسط، وقد تم تقسيمه إلى أربعة فصول كلها معبرة عن أفكار عبدالرزاق البصير، وعن اهتمامه في الأدب واللغة والفكر بعامة. الفصل الأول من هذه الفصول الأربعة بعنوان: لغويات، تحدث فيه المؤلف عن اللغة وحاجات العصر، وعن الترجمة إلى اللغة العربية ومنها، وعن الآثار الأدبية والترجمة. معرجًا على تعريب التعليم الجامعي متحدثًا عن مجمع اللغة العربية، ثم مشكلة العامية.

وجاء الفصل الثاني تحت عنوان: «في الشعر والنقد» وهو الموضوع الذي يستهوي أديبنا البارز فيكتب فيه دائمًا وتحت هذا الفصل سبعة فروع ترأسها فرع عنوانه: الفن إحساس وشعور بالمسؤولية.

والفصل الثالث عنوانه: «لمحات من الأدب في الخليج العربي» تحدث فيه عن أحمد البشر الرومي وكتاب الأمثال الكويتية المقارنة، وعن فهد العسكر، والشيخ يوسف بن عيسى، وعن الأدب القطري، والغوص على اللؤلؤ، وعن الموسمات الأدبية في الخليج العربي.

أما الفصل الرابع والأخير فكان بعنوان: «متفرقات» وهو يضم خمسة مقالات أخذت صفة التنوع أولها عن أدب المهجر وآخرها عن موقف العرب من الحضارة.

هذا هو كتاب عبدالرزاق البصير «نظرات في الأدب والنقد»، وعرضنا له هنا لا يغني عن قراءته.

أما كتاباته المتفرقة في الصحف فقد كانت كثيرة، وكان يكتب لعدد مما تصدره الكويت منها، ومما يصدر في الخارج، وقد رصد له أول مقال نشره فكان في سنة ١٩٤٣م نشرته جريدة «البحرين» ثم استمر في الكتابة والنشر حتى صار لا ينقطع عن موالاة الصحف بما يكتب وكان ذلك حتى أيامه الأخيرة.

وتكفينا متابعة ما نشر في مجلة البعثة التي بدأ يكتب لها منذ صدورها ففي ما نجده في مقالاته المنشورة في هذه المجلة التي أضحت من التراث الفكري والأدبي للكويت، ما يدل على تسلسل عمله في هذا المجال، وهذا ما كتب بحسب سنوات النشر:

في شهر مايو لسنة ١٩٤٧م نشر في مجلة البعثة مقالاً تحدث فيه عن تجربته في القراءة ومتابعة الأدب الذي استهواه منذ صغره، يقول: «منذ الصغر وأنا أحب الأدب وأكلف به أشد الكلف، أحب الأدب بجميع ألوانه» ثم يقول إنه لا يحب قراءة الروايات التي يقبل عليها القراء فينصرفون بها عن الأدب الحق». وقد خاض تجربة ذاتية مهمة حين قرأ إحدى الروايات لينظر سر تعلق القراء بهذا اللون من الأدب، وقد أعجبته الرواية ولكنه علق على ذلك بأنه لا بأس بقراءة هذه الروايات بشرط أن تكون هادفة ومفيدة.

وفي المجلد الخامس من مجلة البعثة له مقال نشره في العدد الصادر منها في شهر يناير لسنة ١٩٥١م، يتحدث فيه عن واجب المعارف، وهو يرى أن دائرة المعارف تعنى بالتعليم ونشره بين الأبناء، ولكنها ينبغي أن يكون لها دور في نشر الثقافة العامة بين الناس، وهو يرى أنه من المعيب أن يواصل التلميذ دراسته ويتزود بالعلوم المختلفة ويظل والده بعيدًا عن اللحاق بهذا الركب، يقول البصير: «فعلى المعارف إذن أن تتخذ أنجح الوسائل لتوجيه الناس لفهم الحياة، لكي يدركوا أن لهم حقوقًا، وأن عليهم واجبات» ثم يوضح الطريق إلى ما يريد بقوله: «ويخيل إليّ أن أحسن الوسائل إلى ذلك هي إنشاء دور للمحاضرات العامة، وإنشاء إذاعة يقوم عليها أناس أدباء مخلصون، ولا بد من العناية بالصحافة والتمثيل، فإن هذين العاملين قد أصبحا من ضروريات الحياة».



وفي شهر مارس ١٩٥٢م كتب مقالاً تحت عنوان: متفرقات، تحدث فيه عن ثلاث نقاط مهمة، إحداها عن التعليم وما طرأ على مناهجه في ذلك الوقت من تغيير، والثانية عن الشعر الكويتي أما الثالثة فهي تعليق على ندوة أقامها طلاب الكويت في لندن، وفيها يبدي فخره بهؤلاء الشبان الذين انشغلوا بهموم وطنهم على الرغم من غربتهم وانشغالهم بالدراسة.

وصدر عدد شهر يناير لسنة ١٩٥٢م، وضمن رسائل القراء نشرت مجلة البعثة له رسالة يتحدث فيه عن عزوفه عن القراءة والكتابة، وفي هذا يقول إنه تغير تغيرًا كبيرًا بعد نكبة فلسطين التي جعلته يحس بالاحباط وبالتالي فإنه توقف عن كل نشاط.

وفي شهر يونيو ١٩٥٢م، له مقال تحت عنوان متفرقات يتحدث في جزء منه عن الشاعر (كشاجم)، وفي جزء آخر عن الموازنة بين مقتضيات العقل، وهجوم العاطفة على الإنسان، أما الجزء الأخير فكان مداعبة قصد بها سواق السيارات الذين يستعملون أبواقها دون داعٍ فيزعجون المارة، ويقضون على تركيزهم.

وفي شهر سبتمبر ١٩٥٣م، نشرت البعثة لصاحبنا مقالات ضمن باب «حديث الشهر» وكان عنوان مقاله هو: «محاورة مع صديق»، وفيه يتحدث عن لقائه بهذا الصديق وما دار بينهما من حوار في موضوعات شتى، وكان تركيز المتحاورين على النواحي الدينية وقد ختماه بدعائهما الله سبحانه طالبين الهداية والرشاد.

وفي عدد البعثة الصادر في شهر يناير لسنة ١٩٥٤م مقال للبصير تحت عنوان خواطر، وفيها يشير إلى أن أمور البلاد التعليمية والطبية وغيرها صارت إلى الأحسن ولكنه يرى أن المعلم والطبيب وكل من بيده عمل ينبغي أن يؤدوا واجباتهم أفضل أداء، وألا يركنوا إلى التساهل، وعدم بذل الجهد في أعمالهم، لأن ما يقومون به فيه خدمة للوطن، وفي تساهلهم في أداء الواجب إضرار بهذا الوطن.

الدكتور عبدالله القتم أحد أساتذة جامعة الكويت البارزين، له اختصاص في الأدب العربي، وله اهتمام بالبحث والتنقيب في هذا المجال الخصب، كما أنّ له مكتبة عامرة بأمهات الكتب منها قسم كبير خاص بدواوين الشعر، وله صلات طيبة مع عدد من الأدباء في داخل الكويت وفي خارجها.

كان الدكتور عبدالله على صلة وثيقة بالأستاذ عبدالرزاق البصير، وكانت بينهما مدارسات في المجال المشترك بينهما وهو الأدب بشعره ونثره، وقد حدثني الأستاذ البصير عن صاحبه الدكتور عبدالله كثيرًا، وأثنى على اهتمامه بالقراءة والبحث، وعن طريقه عرفت الدكتور، وصارت لي به صلة قوية.

عندما توفي الأستاذ البصير لم يكن هناك من هو أولى بالكتابة عنه من صاحبه الدكتور عبدالله، الذي ألّف كتابه القيم: «التحدي والتنوير في فكر عبدالرزاق البصير» ونشره في سنة ٢٠٠٢م، وقد تناول الكتاب كل ما يقع تحت هذا العنوان على هيئة فصول كان أولها الفصل الخاص بسيرته الذاتية، والثاني كان عن الصورة التي برزت للبصير في عيون الآخرين، وخصص المؤلف فصلاً لاهتمام صاحبنا المشترك باللغة العربية وآدابها، وأما الفصل الرابع فكان «البصير والفكر الإنساني» ثم: «البصير والفكر الإسلامي» وكان الفصل السادس هو آخر فصول الكتاب وكان عن «البصير والفكر الليبرالي» ثم خاتمة الكتاب.

يبدو جليًا اهتمام الدكتور عبدالله القتم ببحثه هذا، وقد كان هذا الاهتمام ذا دلالة على مقدرته بصفته مؤلفًا وعلى تقديره للأستاذ البصير الذي ارتبط به برابطة ثقافية امتدت زمنًا وأكسبت كلاً منهما حب الآخر.

رأى الدكتور القتم صاحبه كاتبًا في الصحف من الدرجة الأولى وذلك إضافة إلى اهتمامه الفكري والبحثي، فقدّم لكتابه بمقدمة مستفيضة عن الصحافة الكويتية منذ بداياتها الأولى إلى وقتنا الحاضر. وفي نهاية المقدمة أرسل بعض



التساؤلات التي تتبع القارئ منذ بداية كتابه عن الموضوعات التي سوف يبحثها فيما يتعلق بالبصر، فهو يقول: «كيف أصبح عبدالرزاق البصير كاتبًا صحفيًّا ومفكرًا خليجيًّا؟ وكيف عاش البصير؟ وما ثقافته وآراؤه؟ هل خدمت الظروف البصير في حياته؟ وهل نعدُّه كاتبًا فقط، أم مفكرًا كاتبًا؟ وما الموضوعات التي كتب فيها البصير... وهكذا ينطلق المؤلف في تساؤلاته التي رد عليها في كتابه القيم «التحدي والتنوير في فكر عبدالرزاق البصير»، ولن يكون لنا مجال هنا لاستعراض الكتاب كاملاً بسبب ضيق المساحة المحددة لهذا المقال، ولكننا نكتفي بما تقدم، وسوف يرى القارئ عند عودته إلى هذا الكتاب كل ما يريد معرفته.

وأصدر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت كتابًا بمناسبة احتفاليته المعروفة: «منارات ثقافية كويتية» وقد صدر هذا الكتاب بمناسبة الندوة التي عقدت بهذه المناسبة في اليوم الثالث من شهر نوفمبر لسنة ١٩٩٩م وكان موضوعها: عبدالرزاق البصير. أما هذا الكتاب فقد صدر باسم: «البصير والتنوير» ألفه كل من الدكتور محمد حسن عبدالله والدكتور سليمان الشطي، وبذلا فيه جهدًا طيبًا، وعلى الرغم من صغر الكتاب فإنه مليء بالتحليلات المهمة، محيط بكافة الجوانب التي يحتاج المرء إلى معرفتها مما يتعلق بالبصير وفكره وأدبه، وتمكنه من أدوات الثقافة مما جعل له الريادة في الأدب والثقافة عندنا.

النسخة التي بين يدي مستعارة، وسوف أعيدها إلى معيرها، وكنت حاولت أن أحصل على نسخة تبقى معي من هذا الكتاب فلم أستطع، فهل أجد في المجلس من يتكرم بإهدائي المطلوب؟

وبعد؛ فيا أستاذنا وصديقنا عبدالرزاق البصير، كم نتمنى أن تكون معنا في هذه الأيام البائسة التي نحياها وسط مشكلات لا تنتهي، وبين أناس كل همهم المناصب والمصالح المادية حتى ولو كان ذلك على حساب الكويت التي لم يعد لها

في قلوبهم ذرة حب، ولا لهفة إشفاق، ويكفينا الاطلاع اليومي على تصريحاتهم ومنازعاتهم في الصحف لنعرف عظم المأساة التي يعيشها وطننا » أناس لا يعجبهم العجب، ولا يسعدهم أن يقوم أي مواطن بعمل صالح، لقد اغتصبوا كل شيء وليس من خلاص إلا في الضرب الشديد على أيديهم، أما أنت يا عبدالرزاق البصير فإنه على الرغم من شوقي إلى أيامك وتمنياتي في استمرار وجودك بيّننا فإنني أشفق عليك من معايشة هذه المأساة لأنني أعرف مدى حبك للكويت، ومدى تعلقك بالحق. يرحمك الله.

****

## الشاعر اللبناني أمين نخلة في الكويت[1]

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن هذا الشاعر العبقري أن نتحدث عن مؤسسة ثقافية أهلية كويتية، لها دور كبير في إحياء ذكرى الشعراء العرب، وفي تنمية المواهب الشعرية الصاعدة، ولها في سبيل ذلك مطبوعات جمة وندوات كثيرة تختص كل ندوة منها بموضوع معين، فتدعو إلى المشاركة فيها عددًا من الأدباء والمتخصصين في نقد الشعر أو تاريخه، وقد تناولت هذه المؤسسة بالدرس من خلال الندوات المشار إليها عددًا من الشعراء الكويتيين وعددًا آخر من إخوانهم الشعراء العرب.

هذه المؤسسة النشطة هي: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري التي أصبح صيتها في كل مكان ليس في بلاد العرب فحسب بل في خارج هذا النطاق وقد رأيناها تقيم الندوات في أسبانيا وفرنسا وغيرها من بلاد الفرنجة.

عقدت المؤسسة في الكويت ندوة استمرت من اليوم السادس حتى اليوم العاشر من شهر يناير لسنة ٢٠٠٢م، وكان موضوعها لافتًا للنظر إذ كانت القضايا المطروحة في تلك الندوة تختص بكل من شاعر الكويت عبدالله محمد الفرج، وشاعر لبنان أمين نخلة. ولم يعش هذان الشاعران في زمن واحد، ولم يلتقيا في حياتهما أبدًا، كان عبدالله الفرج من الشعراء المشهورين بالإبداع الشعري النبطي أكثر مما هو مشهور بالإبداع الشعري الفصيح على الرغم من أنه لم يُقصِّر في

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/١١/٢٥م.

هذا المجال، يضاف إلى ذلك اهتمامه بالموسيقى وإنتاجه الغزير فيها مما يذكر له بالتقدير، ومما يوجه إليه من الإعجاب لتفوقه في هذا المجال، وريادته له، وعلى الأخص في الكويت والخليج العربي.

أما أمين نخلة فكان شاعرًا مبدعًا بارزًا يكتب بالفصحى قصائد بديعة تسر نفس قارئها والمستمع إليها.

إذن فما هو الجامع بين هذين الشاعرين؟

يبين لنا الأستاذ عبدالعزيز السريع أمين عام المؤسسة ذلك بقوله: «فلقد ولد الشاعر والموسيقي الكبير عبدالله الفرج عام ١٨٣٦م، وتوفي عام ١٩٠١م، بينما ولد أمين نخلة الشاعر والناشر الكبير عام ١٩٠١م، وتوفي عام ١٩٧٦م».

ثم يميط الأستاذ السريع اللثام عن هذا الأمر فيقول عن سبب اشتراك هذين الشاعرين في ندوة واحدة فيقول: «وقد عزز هذا الاختيار اشتراك هذين الشاعرين العلمين في فواصل تاريخية مشتركة، فقد توفي الشاعر والفنان عبدالله الفرج عام ١٩٠١م وهو العام الذي جاء فيه أمين نخلة إلى الوجود، فكان الرحيل والميلاد فاصلاً مهمًّا لقرن ينقضي، وآخر يبدأ».

هكذا إذن، ومنه عرفنا أيضًا سبب تسمية الندوة الاحتفالية باسم: «مئوية الرحيل والميلاد».

ولم تبخل المؤسسة على هذه الندوة بشيء، فقد هيأت كل السبل التي تضمن لها النجاح من حيث إعداد المكان، والبرنامج، والضيافة، ولكن أهم شيء تم خلالها في رأيي هو طباعة ديوان عبدالله الفرج طباعة جيدة جديدة، وطباعة مجموعة دواوين أمين نخلة في مجلّد واحد، وهكذا فعلت مع كثير من الشعراء الذين احتفت بهم أو رأت أن من الأفضل إمداد القراء بأشعارهم فنشرت ديوان شاعر الكويت



صقر الشبيب، وديوان الأخطل الصغير، وديوان أبي فراس الحمداني، وغيرها من الدواوين التي لولا هذه المؤسسة الكريمة لأصبحت في عداد الكتب المفقودة.

ولا أظن القارئ في حاجة الى العلم بأن وراء هذه الأعمال رجلاً له همة عالية، وله حب لـلأدب شعره ونثره، وحب للخير يبذله في كل مكان، فالرجل معروف لدى الجميع وأعماله منتشرة في كل مكان من العالم، وكل ما يقوم به في الخارج إنما يسجل للكويت فهو ابن من أبنائها. ويكفي «أباسعود، عبدالعزيز البابطين» هذا الصرح الكبير الذي بناه وبذل فيه الكثير من الجهد والمال وخصصه مكتبة علمية أدبية للشعر العربي، وهي في الكويت اليوم منارة من منارات الثقافة يأتي اليها الراغبون بالمعرفة من كل مكان.

وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الرجل الذي لم يضن بمال أو مجهود في سبيل العلم والأدب والخير يجد من بعض الأشخاص من يعترض جهوده ويحاول أن يوقف نشاطه، وهذا لعمري أمر يكدر الخاطر، ونأسف له، فالرجل يحتاج الى كلمة طيبة يندفع بها الى المزيد من الأعمال الهادفة. ولكني أرجو هنا أن يطمئن أبوسعود إلى أن الكثرة الكاثرة من أبناء الكويت يشدون على يديه ويدعون له بالتوفيق.

نعود الآن الى ما كنا فيه:

قلت: إن مئوية الرحيل والميلاد، كانت احتفالية بشاعرين هما عبدالله الفرج وأمين نخلة.

أما عبدالله الفرج فقد تحدثت عنه كثيرًا في عدد من مقالات «الأزمنة والأمكنة» مما يجعل الحديث عنه مكررًا ومعادًا، ومن فاته مقال منها فإنه سيجد الكثير عن هذا الشاعر المبدع في كتابين من مؤلفاتي هما: الأغاني، في التراث الشعبي الكويتي، ودروس في اللهجة الكويتية. وفوق هذا فإن المقصود من هذا

المقال الذي أضعه اليوم بين يدي القارئ إنما هو الحديث عن الشاعر اللبناني أمين نخلة، ولذا فإنني سأقتصر عليه في الحديث.

الديوان الذي طبعته المؤسسة التي تحدثت عنها هنا، يضم كافة شعر أمين نخلة الذي سبق له أن طبعه في عدة دواوين هي: دفتر الغزل، والديوان الجديد، وليالي الرقمتين. وقد تحدث محقق الديوان العام عن هذه الدواوين في طبعاتها المختلفة، فوضحها وأبان ما فيها من تكرار أو إضافات. وأبان أيضًا أنه اختار أن يخلط القصائد كلها ثم يوزعها على الحروف الهجائية، فجاء بذلك هذا الديوان الشامل وكأنه كتاب جديد، ولكنه لا يغادر شيئًا من شعر أمين نخلة، بل هو يجمعه كله.

يبدأ الديوان بأبيات كتبها أمير الشعراء أحمد شوقي في سنة ١٩٢٥م يحيي بها الشاعر بمناسبة صدور ديوانه الأول وفي هذه الأبيات الثمانية يقول شوقي:

هذا وليٌّ لعهدي
وَقَيِّمُ الشِّعر بعدي
فكلُّ من قال شعرًا
في الناس عبدٌ لعبدي
كأن شعر «أمينٍ»
من نفح بانٍ ورند
أو من عناق التَّصابي
وقرعِ خدٍّ بخدٍّ
أو من حديث ابن هاني
يعيد فيه ويُبدي
أو من حنينِ الهوادي
إلى الغَرار ونجد
ديوانه رفُّ طيبٍ
ونشرُه نشرُ ورد



والعصرُ عصرُ (أمينٍ)
خيرٌ ومطلعُ سعد

هذه شهادة لأمين نخلة من أمير الشعراء في عصره، وهي لا شك شهادة لها قيمتها المعنوية والأدبية.

شعر صاحبنا رقيق وجميل، وهو معروف بحرصه على تحري الفصاحة، وذلك لأنه كان محبًّا للغة العربية حريصًا على أن يكون ملمًّا بكل شواردها وقواعدها، ولذا فقد كان شعره في غاية الإتقان من هذه الناحية، إضافة إلى ما يتميز به من حسن السبك وجمال اللفظ وقوة المعنى، وما يعبر عنه من رقة الاحاسيس، وهو بعد ذلك متفرغ لأدبه، ولشعره بصورة خاصة، وقد طلب منه رئيس الجمهورية اللبنانية بإلحاح أن يقبل أحد المناصب الحكومية، ولكنه استعفى من ذلك موجهًا قصيدة إلى الرئيس كان فيها قوله:

أنا من فسحةِ السماء مجالي
طائرٌ حائمٌ بعيدٌ مرادي
خلف داري الرِّياضُ والظلُّ والماءُ
وعليا ربًى، ودنيا وهادِ
لا تراني أسعى إلى القفص الضَّنْـ
ـكِ وألقي إلى الحديد قيادي

ومن رقيق شعره هذا التساؤل الذي فرضته عليه الوحدة، والتخوف من المستقبل فهو يقول:

نحن أهل الودِّ بل أهل الأسى
أرضنا الشوقُ ووادينا الضَّنى
وجد الأحبابُ من يبكي لهم
وغدًا نمضي، فمن يبكي لنا؟

ولكنه في وقت آخر، ومقام غير هذا المقام نراه فارسًا راكبًا حصانه يتحدث عن وطنه وأبناء وطنه بكل ما في نفسه من الاعتزاز والشعور بالكرامة، كان ذلك في المهرجان الذي أقيم تكريمًا للشاعر العربي أبي تمام في دمشق سنة ١٩٦١م، حيث ألقى قصيدة عصماء مطلعها:

افسَحوا في محفلِ الشِّعر لنا
نحن من لبنانَ من عليا الدُّنى
جيرة الأرز وضاحي ظلِّه
والرُّبى الخضرِ، ووشيِ المنحنى

ومنها:

إن يكن غنَّى أبو تَمَّامكم
فاسألوا عن شدوه لبناننا
وجد الصوتُ الذي صاح به
واديًا سهلاً، وأفقًا ليِّنا
نحن في الفصحى رعينا ذممًا
وشرعنا دونها سمر القنا

ها نحن نراه منذ بداية قصيدته وهو يتحدث بقوة وانطلاق يعبر عن مكنون نفسه وعن شعوره في ذلك الموقف.

ولد الشاعر أمين رشيد نخلة في بلدة مجدل المعوش في قضاء الشوف من أعمال لبنان في سنة ١٩٠١م، وكان والده زعيمًا سياسيًّا وكان يكتب النثر ويقول الشعر، ولو كان المجال فسيحًا لقدمنا الكثير من أعماله في مجال الدفاع عن وطنه، وقد كان يصدر جريدة اسمها (الشعب) في سنة ١٩١٢م، وقد ولّى ابنه أمين إصدارها إلى أن توقفت، وكان رشيد هو الذي نظم النشيد الوطني اللبناني الذي لا يزال يتردد إلى اليوم.



وقد نشأ أمين نخلة في أجواء سياسية صاخبة، مع بيئة أدبية وطبيعية تشحذ همة الشاعر، وتقربه من الإنتاج الدال على العبقرية، فهو قد نشأ في وسط الريف الجميل، حيث الجبل الذي عاش فيه فترة صباه، وحركة نشاط والده الأدبي والسياسي، وأفاده كثرة اختلاطه بالشعراء والسياسيين والأدباء الذين كانوا على صلة بالوالد.

وكانت هذه الأجواء كلها سببًا في إبراز ملامح شخصية أمين الشاعر والمثقف.

ولقد تدرج في الدراسة منذ صغره، إذ درس في مدرسة بدير القمر، ثم أتم دراسته الثانوية في كلية من كليات بيروت القائمة آنذاك، وكان لوالده دور كبير في تعليمه اللغة العربية إذ علمها الوالد لابنه فقرأ القرآن الكريم، وكتاب نهج البلاغة، وكتب الجاحظ وعددًا آخر من الكتب التراثية، ولقد تبين هذا الجهد الدراسي فيما بعد حين صار يكتب المقالات ويؤلف الكتب وينظم الأشعار، وكلها دلت على تمكنه من اللغة العربية، ومقدرته على الكتابة بها.

تخرج في كلية الحقوق في بيروت، ثم حصل على شهادة أخرى بالتخصص نفسه في جامعة دمشق.

بدأ العمل في سنة ١٩١٨م حين صار مديرًا إداريًّا لمنطقة العرقوب بلبنان. ثم اشتغل بالسياسة والمحاماة، وقد افتتح مكتب المحاماة الخاص به في بيروت، وفي سنة ١٩٤٥م، كان سكرتير الوفد الذي طالب الفرنسيين باستقلال وطنه، ثم خاض الانتخابات النيابية في سنة ١٩٤٧م وكان من الفائزين.

كان طموحه إلى أن يتقدم الصفوف يدفعه إلى أعمال كثيرة مهمة في النشاط السياسي والعلمي والقانوني والأدبي، وكانت آماله عريضة تصل به إلى التخطيط من أجل الوصول إلى سدة رئاسة الجمهورية وقد كاد يصل إليها لولا الظروف المفاجئة.

وفي أواخر سنوات حياته كان منكبًا على الأدب يقدم القصائد الرائعة التي تبهر النفوس، ولقد كتب عنه أحد الأدباء يقول: «أحب أمين نخلة الجمال، وتغنى به في شتى مظاهره، ومختلف صوره وأشكاله، وكان في أدبه مثالاً لحسن الذوق، والأناقة، وبلاغة التعبير».

على كل حال فإن الشاعر المبدع أمين نخلة، كان رجلاً كثير العطاء في مختلف المجالات التي خاضها، وكان علمًا من أعلام الأدب العربي والشعر بصفة خاصة، وما كان ذلك إلا لأنه أُعد إعدادًا جيدًا لهذه المهام الكبيرة التي اضطلع بها، وكان فضل والده كبيرًا عليه في عملية الإعداد المشار اليها، ثم إنه كان متعلقًا بالعروبة محبًّا للغة الفصحى يرتبط ارتباطًا وثيقًا بكافة شعراء عصره ابتداء من أمير الشعراء أحمد شوقي إلى الشاعر حافظ ابراهيم والأخطل الصغير، وما مقدرته على مجاراة هؤلاء إلا لأنه كما قال الأخ عبدالعزيز البابطين في مقدمة ديوان أمين نخلة: «وهو أيضًا صوت قدير من أصوات العروبة، المدافعين عن الفصحى وإرثها الحضاري، أقبل على القرآن الكريم، واختار من نهج البلاغة مائة كلمة ضمها «كتاب المائة» وهو القائل:

نحن في الفصحى رعينا ذممًا
وشرعنا دونها سمر القنا

وأدل شيء على مكانة أمين نخلة لدى كبار الأدباء ما ورد في الرسالة التي بعث بها الأديب الكبير ابراهيم عبدالقادر المازني، وكان أمين نخلة قد أرسل إليه برسالة، ورد عليها المازني ردًا لطيفًا ينبع عن المودة التي كانت سائدة بينهما، ويعبر عن أسلوب المازني الجميل، وكان أمين نخلة قد بعث بسلامه إلى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد ضمن رسالته إلى المازني ولذا فقد جاء الرد كما يلي: «أبلغت الأستاذ (العقاد) سلامك الرقيق، وتحياتك الطيبة، فسر بها، واغتبط وازدهى



أيضًا، ومن كان الأستاذ أمين نخلة يذكره على البعد، فهو حقيق بالزهو والخيلاء، وقد أصبح يقول، وهو يتيه بذلك على أنك من أصدقائه فهنيئًا له..».

لعل القارئ كان ينتظر تحليلاً شافيًا لشعر هذا الشاعر ونثره، وهو جدير بهذا، ولكن ما قصدته هنا إنما هو التعريف به بصفة عامة، ويجد الباحث هذا الأمر مبسوطًا في كتاب: «مئوية الرحيل والميلاد» الذي نشرته مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في سنة ٢٠٠٢م، ففيه تفصيل كثير، وواسع لكل ذلك، أما هنا فإنني إنما قصدت الإشارة إلى نبذة عنه من أجل التعريف به لمن لم يستطع معرفته أو قراءة شيء من شعره ونثره قبل اليوم. ثم إنني أردت كما يلاحظ المرء من العنوان أن أتحدث عن علاقة هذا الشاعر بالكويت وها أنذا أعود إلى هذا الأمر الأخير بعد أن كدت أن أصل إلى النهاية.

كان الشاعر أمين نخلة يستحق الاحتفالية التي أقيمت لإحياء ذكره في الكويت، فهو يحب هذا الوطن كثيرًا، ولقد أسعدني جدًّا أن ألتقي به مرارًا هنا، وأن أعرف من واقع حديثه ما ينم عن ذلك. لقيته أول مرة في مكتب أستاذي الشاعر أحمد السقاف، وكان يومها وكيلاً لوزارة الإرشاد والأنباء، وكان الأستاذ السقاف بصفته شاعرًا يحب الشعراء ولا سيما من هو في مكانة أمين نخلة، كانت جلسة معبرة عن الود والصداقة بين الطرفين تخللها حديث عن زيارته وسببها، ولقد انتهزت الفرصة لكي أرجوه الحضور إلى تلفزيون الكويت لكي يتحدث إلينا من خلال شاشته عن انطباعاته، ثم يقرأ لنا شيئًا من شعره الرائق. وقد لبى الدعوة فورًا وحضر في مساء اليوم الثاني لكي يطل على جمهور يتعطش إلى مثل أحاديثه الرقيقة، وقد احتفل جهاز التلفزيون به. وحضر إليه في مكتبي بعد حديثه الطلي إلى الناس كل العاملين معي لكي يسلموا عليه ويشكروه، وكان متهللاً سعيدًا بهذا الاهتمام.

وانتهزت إذاعة الكويت الفرصة لكي تأخذ منه بعض القصائد لكي يغنيها المغنون عندنا، وقد استجاب الشاعر لذلك وقدم عددًا من القصائد منها قصائد خاصة بالكويت التي أحبها وأحبه أهلها. وقد كان أثناء وجوده بيننا مندمجًا مع الناس مخالطًا لهم يلبي دعواتهم، ومن ذلك ما تشير إليه قصيدته المنشورة في ديوانه، وعنوانها «ليلة في الكويت» وقد سبق له أن نشرها في ديوانين من دواوينه هما: ليالي الرقمتين ودفتر الغزل.

في هذه القصيدة وصف للقاء ضمه بعدد من الأصدقاء في ليلة سعد بها جدًا لما وجده من دماثة أخلاق المشاركين في الجلسة، ولما قدم فيه من طعام وشراب وللمرأى الحسن الذي صادفه هناك:

عَرَفتني أختُ الهدير من العَنْـ
ـبِ، فداري لبنانُ، والجبروتْ
حبَّذا دورة الكويت على المو
جِ، وشطانها وتلك البيوت
أنا بالدُّفِّ والمزاهر والصَّنْـ
ـجِ، وبالورد والشَّذا حيِّيت

أما المغنية التي استمع إليها في جلسة أخرى فيقول لها:

صوتُكِ أحلى من رنين الحُلي
وما يؤدِّيه نسيم العشي

ومنها:

فَزوِّدينا من سماعٍ شهيّ
لدهر شوقٍ، ومكانٍ قصيّ



هذا هو أمين رشيد نخلة، الشاعر الناثر، الأديب السياسي، صاحب الصلات الكثيرة مع الأدباء ورجال الدولة، صاحب الديوان الجامع لشعره الأنيق الرقيق الذي لا يمل المرء من قراءته، ومتابعة ما فيه من جمال وأفكار ودلالات على حياة الشاعر، وأدبه لا في مجال الشعر فحسب بل في مجالات كثيرة أشرنا إليها ضمن هذا المقال.

وبعد، فهذه دعوة إلى قراءة آثار أمين نخلة ففيها الكثير مما يشد المرء لرؤية الجمال في اللفظ وفي المعنى.

****

# ملحاق خير

أجد أنه من الأفضل ما دمنا نتحدث عن شاعر لبناني كبير أن نتحدث عن علاقة الكويت بلبنان، وإنها لعلاقة من نوع خاص، تختلف عن العلاقات التي تقوم بين الدول لأن اتصال الكويت بهذا البلد العربي الكريم ترتبط أولاً بالأهالي قبل الحكومات، فقد اهتم عدد كبير من أبناء الكويت بزيارة لبنان صيفًا وشتاء، وقام بعضهم بمد صلات تجارية كويتية لبنانية مشتركة، إضافة إلى ذلك أولئك الأعداد من أبناء الكويت الذين تلقوا دروسهم هناك، ثم عادوا وهم يحملون بأيديهم شهاداتهم العالية.

كفانا مركز البحوث والدراسات الكويتية البحث في هذا الأمر حين أصدر ضمن إصداراته العديدة المفيدة كتابًا تحت عنوان: «العلاقات الكويتية اللبنانية (١٩٦٢م ٢٠٠٠م) التشابه والقدر المشترك»، ألّف الكتاب رجل لبناني يعيش بيننا في الكويت أعرف أنه من الكتاب المجدين المهتمين بمثل هذا الموضوع الذي ضمه كتابه المشار إليه. وهو ذو اهتمام بتسجيل الأحداث وأرشفتها، والعودة إليها عند الحاجة، لكي يقدم لنا من خلالها معلومات نفتقر إليها، ويصعب علينا معرفتها إلا عن طريق هذا العمل الذي يقوم به هذا الأستاذ.

نشر هذا الكتاب في سنة ٢٠٠٠م، في طبعة أنيقة مزينة بالصور الموضحة للموضوعات المدرجة فيه، وقد قدم المؤلف له الأخ الأستاذ حمزة عليان بمقدمة أكد فيها على التشابه بين الكويت ولبنان في كثير من الأمور، وذكر أن العلاقات



الحميمة التي استمرت مدة طويلة هي التي دعته إلى تأليف هذا الكتاب ولفتت نظره إلى أهمية تدوين كل ما يتعلق بالصلات السياسية والاقتصادية والإنسانية بين البلدين.

في مجال العلاقات الدبلوماسية تحدث عن سفراء الكويت في لبنان، ثم عن سفراء لبنان في الكويت، وفي مجال حديثه عن مسار العلاقات الكويتية اللبنانية ذكر التشابه في العلاقات من حيث الإشارة إلى مواقف الكويت من الأزمات اللبنانية، ومواقف لبنان من الأزمات الكويتية، ثم بين الدور السياسي القائم بينهما.

ثم عقد فصلاً للحديث عن العلاقات الاقتصادية المشتركة منوهًا بالمساعدات والقروض التي قدمتها الكويت للبنان، وكان لابد له في الختام من أن يتحدث عن الجالية اللبنانية التي تعيش في الكويت، وعن علاقة الكويتيين بلبنان. أما مسك الختام فهو ما أورده عن المشهد الثقافي المشترك، بما في ذلك ذكر الاتفاقات الإعلامية والثقافية والعلمية التي تم عقدها ودور الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية في تعزيز الصلات بين البلدين الشقيقين، وكل ذلك تدل عليه الوثائق الواردة في نهاية الكتاب.

ومن الجدير بالذكر أن متابعة المؤلف للحضور الكويتي في لبنان، ومثله الحضور اللبناني في الكويت يدلنا على مدى الجهد الذي بذله في جمع المعلومات حول هذا الموضوع، كما يدلنا على عمق العلاقة بين البلدين والشعبين.

وإذا كانت لي من إضافة فهي أن أذكر أن الشيخ علي الخليفة العبدالله الصباح المسؤول عن دائرة الأمن العام في الكويت منذ نشأتها كان يتلقى العلاج هناك خلال سنة ١٩٤٢م، وقد وافاه الأجل وهو في مدينة حمانا ودفن في السنة ذاتها في تلك القرية المعروفة جيدًا لدى المصطافين الكويتيين.

كما أذكر أن أول رحلة من رحلات شركة الخطوط الجوية الكويتية الوطنية المحدودة إلى بيروت كانت في اليوم السابع عشر من شهر مايو لسنة ١٩٥٤م.

وبعد» فإن الكتاب ممتع، مليء بالفوائد، يشكر عليه مؤلفه وناشره.

****



## حول التراث الشعبي الكويتي[(١)]

صار التسابق شديدًا اليوم على رعاية التراث الشعبي، وعمت هذه الرعاية مختلف البلدان، وصار كل فرع من فروع التراث مبحثًا من المباحث المهمة التي درجت على دراستها مراكز البحوث والجامعات، وكذلك الأشخاص الذين يهتمون بالمأثورات الشعبية بكافة أشكالها، وحديثنا هذا يُفسِّر بعض الأمور التي تتعلق بالعناية بدراسة التراث الشعبي.

لم يعد الحديث عن الفنون الشعبية نوعًا من الهبوط بالمستوى الثقافي كما كان الأمر في السابق. بل إن الاهتمام بهذا النوع من الفنون يتتابع في كل قطر، فتأخذ المأثورات الشعبية بكافة أنواعها حقها من العناية والتسجيل، ويستفاد منها في مجالات شتى بصفتها نوعًا من الإبداع الفطري الذي يعبر عن حياة الإنسان تعبيرًا مباشرًا.

وقد قسمت الفنون إلى أقسام ثلاثة أولها الفنون البدائية، وثانيها الفنون الشعبية، وثالثها الفنون المثقفة.

وإذا كانت الفنون في القسمين الأخيرين قد ارتبطت بنشأة تكاد تكون متقاربة، وتتابَع نموها بحسب تقدم الإنسان ورقيه، فإن الفنون البدائية قد استقرت في المجتمعات البدائية بحيث أصبحت تفقد موقعها عند تطور هذه المجتمعات وانتقالها من مرحلة التخلف إلى مرحلة الارتقاء.

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢/١٢/٢٠٠٩م.

وقد بدأ الاهتمام بالفنون الشعبية منذ القرن التاسع عشر، فأصبحت مجالاً للدراسات العلمية، وبدأ في ذلك القرن تدريس الأدب الشعبي على وجه الخصوص في الجامعات وانتقل هذا الاهتمام إلى بقية المجالات التي تدور عليها هذه الفنون، فيما انزوت الفنون البدائية ولم يعد منها إلا شواهدُ متناثرة.

وقد أدى اهتمام مراكز البحث الاجتماعي، وأساتذة الجامعات، والإعلام بصفة عامة إلى التوعية بأهمية هذا النوع من النشاط الإنساني، وزيادة إنتاجه، وتنوع أدوات هذا الإنتاج. كما أدت إلى ذلك أسباب أخرى تضاف إلى ما تقدم منها رغبة الناس في الحفاظ على موروثهم، وانتشار الروح القومية الذي أدى إلى رغبة كل أمة في تقوية ارتباطها بتراثها الخاص، وغير ذلك من أمور.

ولقد جاء العصر الحديث الذي سيطرت فيه الآلة على وسائل الإنتاج ففقدت المنتجات الكثير من اللمسات الرقيقة التي كان الإنسان يضفيها على عمله، وكان الأدب الشعبي غير بعيد عن هذا التحول، يقول الأستاذ أحمد رشدي صالح[1]: «فالشاعر الجوال الذي أنشأ ملاحم الإغريق، وتغنى بآلهة الهند، ونظم قصص أرض الأبطال في الشمال النوردي، والذي عرفناه وقد تأخر به الزمن ينظم وقائع الهلالية، والظاهرية والعنترية، هذا الشعر نفسه لم يجد له مكانًا وسط مباهج الحياة الحديثة، أو وسط أحزانها، فالأبطال القدماء الذين كانوا يملؤون قلوب السامعين بالمسرة، تُنكرهم حياتنا الحديثة، وموضوعات الخوارق التي كانت تملأ خيال أسلافنا ليس لها مجال عند الذين يُنكرون تهاويل الخيال».

وهكذا جاء الاهتمام بالأدب الشعبي متماشيا مع التطور الحافز على ترك القديم، وذلك من أجل الإبقاء على صورة من التلاحم بين الماضي والحاضر.

وبالانتقال الى محطة أخرى في طريقنا هذا نرى أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد أطلق على ما يسمى الفلكلور اسم: المأثورات الشعبية، وهي ما جرى العرف عالميًا وعربيًا على تسميتها الفنون الشعبية.

(١) العدد رقم ٣٤ من سلسلة المكتبة الثقافية، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ١٩٦١م، ص٧.



والفنون الشعبية التي قلنا إن الاهتمام بها قد بدأ في القرن التاسع عشر كانت معروفة لدى العرب القدماء قبل هذا التاريخ، وهناك نصوص كثيرة تدل على ذلك تسبق هذه الفترة، وهل الأمثال والنوادر والأغاني بأنواعها إلا نماذج للأدب الشعبي العربي الذي كان موجودًا في الساحة الأدبية قبل القرن التاسع عشر بسنين طويلة؟ وهل الخطوات التي قطعها ابن خلدون في مجال البحث في اللهجات الدارجة والقصائد المكتوبة بالعامية إلا دلالة أخرى على صدق ما قدمنا؟

وإذا أردنا أن نعود الى تفصيل القول في فنون الأدب الشعبي فإننا سوف نجد له أنماطًا متعددة كالأمثال، والقصص والحكايات، والأشعار، وقد اهتم الأدباء العرب بالأمثال وألفوا فيها كتبًا متعددة منها على سبيل المثال كتاب الميداني: «مجمع الأمثال» الذي ضم عددًا كبيرًا من الأمثال التي كانت معروفة في عهده، وقد استمر هذا النوع من الأدب يتنامى مع تطور المجتمعات العربية وأصبحت الأمثال ترتجل في كل قطر عربي، حتى لقد وجدنا الميداني يقدم دليلًا على هذا الارتجال فيفرد قسمًا من كتابه لأمثال المولدين وهم الذين ولدوا بعد العصر الذي قيلت فيه الأمثال التي أدرجها في بداية كتابه، إلى أن نصل الى وقتنا هذا الذي نجد أن الأمثال العامية فيه قد أخذت طريقها إلى الانتشار بين الناس، وأصبح لكل قطر أمثاله الخاصة، وإن وجدنا عددًا من هذه الأمثال مشابهًا للأمثال العربية الفصيحة أو مشابهًا للأمثال الدارجة في أكثر من قطر عربي.

وكتاب الأمثال الكويتية المقارنة للأستاذ أحمد البشر الرومي يعطي صورة واضحة لهذا الأمر ففيه مقارنات وافية مع الأمثال في البلاد العربية، ومع الأمثال القديمة التي وردت في مظانها.

وأما القصص والحكايات فقد توقف نموها إلى حد ما عند القصص الشعبية الشهيرة مثل ألف ليلة وليلة، وسيف بن ذي يزن، وعنترة، والزير سالم، وتغريبة بني

هلال وغيرها. غير أننا يمكن أن نلحظ أمرين مهمين، أولهما أن توقف إنتاج قصص مماثلة لما ذكرنا لم يمنع قيام عدد من الأدباء بتأليف عدد من القصص والروايات المستوحاة منها، وبذلك فقد حصلنا على نتاج أدبي جيد في مجال الرواية العربية قام به سهير القلماوي، ومحمد فريد أبوحديد، وفاروق خورشيد وغيرهم، والأمر الثاني أننا نجد عندنا في الكويت نموذجًا من نماذج القصص الفريد في نوعه، وذلك في القصص التي يتداولها البحارة. وقد كانت هذه الروايات الشعبية من الأمور المسلية لهم وهم على متن سفينتهم، وحين يمضون شهرًا في الطريق من الكويت إلى الهند مثلاً فليس لهم من تسلية في لياليه الطوال غير تبادل الروايات، وقد أتيح لي الاطلاع على عدد كبير من هذه القصص، وهي وإن كانت تشبه إلى حد كبير أقاصيص ألف ليلة وليلة في جوها العام، إلا أنها تختلف عنها، فهي قصص مرتجلة لهذه المناسبة ومن ثم لابد أن يكون قائلها الأصلي وهو بالطبع مجهول أحد الذين عانوا من شدة هذه الرحلات ووجد أن في ابتكاره لهذه القصص تسرية عن النفس وتزجية للوقت، وهي قصص تختلف عن الروايات الشعبية المعروفة كما ذكرنا فالأشخاص مختلفون والأماكن غير الأماكن والتسلسل في الحكاية مختلف.

ولننتقل هنا إلى عنصر من أبرز عناصر التراث الشعبي في الكويت، وهو الشعر النبطي الذي يكاد يكون النوع الباقي من أنواع هذا التراث إذا استثنينا قليلاً مما بقي لدينا من قصص وأمثال.

والشعر النبطي هو الشعر الذي يَصْطنع الشاعر في نظمه لهجته الخاصة دون الاهتمام باللغة العربية الفصحى، وهذا النوع من الشعر يعتمد في صياغته على ألفاظ البادية، ومعانيها، وإن كان شعراء الحضر يمزجون ألفاظه بما تعودوا استعماله في لهجتهم، وبخاصة مفردات حياتهم التي تأثرت بالبحر وأدوات العمل فيه إلى حد كبير، كما أن بعض المطلعين منهم على الشعر الفصيح قد ضمنوا شعرهم الكثير من الكلمات الفصيحة، بالإضافة إلى التأثر بشكل القصيدة الفصحى.



وليس هذا النوع من الشعر بجديد فقد ذكره ابن خلدون في مقدمته قائلاً:

«فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر، فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون، يأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء.. ويستطردون في الخروج من فن إلى فن في الكلام، وربما هجموا على المقصود لأول كلامهم، وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر، ثم بعد ذلك ينسبون.. وأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالأصمعيات نسبة إلى الأصمعي راوية العرب في أشعارهم، وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر: البدوي، وربما يلحنون فيه ألحانًا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية، ثم يغنون به، ويسمى الغناء باسم الحوراني، نسبة إلى حوران...».

ولاشك في أن الشعر النبطي بعد عصر ابن خلدون قد اتخذ أشكالاً عديدة وتقدم مبنى ومعنى عن ذي قبل، حتى وصل الينا هذا الفن الواسع الذي نجده لدى كثيرين من شعراء هذا العصر مثل حمود الناصر البدر ومحمد بن لعبون وعبدالله الفرج وغيرهم ممن رددت شعرهم البوادي والحواضر على حد سواء.

وفي حين يمتاز الشعر النبطي بالجزالة، ويتشبه بالشعر العربي الفصيح من حيث الاهتمام بالصياغة وإجادة المعاني والتعبير عن خلجات النفس البشرية فإن له رديفًا لا ينبغي أن نخلطه به وهو الشعر الشعبي، وهذا النوع من الشعر يكتب بالكلمات الدارجة المفهومة لدى العامة في الكويت مثلاً، التي قد لا تفهم في أماكن أخرى من جزيرة العرب، وذلك لكونها لصيقة بالبيئة، أو تشير إلى أحداث أو أمثال أو معان لا تُعرف إلا في بيئتها، ومن المتيسر على الشاعر المتمكن الذي يعيش في بيئته ويستوحي منها أن يكتب شعره بالأسلوبين اللذين أشرنا إليهما، فعلى سبيل المثال نجد الشاعر فهد بورسلي وهو من شعراء الكويت المعدودين، يكتب شعرًا شعبيًا يقول فيه:

غلق بي الدهر مخلابْ

وعلّمني بالأصحاب

حشا ما بالربع شيمه

ولا لي عندهم قيمه

ألف لعنات وسليمه

على الباير بالأحباب

ويقول من الشعر النبطي:

الدار جارت ما عليها شافه

والحر فيها شايفي ما عافه

بالك تكاثر صدها وان صدت

عاداتها عقب القبول انكافه

دار يعيش ابها الغريب منعم

وتعيش فيها أم أحمد العجّافه

ومن الجدير بالذكر هنا أن الشعر النبطي وإن حظي باهتمام القراء في مختلف أنحاء الجزيرة العربية، وذلك بإفراد صفحات من الصحف اليومية والمجالات له، وإفراد البرامج التلفزيونية والإذاعية لشعراء هذا الفن من فنون الشعر إلا أن الدراسة الوافية له لم تتحقق إلى الآن، ولاشك في أن المعلومات التي يمكن استخلاصها من الشعر النبطي من حيث اللغة أو التاريخ، أو من حيث معرفة الصفات الاجتماعية السائدة كلها مفيدة، وهي دافع قوي إلى دراسته وتوثيقه فهو سجل مهم للأحداث والآداب والصفات والتيارات الاجتماعية، كما أن الدراسة اللغوية لهذا النوع من الشعر سوف تؤدي إلى معرفة أهميته في حفظ وإيضاح كثير من كلمات اللغة العربية ومعانيها.

وإذا عدنا إلى المثالين اللذين قدمناهما للشاعر فهد بورسلي وهو شاعر كويتي قدير؛ وجدناه في الأبيات الأولى التي عددناها من الشعر الشعبي، يتحدث



بأسلوب أقرب إلى الحديث المتداول في الحياة اليومية، فهو يقول إن الدهر علمه بالأصحاب، ومن هو منهم طيب أو هو خبيث ولم يكن ليتعلم هذا الدرس من دهره إلا بعد أن أطبق عليه بالمشكلات والويلات التي سببها بعض أصدقائه، كما يُطْبق النسر بمخلبه على فريسته، ثم يقول:

حشا ما بالربع شيمه

ولا لي عندهم قيمه

وحشا هنا تقابلها في الفصحى كلمة حاشا التي تحمل معنى القسم وفي القرآن الكريم: (فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم)، وأما الشيمة فهي أيضًا كلمة عربية وتعني الطبع، ويقصد به في اللهجة بخاصة الطبع الكريم، يقول عمرو بن شأن الشاعر، مخاطبًا امرأته:

وانَّ عرارًا إن يكن ذا شكيمةٍ

تعانينها منه فما أملك الشِّيَمْ

ثم يُنحي فهد بورسلي باللائمة على أحبابه هؤلاء الذين لم يجد عندهم شيئًا من الوفاء، بل وسماهم البايرين، وأطلق عليهم اللعنات مشفوعة بكلمة سباب معروفة هي كلمة «سليمه». والباير هنا مَنْ لا قيمه له، أخذها من قولهم سلعة بايرة أي انصرف عنها الناس لعدم الرغبة بها، وعدم صلاحيتها.

أما الأبيات التي ذكرنا أنها تعد من الشعر النبطي، الذي هو في رأينا أعلى درجة من الشعبي، ففيها يتحدث عن الدار وهو يقصد وطنه الذي لم يُكرّم فيه في حياته، وأن هذه الدار قد جارت، وهي كلمة مأخوذة من الجور وهو الظلم في الفصحى، والشافة العتاب، أي لا لوم عليها.

وأنه ينبغي لك ألا تستكثر عليها الصدود فهي دائمًا على هذه الحالة، إذ إنها كثيرًا ما تُقبل ثم تدْبر، وفي اللهجة فلان نكف عليّ أي انقلب حاله عليّ من بعد الصداقة إلى عداوة.

وكلمة نكف في الفصحى: نكف وأنكف واستنكف بمعنى امتنع، وهو معنى قريب من المعنى الذي نستعمله اليوم.

إذن فالشعر النبطي نتاجٌ فكريٌّ تتمثل فيه صفات التراث الشعبي المعبر عن المشاعر الشعبية تجاه أحداث الحياة، وينبوع من ينابيع الثقافة تتضح فيه صفات التعبير الصادق عن النفس وعن البيئة الملاصقة لها، وواضح لنا اليوم أنه لا غنى للباحثين في المجال الثقافي بصورة عامة عن البحث في المأثورات الشعبية التي صارت لها مجالات واسعة في الدراسات الجامعية وغيرها.

وعندما نتحدث عن الإبداع الفني في التراث الشعبي فإننا لا ننسى على هذا الأساس التأكيد على أنه مصدر خصب من مصادر الثقافة، ونحن لذلك معنيون بدراسة هذا التراث وحفظه.

****



## الأديب الشاعر فاضل خلف[1]

أعرف هذا الرجل معرفة تامة، تربطني به صلة لا انفصام لها، ذلك لأنها قديمة جدًّا، ولأنها تصلني برجل أديب شاعر على خلق قويم، يحب أصدقاءه، ويحرص على الالتقاء بهم والتحدث إليهم. عرفته شخصيًّا منذ أوائل خمسينيات القرن الماضي، واستمرت علاقتي به حتى يومنا هذا، وهي علاقة تزداد وثوقًا يومًا بعد يوم. وكنت قد عرفته قبل هذا الزمن عن طريق قراءة ما يكتب في مجلات ذلك الزمان وعلى الأخص مجلة «البعثة» التي تحدثت عنها مرارًا في هذا الموقع من جريدة «الوطن». وهذه المجلة هي التي زفّت إلينا نبأ صدور كتابه الذي ألفه عن الدكتور الأديب زكي مبارك، وكان أبومحمد معجبًا بهذا الرجل أيما إعجاب، ولذا سارع إلى تأليف هذا الكتاب الذي كان من أبرز مؤلفاته.

والأستاذ فاضل خلف رجل غزير الإنتاج في الشعر وفي النثر له أكثر من ديوان شعر، إضافة إلى أنه لايزال مستمرًا في الكتابة، وفي المشاركة في الندوات التي يدعى إليها، وهو فوق هذا يثري النقاش الذي يدور في أي مجلس يحضره وبخاصة ديوانيات أصحابه الذين يسعدهم اللقاء به والاستماع إليه.

وُلِدَ صاحبنا في منطقة الشرق في سنة ١٩٢٧م، وهو شقيق الأخ خالد خلف الكاتب والمحامي المعروف، والأخ عبدالله خلف الكاتب الأديب الذي تولى أمانة رابطة الأدباء في الكويت لعدة سنوات وكان لوالد هؤلاء الأخوة ميول أدبية، واهتمام باقتناء الكتب وقراءتها.

---

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/١٢/٩م.

تلقى فاضل خلف دراسته في إحدى المدارس الأهلية، ثم التحق بالمدرسة الشرقية فالمدرسة المباركية، وعندما أنهى دراسته هذه اتجه إلى العمل في سلك التدريس، حيث أمضى فيه ثماني سنوات تبدأ من سنة ١٩٤٤م. وفي سنة ١٩٥٢م بدأ العمل في دائرة معارف الكويت، التي انتقل منها في سنة ١٩٥٤م إلى دائرة المطبوعات والنشر، حيث أسهم في صدور جريدة الكويت الرسمية «الكويت اليوم» وخلال عمله في هذه الدائرة أصدر أول مجموعة قصصية كويتية تحت عنوان: أحلام الشباب.

حرص صاحبنا على أن يتزود باللغة الانجليزية، فسافر في سنة ١٩٥٨م إلى بريطانيا واستقر بمدينة كيمبرج حتى سنة ١٩٦١م، وقد استفاد كثيرًا من إقامته هناك: لغة وعلمًا وثقافة واتصالات أدبية مهمة.

وعندما عاد من رحلته هذه كانت الكويت قد حصلت على استقلالها، وصار لها جهازها الدبلوماسي، فالتحق فاضل خلف بهذا الجهاز متسلحًا باللغة التي اكتسبها، والمعلومات التي حصل عليها. ولقد كان من المناسب له أن يعمل ملحقًا صحافيًّا فتم له ذلك، وكانت محطته هي تونس التي رحل إليها في سنة ١٩٦٢م، ولم يتركها إلا في سنة ١٩٧٦م. وقد كان سروري كبيرًا عندما زرت العاصمة التونسية حين كان هناك، فاتصلت به ووجدت منه إكرامًا عظيمًا، ورافقني في زيارات متعددة وبخاصة تلك الزيارات التي عرفني بها على عدد من المؤسسات القائمة في تونس، وعلى بعض دور الصحف البارزة هناك، وعلى كثير من أصحابه الأدباء والشعراء الذين تمكنت علاقته بهم على مدى الفترة التي عاش فيها بينهم، وخرجت من تلك الزيارات بمعارف كثيرة له الفضل كل الفضل في حصولي عليها. وقد عرفت من خلال كل ذلك مدى ما له في نفوس أولئك الذين شاهدتهم وعرفتهم من محبة وتقدير وأيقنت بمدى ما استفاد وطنه منه حين كان هناك. ولقد كانت



حصيلته الأدبية غامرة، قرأ الكثير من الكتب واهتم بالتراث الأدبي العربي، وكتب الكثير من المقالات والأشعار، وقد أوحت له المناظر الطبيعية الخلابة هناك بعدد من القصائد جمعها في ديوان: «على ضفاف مجردة» الذي عبر من خلاله عن انطباعاته ومشاعره حين كان في ذلك البلد العربي.

هذا وكان قوي الاتصال بالقنوات التي تدعم الأدب وتعنى بنشره، وتشجيع الأدباء، فاشترك في سنة ١٩٦٤م في مسابقة أقامتها إذاعة لندن في ذلك الوقت، وكان عنوان المسابقة «الإنسان وعالم الغد» تقدم لها أبومحمد بقصيدة تضم خمسين بيتًا من جيد الشعر في موضوع أقرب ما يكون إلى الموضوعات العلمية البحتة، ولكنه كتبه بحس شاعر، فنال بذلك الجائزة الأولى التي كان قد تقدم لنيلها ثلاثمائة شاعر من بلاد العرب كافة.

لقد عاش أخي الأستاذ فاضل بيننا بعد عودته وهو تونسي الهوى، يتحدث في أي مجلس جلس فيه عن ذلك البلد الذي عاش فيه، وعن مغانيه الجميلة، وينابيعه الثرة، وشواطئه البديعة، ولكنه لا ينسى الحديث عن أصدقائه الذين اكتسب صداقتهم في تونس، واكتسبوا بدورهم صداقته. وهذا الذي نذكره هنا هو نوع من عنصر الوفاء الذي ذكرنا فيما سبق أن صاحبنا يمتاز به ويتصف بصفاته.

ولكننا الآن نريد أن نعود بالحديث إلى هذه الأيام التي يمتعنا فيها فاضل خلف بإطلالته علينا، والجلوس معنا، والحديث إلينا. إنه حديث لا يمل ففيه الذكريات وفيه أخبار الماضين وفيه الشعر، ولا أذكر لقاء به إلا ونبّهنا فيه إلى قصيدة أو حادثة تاريخية، ولذا فإننا نأمل دائمًا في أن نحظى بلقائه.

في إحدى أمسيات يوم الثلاثاء قدم إلينا هذا الرجل الطيب الكريم، وكان الحديث عن أيام الدراسة القديمة، وسرعان ما بدأ يفيض بأحاديثه عن أيام دراسته في الأوقات التي كنا نتحدث عنها، قائلاً: إنه كان يدرس في مدرسة أهلية

حلّت في المبنى الذي كانت تشغله مدرسة السعادة التي أنشأها المرحوم شملان ابن علي آل سيف. وأبان أبو محمد أنه وجد ضمن الكتب التي يقتنيها والده كتابًا صغيرًا لطيفًا ذا ورق مصقول عنوانه «مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع» فبدأ بقراءته واستمتع بما فيه من شعر ونثر، وطاب له أن يأخذ الكتاب معه أينما ذهب وعلى الأخص في المدرسة، وهناك اطلع أحد مدرسيه على الكتاب وهو في يده فأخذه منه لكي يطلع عليه على أن يعيده فيما بعد، ولم يكن في يد فاضل خلف التلميذ الصغير آنذاك إلا أن يذعن لرغبة المدرس، الذي أخذ الكتاب، ولم يعده.

يقول الأستاذ فاضل: وبعد فترة من الزمن ذهبت إليه لكي أسترد الكتاب فهو كتاب يهمني، وهو أيضًا من ممتلكات والدي، فادعى المدرس أنه قد أعاد الكتاب إليّ منذ زمن. فأسقط في يدي وحزنت كثيرًا، وإلى يومنا هذا وأنا حزين على هذا الكتاب الذي بحثت عن مثله في كل مكان بعد أن كبرت وصرت أسافر كثيرًا بين البلدان» ولكني لم أجد منه نسخة واحدة.

كان أبو محمد حزينًا وهو يروي لنا هذه الحادثة، وقد تجاوب معه الحاضرون وحزنوا لحزنه، وكأن الحادثة قد جرت بالأمس، ولا شك في أن هذا الحزن الذي رأيناه عليه كان من الدلائل الواضحة على حبه للكتاب وللقراءة في وقت مبكر من حياته.

كنت أشارك صاحبي حزنه وهو يروي الحكاية، وكنت أتمنى لو استطعت الحصول على مثل هذا الكتاب لكي أقدمه له وأزيل حزنه، وقد تذكرت ونحن في ذلك الموقف الحزين أن الأخت موضي السيف قد جلبت لي بعض الكتب الشبيهة عندما ذهبت إلى مصر في مهمة رسمية، وكنت قد طلبت منها شيئًا من تلك الكتب التي تستطيع الحصول عليها لدى سوق مكتبات بيع الكتب المستعملة الواقع على سور حديقة الأزبكية. فنهضت مسرعًا ومددت يدي إلى خزانة الكتب التي وضعتها في الديوانية للكتب التي أحتاج إليها بشكل يومي، فكأن أحدًا لا أدري من هو وضع



الكتاب في يدي وعدت إلى مجلسي بين مصدِّق ومكذب، وناولت الكتاب المقصود، وقد تلقفه مبهورًا بالمفاجأة، وتصفحه قليلاً ثم قال: أغلب الظن أنه هو فالمحتوى يدل عليه، وكذلك الورق المصقول، وليس ذلك بمستبعد لأن طبعة هذا الكتاب الذي بين يدي هي الثالثة، وقد تمت في سنة ١٩٢٥م، ولكن، واسترعت انتباهي كلمة لكن فقلت له: ولكن ماذا يا أستاذنا؟ فرد قائلاً: في كتابي قصيدة أكثرت من قراءتها إن وجدتها في هذا الكتاب فهو ما أريد، وقد نظم تلك القصيدة وهي مشهورة لدى الجميع أبو الحسن الأنباري يرثي فيها أحد الوزراء، ومطلعها:

علوٌّ في الحياة وفي المماتِ
لحقٌّ أنت إحدى المعجزاتِ

ووجدت القصيدة ضمن المختارات التي رُصدت في الكتاب وأريتها لصاحبي الذي طار فرحًا بها، وتأكد يقينًا من أن ما بين يديه إنما هي نسخة أخرى من كتابه الفقيد، وانقلب حزنه سرورًا وبهجة عمت جميع الجالسين معه.

وفي مساء يوم الثلاثاء اللاحق حضر إلينا يعلو وجهه السرور، ويبدي استغرابه حول سرعة حصولي على الكتاب ومصادفة أن يكون هو المطلوب، ولكنني لم أشر له إلى الطريقة التي وصل بها إليّ ولعله يقرؤها في هذا المقال.

واستأنفنا أحاديث متفرقة، كانت تجارب وذكريات فاضل خلف هي محورها. ولذلك فقد وجدت المجال مناسبًا لكي أقول له:

- يا أبا محمد أنت رجل عاش عصرين. وقد شهدت الكويت القديمة، وشهدت الكويت الحديثة. عرفت كثيرًا من الناس وخالطتهم ولك من بينهم أصدقاء، ولا أشك في أن لديك حصيلة وافرة من المعلومات والأخبار التي نحن في حاجة إلى معرفتها. وقد حضرت الندوة التي أقامتها رابطة الأدباء في الكويت حين اشتركت مع أخويك خالد وعبدالله في استعراض ذكرياتكم وهي كثيرة كنا نتمنى ألا تتوقفوا

عن الحديث حولها في تلك الليلة لما حَوَتْه من طرائف ونوادر وأخبار مما مر عليكم في حياتكم السعيدة.

ألا تجد بعد هذا العرض أننا في حاجة ماسة إلى أن تقوم بكتابة مذكراتك عن الفترة التي عشتها، وعن الناس الذين خالطتهم وعن الأحداث التي جرت خلال تلك الفترة من حياتك أدامك الله؟

تردد أبو محمد ثم قال إن هذا أمر صعب يحتاج إلى جهد كبير لا أستطيع أن أبذله الآن. ولكن الأمر كما تقول. إنه ينبغي أن أسجل كل ذلك، غير أن وقت التسجيل فات منذ زمن. فرددت عليه قائلاً: لا يزال الوقت مناسبًا وأنت ولله الحمد تتمتع بذاكرة قوية ها أنت تسرد علينا في كل جلسة شيئًا مما مر بك في حياتك فاكتب هذه الأشياء على مهل، ولو أنك سطرت في كل يوم صفحة او اثنتين فَسَجَّلْت تلك الذكريات على الورق لحصلنا بعد فترة وجيزة على كمية هائلة من الأوراق المليئة بما كتبت، ولكنت قمت بما نتمناه، وما ينبغي أن يقوم به واحد مثلك.

غمغم صاحبي بما يوحي بالموافقة دون أن يصرح بها تصريحًا كاملاً شافيًا، ولكننا اكتفينا بذلك، وانتهت الجلسة بعد أن استمع إلى تأكيد جميع الحاضرين على ما قُلْتُهُ له.

ومضى أسبوع كامل، وفي مساء الثلاثاء التالي جاءنا الأخ الأستاذ صالح المسباح (ذاكرة الكويت) برسالة من فاضل خلف، وحين فتحتها وجدت أن هذه الرسالة كانت بمثابة إعلان عن اقتناعه أخيرًا بكتابة ذكرياته، وقد أرسل ضمن رسالته أول ورقة خطّها بهذا الشأن، وكان يقول في رسالته: «هذه نبذة من الذكريات التي وعتها الذاكرة: «وجدت مفاجأة سارة في أحد الكتب رجعت بي أكثر من خمسين سنة إلى الوراء، عندما كنت في ريّق العمر وشرخ الشباب وتحديدًا في سن الخامسة والعشرين وهذه المفاجأة تؤكد ما قلته إن تجارب عشاق الكتب



تتقارب ولا تتساوى فلكل تجاربه ولكل ذكرياته ولكنها في النهاية متقاربة، وهذه المفاجأة هي التي ذكرتني بصديق عزيز هو الأستاذ عثمان فيض الله المصري مفتش الاجتماعيات بالمعارف في سنة ١٩٥٢م، وكنت كما قلت موظفًا في إدارة ومالية المعارف، وكان بيني وبين مفتشي المعارف ودٌّ كبير، وكنّا نتبادل الأشعار الأخوية خصوصًا مع الشعراء منهم، فهناك الشاعر أحمد أبو بكر إبراهيم مفتش اللغة العربية، وهناك الشاعر عبدالعظيم بدوي وهناك الشاعر أحمد عنبر، وهناك الشاعر أحمد العدواني وهناك الشاعر عبدالمحسن الرشيد يرحمهم الله وقد أصبحت تلك القصائد حديث عشاق الأدب في ذلك الزمان سواء أكانوا من المدرسين أم الموظفين في المعارف أم من غيرهم من محبي الأدب والشعر. وهذه إحدى القصائد التي نظمتها في تلك الأيام وقد مضى عليها أكثر من خمسين سنة، وعنوانها (مصر) وقد نسيت بعضًا من أبياتها:

أُمَجِّدُ مصرًا موطن السادة النُّجُبِ
وأمنحها شعرًا يفيض من القلبِ
ومهدُ الحضارات التي عمَّ خيرُها
جميع ربوع الأرض في الشرق والغربِ
فضائلُها الشماءُ باتت كثيرةً
من العلم والعرفان والمورد العذب
وها هي ذي قد أرسلت خيرَ ولدها
موافي وعبدالعال من خيرة الصَّحب
وعثمان فيض الله لم ننسَ ذكرَهُ
يقول له أهل الكويت على الرَّحب
رجالٌ كرامٌ يمطرونَ بغيثهم
مرابعَنا العطشى فتظفرُ بالكسب

وأمـا أبـو بـكـر الـعـلـيـم فـإنـه
وَعَـتْـهُ بـكل الحـبِّ ذاكـرة الشعب
لأن لـه شـعـرًا جـمـيـلاً مـنـغَـمًا
تـغـنّـى بـه كـل الـشُـداةِ عـلـى الـدرب
وأمّـا خـمـيـسُ فـهـو فـي الـفـن رائـدٌ
وديـوان رامـي نـابـضٌ يـجـنِيَ الحب
فـبـوركـتِ يـا أرضَ الـكـنـانـةِ بـالـنّـدى
أتـاك مـن الـرحـمـن.. مـن صـيّـبِ الـسّحب

وفي رسالته إشارة لم نذكرها هنا إلى ما ورد في ص ٣٢ من الكتاب وقد رجعت إليها فوجدت أبياتًا للشاعر أبي فراس الحمداني يصف فيها نفسه، ومطلعها:

غـيري يُـغَـيِّـرُهُ الـفـعـال الجـافي
ويـحـول عـن شـيـمِ الـكـريم الـوافي

وعندما اتصلت به بواسطة (المسرّة) أسأله عن هذا الأمر أوضح لي أنه يقصد كتابًا آخر غير هذا الذي نتحدث عنه.

وفي رسالته أيضًا أسماء عدد من زملائه الشعراء الذين كان يعمل معهم في دائرة معارف الكويت قبل أن تتحول لتصبح: وزارة التربية، وكان هذا الجمع الكريم يتبادلون الأشعار بينهم في مختلف الموضوعات، وهؤلاء هم:

١ - الأستاذ أحمد مشاري العدواني شاعر الكويت المعروف وكان أحد المسؤولين في الدائرة.

٢ - الأستاذ عبدالمحسن الرشيد، وهو من شعرائنا المعروفين، وكان من خيرة المربين والإداريين عندما انتقل ليتولى الإشراف على الوسائل التعليمية في الوزارة وأبدع في عمله هذا أيما إبداع.



٣ - الأستاذ أحمد عنبر، وهو أيضًا شاعر معروف له دواوين مطبوعة إضافة إلى كتب نثرية متعددة، يعمل في دائرة المعارف مسؤولاً عن الامتحانات ثم انتقل إلى العمل في سلك التوجيه الفني، وله مشاركات في احتفالات الوزارة.

٤ - الأستاذ عثمان فيض الله، كان موجهًا للجغرافيا في الوقت الذي عرفه خلاله الأستاذ فاضل خلف، وكان هذا الرجل عالي الهمة لطيفًا، على خُلُق كريم شارك في تأليف بعض كتب الجغرافيا المقررة على طلاب وطالبات المدارس إبان فترة عمله في الكويت.

٥ - الأستاذ عبدالعظيم بدوي موجه للغة العربية وهو شاعر بارز ضمن زملائه هؤلاء له مشاركات في الحفلات التي كانت تقيمها دائرة المعارف في المناسبات التي تدعو إلى ذلك، كان محبوبًا بين زملائه، وكم أتمنى لو عثرنا على شيء من شعره، أو معلومات عنه بعد أن غادر الكويت بانتهاء إعارته لها.

٦ - الأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم، وهو موجه فني من أبرز موجهي اللغة العربية شاعر جيد الشعر يشارك في كل مناسبة، فيلقي قصائده التي ينتظرها الحاضرون وأسهم في تأليف أول كتاب للقراءة في الكويت تم إقراره للدراسة في السنة الأولى الابتدائية، ولعل كثيرين منا يذكرون ذلك الكتاب الذي يبدأ بدرس صار مشهورًا فيما بعد، وهو: مع حمد قلم.

٧ - الأستاذ خميس وهو رائد من رواد فن الرسم كما ورد في أبيات الأستاذ فاضل خلف، وقد سبق له أن رسم ما ورد في ديوان رامي من رسوم، وقد علق الأستاذ على ذلك بقوله: «رسم خميس. مفتش الرسم صور الديوان، وكان ينظم شعرًا لا وزن له في الهجوم على عبدالمحسن الرشيد الذي أمطر خميسًا بوابل من شآبيبه» وله تعليق آخر يقول فيه: «يرجى إعطاء السيد ابراهيم أحمد عنبر نسخة من هذه الكلمة» وهذا نوع من الوفاء لصاحب له قديم يوجهه إلى ابنه ابراهيم الذي كان حاضرًا في ديوانية الثلاثاء يوم كان الأستاذ فاضل موجودًا.

قصدت من وراء هذا المقال إلى جانب الإشادة بأديب من أدباء الكويت، وشاعر من شعرائها. فهو يستحق الإشادة، ويستحق منا أكثر من ذلك مما أرجو أن يقوم به بعض أبناء البلاد أو إحدى مؤسساتها الإعلامية أو الثقافية.

أقول إنني قصدت إلى جانب كل ذلك أن أزف إلى قراء «الوطن» نبأ بدء الأستاذ فاضل خلف بكتابة مذكراته التي كنا نتمنى أن يكتبها قبل أن تمحى من الذاكرة وها هو قد بدأ كتابة الصفحة الأولى ونحن بانتظار المزيد حتى يصل الحديث إلى مسيرته كاملة.

أمدّه الله بالصحة والعافية، وحفظ ذاكرته التي استوعبت الكثير خلال سنوات عمره المديد إن شاء الله.

إضافة: اسم الموجّه الرسّام كاملاً هو: محمد خميس شحاده، أما الديوان المشار إليه في المقال فقد تم طبعه في سنة ١٩٤٧م.

****



# ملحاق خير

ليس هذا الملحاق كغيره، ولكنه يأخذ شكلًا آخر، ذلك لأنه كلمة رثاء في شخص عزيز عليَّ جدًا، وعلى كل من عرفه. في يوم الجمعة الموافق للسادس من شهر نوفمبر لسنة ٢٠٠٩م، فقدنا رجلاً كريمًا وأخًا عزيزًا هو الدكتور عصام الشربيني البارع في عمله، الذي عاش بيننا في الكويت منذ سنة ١٩٥٩م واستمر بها إلى يوم وفاته، وكان مثالًا للطيبة والأخلاق الراقية، والثبات على المبدأ، والزهد في حطام الدنيا. كان يؤدي الخدمة الطبية في كل وقت، وفي كل مكان، إنه يلتزم التزامًا تامًا بمواعيد العمل ويواظب على أدائه دون تأخير، ولكنه لا يمتنع عن إسعاف مريض ومعالجته في أي وقت آخر، وهذا الأمر إضافة إلى ما جُبل عليه من خلق قويم ومحبة للناس أدى إلى حفظ اسمه، واستحق بموجبه تقدير الجميع ومحبتهم.

عرفت هذا الطبيب الفاضل منذ السنوات الأولى لستينيات القرن الماضي، كانت معرفتي أولًا بصديق له يماثله في كثير من طباعه هو المرحوم الدكتور سعيد النجار، وامتدت معرفتي وصداقتي من الدكتور سعيد إلى الدكتور عصام الشربيني منذ ذلك الوقت، وكان يبدي دائمًا الصفات الحميدة التي تميز بها، ويكشف عن مقدرة مهنية عالية، ولذا فقد اعتبرت معرفتي به مكسبًا شخصيًا مهمًا، كما اعتبرتها حسنة من حسنات الدكتور سعيد النجار يرحمه الله.

لقد مضت الأيام ونحن على صلة بهذا الرجل أنا ووالدي وأخواي مرزوق وعبدالله بل وعمَّت المعرفة به سائر الأسرة لأنه يستحق بالفعل أن يكون عند حسن الظن. كان الرجل يتفقدنا ويسأل عنا، ويزورنا بين وقت وآخر في ديوانية الثلاثاء وكنا نسعد به وبلقائه وبأحاديثه العذبة فهو رجل صاحب تجارب كثيرة، له صلات مع كثير من الناس يحبهم ويحبونه، ويحرص على الاتصال الدائم بهم، وهو عندما يتحدث عن أصدقائه هؤلاء يشعرك وكأنهم أصدقاء لك فهو بطبيعته يقرِّب بين البعيدين، ويُجمِّل صورة الأشخاص فلم نسمع منه في يوم من الأيام قَدْحًا بأحد، ولا قولًا سيئًا في شخص من الأشخاص. لقد عاش عفيفًا نزيه اللسان واليد والقلب. ولذا فقد كانت خسارتنا به كبيرة جدًّا. يرحمه الله رحمة واسعة، وألهمنا الصبر على فراقه.

****



## الكويت في عيني مصور هنغاري ١٩٥٦م[1]

لهذا المقال - أيضاً - علاقة بالنفط استكشافاً ونقلاً وتصفية، ذلك لأن الأمر هنا يتعلق بعمل قامت به شركة نفط الكويت المحدودة، هذه الشركة التي بدأ عملها في سنة ١٩٣٤م، وفي شهر ديسمبر من السنة ذاتها حصلت على حق التنقيب عن النفط وإنتاجه في الكويت ضمن امتياز مطلق، وقد عثرت على أول بئر مُبشر بإنتاج غزير في سنة ١٩٣٨م، وذلك في منطقة برقان، وحين بدأت الحرب كانت الشركة قد أنجزت حفر ثماني آبار، ولكنها أغلقتها حتى لا تتعرض لمكروه خلال تلك الفترة الحاسمة من تاريخ العالم، ألا وهي فترة اشتعال الحرب العالمية الثانية، ولكن الشركة عادت إلى العمل وفتحت مجال الإنتاج منذ سنة ١٩٤٥م، بعد زوال السبب الذي توقفت من أجله، وفي سنة ١٩٤٦م بدأ تصدير أول شحنة للنفط الخام باحتفال كبير كان على رأسه أمير البلاد الأسبق الشيخ أحمد الجابر الصباح، ومنذ ذلك الوقت والقدرة النفطية في البلاد تتزايد حتى وصلت إلى حد كبير من غزارة الإنتاج.

وفي سنة ١٩٧٥م تملَّكت حكومة الكويت هذه الشركة الكبيرة وآلت كل ممتلكاتها إلى الوزارة التي تمثل الأنشطة النفطية في البلاد، وتطورت الأمور بعد ذلك بتعدد شركات النفط الكويتية واتساع مجالات الاستكشافات، وتأسيس مؤسسة البترول الكويتية التي صارت بمثابة مظلة تنطوي تحتها كل الشركات الحكومية النفطية.

ما أريد أن أقوله هنا هو أنني سوف أتحدث عما قبل هذه المرحلة حين كانت شركة نفط الكويت المحدودة تعمل لحساب الشركات الأجنبية قبل سنة ١٩٧٥م.

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ١٦/١٢/٢٠٠٩م.

بعد أن عثرت الشركة المذكورة على النفط في حقل برقان؛ أخذت تستعد للمرحلة القادمة وهي مرحلة الإنتاج والتصدير، وقد وجدت نفسها في حاجة إلى موقع عمل إداري وفني كبير يستوعب كل ما تريد أن تقوم به من أعمال مساعدة على إنجاز عملها الأصلي، لقد كان واضحًا أنها تحتاج إلى مواقع إدارية ومخازن وورش صيانة ومساكن للعاملين فلم يكن أمامها إلا إنجاز مدينة الأحمدي التي برزت إلى الوجود في سنة ١٩٤٨م، وأطلقت عليها الشركة هذا الاسم تيمناً باسم الشيخ أحمد الجابر الصباح الذي تم اكتشاف النفط في عهده، والذي منح حق الامتياز عن التنقيب عنه. وبسرعة فائقة استُكملت حاجات هذه المدينة من طرق وأسواق وحدائق ومساكن، وأماكن لتخزين النفط الخام تمهيدًا لنقله إلى ميناء الأحمدي شرقًا ولم تنس الشركة الاهتمام بعدة أمور منها:

**١ - العناية الصحية، ونظافة الطرق والأماكن الأخرى.**

**٢ - إيجاد وسائل التسلية للعاملين.**

**٣ - التدريب المستمر لموظفيها وعمالها.**

**٤ - العناية بالسلامة والأمن الصناعي.**

هذا بخلاف العمل في المجال النفطي المباشر، من إقامة محطات الضخ، والاهتمام بتطوير الحقول وغير ذلك.

وقد حرصت الشركة على الناحية الإعلامية التي لم تكن منصبة على عملها وحده، بل كانت تعم الكويت بأسرها، وقد لاحظنا وجود المتحف النفطي الذي يؤمه كافة زوار الأحمدي، ورأينا مجلة «الكويتي» التي كانت تصدر معبرة عن الأنشطة المتعددة في مواقع شركة نفط الكويت خاصة وفي أنحاء البلاد عامة، ووجدنا هذه الشركة - أيضًا - تنتج أفلامًا سينمائية تسجيلية أسهمت الآن في حفظ كثير من المعلومات عن الفترة التي تم تصويرها فيها. وإضافة إلى كل ذلك فقد كانت تهتم



اهتمامًا كبيرًا بالتصوير الفوتوغرافي وتستجلب كبار المصورين من الخارج لكي يسجلوا بآلاتهم كل ما يقع تحت أعينهم في دولة الكويت. وهذا هو موضوع مقالنا لهذا اليوم.

لقد كان اعتناء الشركة كبيرًا بالتصوير، ولذلك فقد اجتمعت لديها كميات كثيرة من الصور عن حياة الكويت القديمة إضافة إلى الصور التي تمثل أعمالها منذ أن بدأت الاستكشاف والتنقيب. وقد أقيم قبل سنوات وجيزة معرض لهذه الصور فكان مليئًا بكل ما يمكن أن يخطر على بال المواطنين فيما يتعلق بماضي وطنهم.

في سنة ١٩٥٦م، وسنة ١٩٥٨م، وسنة ١٩٦٠م، استدعت الشركة فنانًا من كبار الفنانين المتخصصين بالتصوير الفوتوغرافي، وهيأت له كل السبل لكي يقوم بتصوير ما يراه في البلاد خلال جولات يقوم بها في كل مكان، وقد كان عمله في هذه الزيارات الثلاث مهمًّا لأنه واكب انتقال دولة الكويت من مرحلة إلى أخرى بسبب تدفق النفط وتوفر السيولة النقدية التي ساعدت على إنجاز الكثير من المشروعات المهمة في التعليم والصحة وغيرها.

والمصور الذي اختارته الشركة للقيام بالتصوير هنا في الفترة التي أشرنا إليها فنان هنغاري الأصل استوطن بريطانيا ومنها بزغ نجمه في مجال التصوير، وشارك في عدد كبير من المعارض نال من خلال مشاركته فيها الثناء على جهوده وقد قيل عنه إنه «ما من معرض كبير في فن التصوير الفوتوغرافي يقام في البلد أو ذاك إلا وتشهد فيه زاوية خاصة تحمل اسمه بحروف بارزة، وتضم مجموعة كبيرة متباينة من المناظر والمعالم الجميلة التي استطاع أن يلتقطها بصندوقه السحري». هذا الفنان هو «ادولف موراث» الذي قدم إلى الكويت في الفترات السابق ذكرها، واستطاع أن ينتج عددًا كبيرًا من الصور التي نعتز بوجودها بين أيدينا الآن وذلك من ناحيتين أولهما جودة تلك الصور لأنها خرجت من يد فنان عالمي كبير، وثانيهما أنها صورت مرحلة مهمة من مراحل الحياة على أرض وطننا.

أهدى إليّ الأخ الكريم عبدالرحمن الخرجي - كعادته - بعض أعداد من مجلات قديمة مختلفة، ذلك لأنه يعرف مدى اهتمامي بهذا النوع من المجلات. وكانت المجلة التي لفتت نظري منذ البداية: مجلة «العالم» وهي مجلة سبق أن تحدثت عنها ضمن مقالي عن التلفزيون، ولكن هذا العدد الذي هو بين يدي الآن صادر في شهر مارس لسنة ١٩٦١م، وهو العدد العاشر للسنة التاسعة من عمر المجلة المذكورة.

يمتلئ هذا العدد - كما في الأعداد السابقة - بكثير من المعلومات المفيدة، ومنها موضوع بعنوان: «الكويت في عين أحد أقطاب التصوير الفوتوغرافي» ومن هنا أتت فكرة هذا المقال، وهذه محاولة مني لعرضه، وبيان ما ضم من صور خلابة التقطها هذا الفنان الكبير.

بدأ مقال المجلة بمقدمة عن الفن والفنانين، ولكنها تدرج فيما بعد ليتحدث عن «أدولف موراث» ثم يقول: «ولعل الكويت هي البلد العربي الوحيد الذي حظي بعبقرية هذا الفنان العظيم الملهم» ثم يضيف: «وكان نتيجة ذلك إن استطاع بالصور الوافرة العدد التي التقطها أيام هذه الزيارات الثلاث، أن يقدم صورة ناطقة حية تبين بوضوح تام عظمة الخطوات الواسعة الجريئة التي خطتها الكويت في تطورها الوثاب منذ أن تدفق الذهب الأسود من رمالها الصفراء المتوجهة».

بعد هذه المقدمات ذكرت المجلة أن مندوبها المتجول قد أُتيحت له فرصة الالتقاء بالفنان الذي قام بهذا الجهد الفني الكبير وقدم تلك الصور المبهرة، وكانت نتيجة هذا اللقاء محاورة بين الطرفين أوردتها المجلة وهذا بعض ما ورد فيها باختصار.

جاءت المحاورة على الوجه التالي:

**س - ما هي الأشياء التي لفتت انتباهك أكثر من غيرها عندما زرت الكويت لأول مرة؟**

ج - الأعمال الإنشائية بالطبع. ففي عام ١٩٥٦، وهو العام الذي زرت فيه الكويت لأول مرة، كانت الحكومة ماضية في تنفيذ برنامج الأعمال والإنشاء الذي



وضعته في عام ١٩٥٢. وكانت الأعمال القائمة أنئذٍ متركزة في تخطيط المدن، وأعمال البناء، وتزويدها بالماء والكهرباء، ومشاريع تعميم التعليم، وتأمين وسائل الصحة، ومد الطرق، وتشييد المنازل، بالإضافة إلى تشييد ميناء جديد. وما زلت أذكر كيف تراءت لي مدينة الكويت حينئذٍ. فقد كانت محاطة بسور عال، في حين أن المدينة ذاتها كانت أشبه ما تكون بمحارة كبيرة الحجم، مليئة بالطرقات الضيقة المتعرجة ذات اليمين وذات اليسار بين عمارات ومنازل مشيدة من الآجر المجفف بحرارة الشمس. أما اليوم فتختلف الآية تمام الإختلاف. فأول ما يلفت أنظار القادم إليها جوًّا، هو الطريقة الهندسية البديعة التي نظمت بموجبها شوارعها الجديدة التي تتفرش من وسطها كانفراش أشعة الشمس.

**س - هل يعني هذا أن الأبنية القديمة أزيلت كليًا، أو أن بعضها ما زال قائمًا حتى الآن؟**

ج - أستطيع أن أقول أن البلدة القديمة قد اختفى الكثير منها، وأن المدينة بأكملها جرى تشييدها ثانية على نحو يخلب الألباب. وتقوم إلى جانب عمارات المكاتب الشاهقة مئات الحوانيت والمخازن الجديدة، وعدة فنادق حديثة الطراز، وغيرها من الأبنية الجميلة، لا سيما الجوامع التي ترتفع مآذنها إلى عنان السماء. وبالإضافة إلى المنازل التي شيدتها الحكومة من أموال الدولة لإسكان العائلات ذوات الدخل المتواضع، فقد قامت مؤسسات خاصة ببناء عدد لا يستهان به من المنازل على أحدث ما توصل إليه فن المعمار الحديث، وذلك تلبية لرغبات أبناء الطبقة المتوسطة الصاعدة، الذين أصبحوا اليوم من رجالات الأعمال النشطاء، أو مقاولين في عدة ميادين، أو أصحاب اختصاص في عدة حرف ومهن. وشيدت أكثر هذه المنازل من الطوب الملون الذي تنتجه معامل الحكومة من الرمل والجير.

**س - لقد ذكرت آنفًا أن الطرقات القديمة الضيقة أزيلت بالمرة، وحلّت محلها شوارع جديدة الطراز. فهل لك أن تحدثنا شيئًا عنها؟**

ج - بكل سرور. فمشروع بناء الطرق والشوارع كان في مهده عندما زرت الكويت لأول مرة. ولكنه تم اليوم تعبيد مئات الأميال من الطرق العريضة والشوارع

الفسيحة التي تنطلق فوقها آلاف السيارات من جميع الأحجام بسرعة البرق الخاطف. ولعلك قد تعجب إذا قلت لك أن الكويت هي اليوم من أكثر البلدان التي تكتظ شوارعها بحركة السير! وكثير من طرقها مزدوج الطراز تتخلله دوائر وقواطع مغطاة بالبسط السندسية والأزهار، وتطوقها الأشجار الزاهية الاخضرار. وتم قبل مدة شق طريق ساحلية تربط مدينة الكويت بميناء الأحمدي، كما أنها تمتد شمالاً في اتجاه الحدود العراقية. ويجري الآن بناء كورنيش أمام مرسى السفن القديم في مدينة الكويت، مما غير كثيرًا من معالم الشاطئ كما عرفته في عام ١٩٥٦. فقد كانت مراكب الداو وقوارب الصيد الصغيرة هي أكثر ما يشاهده المرء في هذه الناحية، أما اليوم فإن السيارات السريعة هي أكثر ما تلتفت إليه الأنظار فيها. ومن أهم المشاريع الإنشائية التي أنجزت مؤخرًا، هو بناء ميناء جديد في الشويخ الواقعة على مقربة من الجهة الغربية من مدينة الكويت. وقبل أن يُفرغ من تشييد هذا الميناء في أوائل العام الماضي، كان يترتب على جميع السفن، ما عدا الصغيرة منها، أن تفرغ حمولتها في مواعين أو قوارب ناقلة بعيدًا عن الشاطئ. أما الآن فقد أمكن، بعد صرف عدة ملايين من الجنيهات، شق قناة داخلية وبناء مرسى عميق يمكن بها استقبال سفن يبلغ غاطسها ٢٨ قدمًا. كما تم بناء رصيف من الإسمنت المسلح يبلغ طوله ٢٤٠٠ قدم، وهو ذو أربعة مراسٍ يمكنها استقبال الشاحنات المتوسطة الحجم.

**س – هل لمست شيئًا من نشاط التعليم خلال زياراتك الثلاث؟**

ج – لم ألمس فقط، بل اختبرت أيضًا. ففي عام ١٩٥٦ لم يزد عدد المدارس الكويتية، على اختلافها، على ٥٠ مدرسة. ولكن هذا العدد تضاعف الآن تقريبًا. وجميع هذه المدارس مزودة بأحدث الأدوات ومفروشة بأفخر قطع الأثاث، وفي وسعي أن أقول جازمًا إنه لا يوجد لها نظير ليس في الشرق الأوسط فحسب، بل في أغلب أقطار العالم. زد على ذلك أن التعليم في جميع مراحله مجاني، كما تقدم للطلاب وجبات الغذاء من مطبخ مركزي يشتمل على أحدث أجهزة الطهو.



ويجدر بي أن أذكر هنا أن مدرسة الشويخ الثانوية كان قد فرغ توا من تشييدها عندما زرت الكويت لأول مرة، وكانت لا تزال حينئذٍ محاطة برمال الصحراء. أما اليوم فقد غدت لؤلؤة وسط الجنائن الفيحاء والبرك المزدانة بالفسيفساء والملاعب الفسيحة الأرجاء. ولا أكون مبالغًا إذا قلت أن ملعبها الرياضي الكبير يمكنه على رحابته وحسن هندسته أن يستوعب إحدى الدورات الأولمبية. والأمل معقود بإذنه تعالى على أن تصبح هذه المدرسة العامرة نواة جامعة في المستقبل القريب يؤمها الشباب الناهض في منطقة الخليج.

**س – من المعلوم أن الكويت اشتهرت قديمًا وحديثًا بالغوص على اللؤلؤ وبناء السفن، سيما مراكب الداو. فهل هنالك صناعات أخرى جديدة نشأت في الكويت مؤخراً؟**

ج – نعم فبالإضافة إلى معمل الطوب الملون الذي سبق لي وذكرته في مستهل حديثي، هناك مصنع آخر لسكب كتل للبناء من الإسمنت المسلح. وصناعة المشروبات المرطبة رائجة للغاية ويوجد عدة معامل تنتجها. ومن الصناعات التي تديرها مؤسسات خاصة، هي صناعة البلاط، وتصليح السيارات ومحركاتها، والثلج، والأوكسجين، والمفروشات المنزلية، وصقل الرخام المستورد، وصنع السلع من الحديد الجاهز الصنع. وتألفت شركة لاستهلاك غاز الوقود في الشؤون المنزلية وغيرها. وعدا النفط، فإن الكويت تفتقر كثيرًا إلى الخامات المعدنية، حتى ماء الشرب ترتب عليها في الماضي استيراده من الخارج. أما اليوم فيوجد لديها معمل لتقطير ماء البحر لاستخدامه في الشرب. وهو أكبر معمل من نوعه في العالم قاطبة، إذ يبلغ ماينتجه يوميًا من الماء العذب قرابة خمسة ملايين غالون.

**س – إن أكثر ما ذكرته حتى الآن تركز في التغيرات المهمة التي طرأت في مدينة الكويت وضواحيها. فهلّا ذكرت لنا شيئًا عن التطورات التي حدثت في مدينة الأحمدي وميناءها؟**

ج – لعلك تعلم أن هذه المدينة هي المقر الرئيسي لأعمال شركة نفط الكويت المحدودة. وهي لم تنبثق إلى الوجود إلا منذ أن شرعت هذه الشركة في أعمالها.

وقد تغيرت معالمها منذ شاهدتها أول مرة ، إذ أصبحت مدينة عامرة تضم قرابة سبعة آلاف نسمة، يشتغل أكثرهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في صناعة النفط. وتشتمل العمارات التي ارتفعت في سماء مدينة الأحمدي مؤخرًا على بيت الضيافة الحكومي، ومكاتب الحكومة لشؤون النفط. ولابد لي من أن أخص بالذكر مستشفى ساوثويل الذي شيدته شركة النفط لتأمين المعالجة الطبية لجميع موظفيها وعمالها. كما شيد عدد من النوادي يستطيع الموظفون والعمال فيها التمتع بالراحة والرفاهية. ولعل نادي الأحمدي المخصص للعمال هو أرقاها جميعًا، إذ يضم بركة للسباحة، وصالات للجلوس ومطعمًا. ولم تقتصر هذه التحسينات على مدينة الأحمدي وحدها، بل شملت ميناء الأحمدي كذلك لاسيما أجهزة مراسي السفن ومعداتها. ففي سنة ١٩٥٦ لم يكن هناك سوى رصيف واحد يمكنه أن يستقبل ثماني ناقلات في آن واحد. أما اليوم فقد أضيف إلى الميناء رصيف ثانٍ يبعد قرابة أميال إلى الشمال من الرصيف الأول. وهو يمتد إلى ما يقرب من ميل داخل البحر، ويستطيع أن يستقبل ناقلتين ضخمتين من عابرات المحيط في وقت واحد. ومن التغيرات الأخرى التي تمت في هذا الميناء، إضافة وحدتين جديدتين إلى معمل تكرير النفط، وتوسيع محطة القوى الكهربائية، وإقامة مجموعة جديدة من خزانات النفط لتخدم الرصيف الجديد.

**س – كيف وجدت مستوى الجهاز الإداري؟**

ج – وجدت أن جميع الموظفين الذين احتككت بهم على مبلغ كبير من الثقافة، لطفاء، ويؤدون أعمالهم على خير ما يرام، ويقدمون المساعدة لكل من يطلبها. ولا بد لأية حكومة هؤلاء موظفوها أن يكون جهازها الإداري ذا مستوى رفيع.

**س – وما هي انطباعاتك عن السكان إجمالاً؟**

ج – جميعهم ذوو قلوب مفتوحة وبيوت رحبة، سواء الفقير منهم أو الغني، وهم من حيث الأخلاق غاية في النبل والشرف. ولم أكن أقدر قيمة ما كان يقصد بالكرم العربي إلا بعد أن نزلت أرض الكويت. وكان من أكثر ما استحوذ على



مشاعري ورع الكويتيين ومخافتهم لله. فما من كويتي واحد إلا وتراه يوقف أعماله عند حلول أوقات الصلاة ليقدم شكره إليه تعالى. وهذه الصفة، يؤسفني أن أقول، غدت معدومة تقريبًا لدى الكثيرين من أبناء أوروبا.

**س – هل هناك أشياء أخرى استرعت انتباهك؟**

ج – نعم. التباين بين القديم والحديث.. العربة إلى جانب السيارة.. الزي الإفرنجي إلى جانب الزي العربي.. الانتقال في لحظة واحدة من جو المدينة الصاخب إلى جو الصحراء الهادئ، فهذه كلها أشياء استهوتني إلى حد كبير، وأملي أن تظل على ما هي عليه، لأن الشرق بدونها يفقد سحره وجماله.

**س – هل من كلمة أخيرة تود أن تذكرها على صفحات «العالم»؟**

ج – طالما أنك أتحت لي هذه الفرصة، فإني أرغب في استغلالها بكل تأكيد. وكل ما أود أن أقوله هو إن جميع ما حققته الكويت في تأمين الخدمات الطبية والتعليمية والاجتماعية لجميع أفراد الشعب جاء كما لا يخفى على أحد، نتيجة عوائد النفط. ولكن لولا وجود حاكم رشيد عرف بالتقوى والحكمة والورع وعرف كيف يستغل هذه العوائد ويسوس رعيته مرشدًا هاديًا، لما انتشرت فوق أرضها ألوية هذا الرخاء والثراء، ولما عم في ربوعها الأمن والسلام. وإذا استمرت الحالة على ما عليه الآن فلا أشك مطلقًا في أن الكويت ستكون في عداد الأقطار العربية المتوثبة في الطليعة.

ونجد أنفسنا الآن في حاجة الى إلقاء نظرة على الصور التي قام بالتقاطها الفنان الكبير «أدولف موراث» لأنها تدل على تمكنه في فنه، وتدل - أيضًا - على الصورة التي رأى عليها الكويت آنذاك. وسوف نستعرضها بالترتيب وفق ما ورد في مقال مجلة «العالم» الذي تحدثنا عنه ونقلنا منه. وهي كما يلي:

**١ – صورة شاملة لمدرسة الشويخ الثانوية، وهي معلم من معالم الكويت الحديثة، تظهر الصورة اتساع المكان وهندسة المباني، وحسن توزيعها. ومن المعروف أن هذه المدرسة صارت الآن جزءاً من جامعة الكويت وجرت عليها تعديلات كثيرة.**

٢ - نموذج يبين مدى اهتمام حكومة الكويت بصحة الأطفال وفي الصورة ممرضة قانونية تجري فحصًا طبيًا على عدد منهم، في إحدى رياض الأطفال الحكومية، ويبدي المكان وما فيه مدى الاستعدادات المتاحة للعناية بالصحة ورعاية النشء حرصًا على دوام تمتعهم بالعافية.

٣ - ساحة الصفاة تعجُّ كعادتها بالنشاط والحركة، ولا عجب في ذلك إذ كانت منذ القدم موضعًا للقاء الحاضرة بالبادية من أجل تبادل المنافع التجارية، ولا تزال هذه الساحة تتمتع بقيمتها وأهميتها على الرغم مما أضيف إليها من مبانٍ وأجري عليها من تعديلات.

٤ - في قاعة الرسم بثانوية الشويخ حيث تتاح للطلاب كل الفرص للإبداع وللتعبير عن النفس. ومن هذه القاعة تخرج اللوحات التي تعرض سنويًا في المعرض الفني الذي تقدمه هذه المدرسة الكبيرة.

٥ - هذا هو أحد مساجد الكويت الشهيرة، يقع في منطقة المرقاب على الشارع الهلالي (شارع عبدالعزيز الصقر حاليًا) وهو مسجد الشملان.

٦ - وجبة الغداء في روضة من رياض الأطفال حين كان دوام الروضة يستمر إلى قرب المساء، وقد جرى تعديل على هذا النظام، ولكن الصورة التي بين يدينا تدل على الجهد المبذول في رياض أطفال ذلك الزمان، وعلى النظام والنظافة التأمين في القاعة التي تبرزها هذه الصورة.

٧ - نحن في موقع حقل برقان النفطي الشهير، وهذه الصورة تبين أحد مراكز تجميع النفط هناك، ومن الجدير بالذكر أن هذا الموقع يستوعب ما تنتجه عشرون بئراً تقريباً، وذلك في السنة التي التقطت فيها الصورة.

٨ - طلاب يتدربون في الكلية الصناعية بالكويت، يجرون بعض التجارب في القسم الكهربائي بالكلية المذكورة.



٩ - تمثل هذه الصورة جانباً من مصنع الطابوق الرملي الجيري، الذي كان له دور مهم في إمداد البلاد بحاجتها من الطابوق الذي هو أهم مادة من مواد البناء، ولا يزال يؤدي ما يطلب منه مع توسع كبير في المكان وفي الإمكانات.

☆☆☆☆

لا شك في أن ما قدمنا - وهو الذي قدمته (مجلة العالم) - ما هو إلا جزء يسير مما صوره الفنان أدولف موراث، وكم نتمنى أن تجمع كافة الصور التي التقطها خلال رحلاته الثلاث إلى الكويت ملاحظاً مصوراً مبدعاً.

وهكذا فإننا قد رأينا الكويت بعينيه في سنة ١٩٥٦م، وسنة ١٩٥٨م، وسنة ١٩٦٠م، وقرأنا حديثه إلى محرر المجلة ولم يبق إلا أن نتابع إنتاجه الذي أنجزه وقدمه لنا.

****

# رحلة مع الوزير[1]

تحلو الرحلات حين تكون إلى أماكن يكتشفها المرء لأول مرة، فيضيف إلى معلوماته معلومات جديدة، وتحلو أكثر حين تكون مع صحبة طيبة كريمة، وهذا ما حدث لي في اليوم السابع عشر من شهر يناير لسنة ١٩٧٧م حين قمت برحلة إلى سلطنة عمان بصحبة رجل عالي التهذيب، محبًّا لأصحابه يحنو على كل من يكون في رفقته في حله وترحاله، هذا الرجل هو الأخ الفاضل الأستاذ جاسم الخالد الداود المرزوق الذي كان في التاريخ الذي أشرت إليه وزيرًا للتربية.

كانت نفسي تتوق إلى زيارة عمان لكثرة ما اسمع وأقرأ عنها فحانت الفرصة من حيث لا أدري، إذ تسلم أبومحمد رسالة من الأخ الكريم أحمد عبدالله الغزالي وزير التربية والتعليم في السلطنة، يدعوه إلى زيارته مع وفد يختاره، وكان من حظي أن أكون ضمن هذا الوفد، وقد كنت يومها كما يعرف الكثيرون وكيلاً للوزارة التي يتولى حقيبتها الأستاذ جاسم في ذلك الوقت، وكان من ضمن الوفد الأخ الدكتور رشيد الحمد وكان موجهًا عامًا للعلوم في الوزارة، والأخ عبدالله عبدالرحمن البحر مراقب البعثات هنا، وانضم إلينا في مسقط السفير الكويتي - آنذاك - الأخ العزيز أحمد عبدالعزيز الجاسم.

كانت سلطنة عمان قد بدأت تسير وفق الخطة التي اختطها لها السلطان قابوس بن سعيد، فصارت تنفض عن نفسها غبار الماضي، وتتجه إلى المستقبل المنتظر لها فانتشرت المدارس، وعمَّت المراكز الصحية وعُبِّدت الطرق وتم الاهتمام

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٣/١٢/٢٠٠٩م.



بالزراعة والصناعة وأعمال البحر وجرى البحث عن النفط في كل موقع، فكان وصولنا إليها مناسبًا لكي نعرف الكثير عن هذه النهضة المباركة التي يقوم بها شعب شقيق تحت قيادة رجل محب لهذا الشعب مخلص لوطنه له أفكار صائبة وبعد نظر.

كانت سلطنة عمان وقت أن زرناها مركز عمل كبير، وكانت عمليات التحديث والتطوير والإنشاء تعمُّ أراضيها دون أن يكون لموضع منها فضل على الآخر، وكانت أسواقها تعج بالناس من أهلها ومن زائريها، وكان إقبال هؤلاء على المنتجات المحلية أكثر من إقبالهم على البضائع المستوردة، ذلك لما يتميز به الصانع العماني من دقة في الأعمال اليدوية الفنية التي يحرص الناس على مشاهدتها واقتناء ما ينتج منها.

في هذا الجو المحموم بالعمل النافع حطت بنا الطائرة، فكانت لنا الفرصة التي نريدها؛ ألا وهي الاطلاع على كل ما في هذا البلد الشقيق.

رئيس الوفد هو الأستاذ جاسم الخالد الداود المرزوق، وهو من مواليد منطقة القبلة من الكويت في اليوم السادس من شهر يونيو لسنة ١٩٣٥م.

بدأ دراسته في مدرسة أهلية يديرها الشيخ أحمد الخميس، ثم التحق بالمدرسة الأحمدية، فالمدرسة المباركية التي أرسل بعدها في بعثة دراسية إلى القاهرة حيث درس القانون في كلية حقوق جامعة القاهرة وتخرج فيها.

كانت الكويت وقت تخرجه متعطشه إلى أنشطة أبنائها تترقب عودتهم من مواضع دراستهم في الخارج حتى يقوموا بواجبهم تجاه وطنهم، ولذا فإنه سرعان ما التحق بها، حيث أسندت إليه وظيفة مساعد أمين سر المجلس البلدي، وكان ذلك في سنة ١٩٦١م، ولم تأت سنة ١٩٦٣ حتى رقي فصار مديرًا للشؤون الإدارية في دائرة بلدية الكويت، وفي سنة ١٩٦٤م صار مديرًا لهذه الدائرة برتبة وكيل وزارة.

كان عمله في دائرة البلدية مشهودًا، وكان معروفًا عنه أنه يحل المشكلات مهما صعبت، وكان كافة مراجعي الدائرة من أصحاب الأعمال يثنون على حصافته، ومقدرته على المثابرة على العمل، وتوقّد ذهنه الذي به يجابه كل ما يمر عليه في دائرة كبيرة متنوعة الاختصاصات تهتم بكثير مما يهم الناس، فلا تكاد تجد أحدًا لا يقصدها من أجل إنجاز عمل ما مهما كان كبيرًا أو صغيرًا.

كان جهد جاسم المرزوق من أهم أسباب الالتفات إليه بغية الاستفادة منه ومن جهوده في مجال آخر أشد أهمية فتم اختياره وزيرًا للعدل في اليوم الرابع من شهر أغسطس لسنة ١٩٦٤م حتى اليوم الأول من شهر فبراير لسنة ١٩٧١م وفي اليوم الخامس عشر من شهر نوفمبر لسنة ١٩٧١م صار وزيرًا للتربية، واستمر في منصبه هذا نحو عشر سنوات، وفي تعديل وزاري لاحق صار منصبه وزيرًا للتجارة والصناعة منذ سنة ١٩٨١م حتى سنة ١٩٨٥م.

هذه سيرة رجل من رجال الكويت، عمل فأجاد، وذاع ذكره بأعماله وأخلاقه الكريمة وحرصه على التواصل مع الناس بحيث تراه في كل مناسبة من مناسباتهم.

أما أنا فإنني أشهد له إضافة إلى ذلك بمقدرة كبيرة على مواجهة أهم الأعباء، وهمته العالية التي لا تنثني أمام أي عائق. لا يخفى أنني كنت وكيل وزارة التربية إبان الفترة التي كان فيها وزيرًا، ولمست منه حرصه على تقدم العمل في المجال التربوي، ومتابعته لكل صغيرة وكبيرة تتعلق بهذا العمل. لذا فإن الجهود المشتركة منه ومن كافة العاملين في الوزارة آنذاك قد أدت إلى إنجاز أعمال كبيرة مبهرة. ففي وقته تم إنجاز وتطبيق نظام المقررات الموؤدة بسبب عدم الحرص على الالتزام بما يتطلبه هذا النظام مما هو مرصود في قرارات واضحة محددة، وفي وقته - أيضًا - تم إنشاء معهد الكويت للتكنولوجيا خلفًا للكلية الصناعية، وهو معهد عالٍ ذو تخصصات مختلفة وقد توصلت كافة البحوث الفنية والميدانية التي أجريت قبل بدء هذه الخطوة إلى ضرورة الإقدام عليها، ذلك لأن مخرجات المعهد



العالي الجديد تتماشى مع حاجة البلاد. وتزامن ذلك مع إنشاء إدارة التعليم الفني التي باشرت بالإشراف على كافة الأنشطة المتعلقة بالمعاهد الفنية المختلفة، كما تم إنشاء عدد من المعاهد المتخصصة والإدارات التي تطلب العمل استحداثها وكان له دور كبير في قيام مكتب التربية للدول العربية الذي أنشئ في الرياض وشاركت في إقامته كافة دول الخليج ولا يزال يؤدي دوره المهم في سبيل التنمية التربوية في بلدان الدول الأعضاء.

كان جاسم المرزوق شعلة من النشاط أدى في كل منصب تولى مسؤوليته كل ما يتطلبه منصبه من إنتاج وتطوير وشارك في كثير من اللقاءات والمؤتمرات في داخل الكويت وفي خارجها، وحرص على تكوين صلات وثيقة مع أقرانه وزراء التربية في دول الخليج وفي غيرها.

كان يوم السابع عشر من شهر يناير لسنة ١٩٧٧م هو يوم وصول الوزير والوفد المرافق له إلى مطار عاصمة سلطنة عمان: مسقط، وكانت الآمال قوية في أن تكون الزيارة بداية لأعمال كثيرة تكون حصيلتها في صالح العمل التربوي في كلا البلدين، وكان برنامج الزيارة معدًّا بصورة جيدة، وقد أتاح للجميع فرصة الاطلاع على كافة الأنشطة القائمة في البلاد حتى ما هو موجود في خارج العاصمة، وكان وزير التربية العماني مهتمًّا بهذه الزيارة وحريصًا على إنجاحها، ولذلك فقد كان دائم الحضور مع الوفد في كثير من المناسبات مما أضفى على الزيارة جوًّا من الألفة، وأشعر الزائرين بالمحبة التي تغمرهم أينما ذهبوا.

وكان الاهتمام الإعلامي هناك كبيرًا، وقد أحاط بنا عدد من العاملين في هذا الحقل المهم، وكانوا ينقلون الأنشطة التي تتم وفقًا لبرنامج الزيارة إلى الصحف والأجهزة الإعلامية الأخرى.

ومن الصحف التي حرصت على تغطية أخبار الزيارة والتحدث إلى رئيس الوفد؛ وزير التربية مجلة اسمها الأسرة، وهي مجلة أسبوعية اجتماعيه مصورة.

وقد قامت بتخصيص عدد من صفحاتها لتقديم تقرير شامل ومفصل عن زيارة وزير التربية الكويتي وصحبه.

يبدو أن هذه المجلة قد أعدت مندوبها لهذا العمل قبل وصول الوفد بدليل أنه أخذ في الحديث عن أمر الزيارة منذ البداية وهذا عرض لما ورد في التقرير المنشور في المجلة المذكورة دون إخلال بما جاء فيه:

يتكون ما نشرته المجلة من عدد من العنوانات التي جاء فيها: جلالة السلطان المعظم يستقبل معالي وزير التربية بدولة الكويت، ثم: الكويت يضع تجربته التربوية في خدمة التعليم بالسلطنة، ثم: الأسرة تقدم تقريرًا شاملاً عن الزيارة.

بعد ذلك قامت المجلة باستعراض الأحداث منذ لحظة الوصول، متبعة ذلك بالحديث عن كافة الخطوات اللاحقة، وهذا هو نص المقال أو على الأصح العرض الشامل الذي قدمته مجلة الأسرة:

«كانت زيارة معالي الأستاذ جاسم خالد المرزوق وزير التربية في دولة الكويت لها طابعها الخاص فهذه الزيارة تجيء في وقت ازدادت فيه العلاقات بين كل من سلطنة عمان ودولة الكويت الشقيقة توطدًا وتوثقت فيه عرى الصداقة بين البلدين الشقيقين.

وعندما جاء معالي وزير التربية الأستاذ جاسم مرزوق إلى السلطنة يوم ١٧ يناير الحالي، كان في استقباله معالي الأستاذ أحمد عبدالله الغزالي وزير التربية والتعليم، كان الاستقبال رسميًا وضم كلًا من الأستاذ عامر علي وكيل وزارة التربية والتعليم وسعادة السفير أحمد عبدالعزيز الجاسم سفير دولة الكويت لدى السلطنة وسعادة الأستاذ محمد حسن علي مدير إدارة التعاون الفني بوزارة الخارجية وكبار المسؤولين في وزارة التربية والتعليم.



وفي المطار أدلى معالي الأستاذ جاسم المرزوق بتصريح أعرب فيه عن شكره للحفاوة التي استقبل بها، وأضاف معاليه بأن هذه الزيارة تعبر عن مدى حبنا وتقديرنا لسلطنة عمان، ورغبتنا في أن يكون التعاون بين البلدين الشقيقين على كافة المستويات، لأن ذلك يمتن العلاقات بين الإخوة في المنطقة العربية، وفي منطقة الخليج بصفة خاصة.

وأعلن معالي وزير التربية بدولة الكويت بأنه سيبحث خلال الزيارة التعاون التربوي بين الكويت وسلطنة عمان، وإيجاد برنامج ثقافي موحد بين الدولتين. كما أعلن بأن الكويت انطلاقًا من واجبها، ستضع تجربتها التربوية وما تستطيعه من إمكانات لدعم التعاون بين البلدين في المجال التربوي.

وفي الخامسة مساء يوم الإثنين ١٧ يناير الماضي، شهد معالي الوزير الكويتي حفل افتتاح المعرض الأول لتنمية المجتمع لمدارس السلطنة في النادي الأهلي بدار سيت، وبعد انتهاء حفل الافتتاح عقدت أولى المباحثات الرسمية في قاعة الاجتماعات بمجمع الوزارات بروى.

وحضر هذه المباحثات من الجانب الكويتي معالي الأستاذ جاسم خالد المرزوق وزير التربية وسعادة الأستاذ أحمد عبدالعزيز الجاسم سفير دولة الكويت المعتمد لدى السلطنة، وسعادة الأستاذ يعقوب يوسف الغنيم وكيل وزارة التربية والأستاذ عبدالله عبدالرحمن البحر مراقب البعثات والأستاذ رشيد محمد الحمد موجه عام العلوم.

ومن الجانب العماني معالي الأستاذ أحمد عبدالله الغزالي وزير التربية والتعليم وسعادة الأستاذ عامر علي عمر وكيل الوزارة والسيدة سميرة المعمري المدير العام لتعليم البنات والأستاذ محمد حسن مدير إدارة التعاون الفني بوزارة الخارجية والأستاذ صادق جعفر محمد مدير التخطيط التربوي والأستاذ موسى جعفر حسن مدير إدارة العلاقات الثقافية، والأستاذ عامر الحجري نائب مدير دائرة المناهج وتعليم المعلمين.

وقد بدا واضحًا من خلال المباحثات الاتفاق التام في وجهات النظر واستعداد الجانبين لتطوير العلاقة بين البلدين الشقيقين في المجال التربوي.

في اليوم التالي قام معالي الوزير الضيف الكويتي يرافقه وزير التربية والتعليم بزيارة إلى ولاية نزوى حيث كان في استقبالهما سعادة الشيخ محمد بن محمد الحارثي والي نزوى وعدد من أعيان البلاد وقد قام الضيف ومرافقوه بزيارة لمعالم المدينة شملت عددًا من المدارس حيث اطلع على ما حققته النهضة التعليمية في السلطنة نتيجة للسياسة الحكيمة التي اختطها جلالة السلطان قابوس المعظم الذي أولى التعليم كل رعاية.

وقد لمس معالي الضيف الكويتي بنفسه الإقبال الشديد على التعليم انطلاقًا من قول جلالة السلطان المعظم: «سنعلم أبناءنا ولو تحت ظلال الشجر».

ثم اصطحب سعادة والي نزوى ضيوفه الكرام إلى زيارة لمصنع التمور في نزوى حيث شاهدوا المراحل التي تمر بها صناعة التمور، ويعتبر مصنع التمور من الصناعات الحديثة التي أنشئت في العهد الزاهر لجلالة السلطان.

وبعد زيارة المصنع، تفقد معالي الوزير الكويتي القلعة التاريخية لمدينة نزوى، وقد أبدى معالي الوزير الضيف إعجابه الكبير بما شاهده من عراقة التاريخ وأصالة الحضارة، وسجل كلمة بهذه المناسبة في سجل الزيارات أعرب فيها عن إعجابه بما شاهده خلال زيارته لولاية نزوى من نهضة شاملة وتراث قيم.

كما قام معالي الوزير الضيف بزيارة مدرسة عبدالله بن رواحة في وصاد بني رواحة حيث اطلع على طرق التعليم المتبعة في السلطنة.

في المساء أقيم حفل مدرسي في قاعة معهد الدراسات الفنية بالوطية.. بمناسبة زيارة الضيف الكويتي، كان الحفل شيّقًا وخاصة تمثيلية الفجر الجديد، التي تمثل عمان قبل وفي عهد جلالة السلطان المعظم.. وقد أخرج هذا الحفل



الذي نال كل تقدير وإعجاب الأستاذ أحمد جلال حيث تضمنت التمثيلية نبذة عن التاريخ العماني وتخللها رقصات تعبيرية وضعها الأستاذ نبيل عبدالعالي المدرس بمدرسة الوليد. وقد صفق الحاضرون طويلاً عندما جاءت العبارة «قابوس جاء مع الصباح، والنور أشرق في البوادي والبطاح، وشذى النسيم مع الروابي والرياح، طلع النهار ومجدنا بالأفق لاح، وأتى الصباح».

وجاء في نهاية التمثيلية: «عمان عمان عمان، قهرت الصعب في كل مكان، غرست الحب في كل أوان، أضاءت النور في كل مكان».

وأعجب الضيف الوزير بنشيد الترحيب الذي ألقاه أحد الطلبة قائلاً: «تحيات إلى الشعب الأبي.. إلى شعب الكويت الألمعي، أخ الأمجاد والعزم الفتي، أخ الإيمان والخلق الرضي وعنوان المروءة والوفاء، أهلاً قد سعدنا باللقاء».

وقد حضر الحفل عدد من أصحاب السمو أفراد الأسرة المالكة وأصحاب المعالي الوزراء وكبار رجال الدولة.

لعل من أهم الزيارات التي قام بها الضيف ومرافقوه هي زيارتهم إلى المنطقة الجنوبية حيث استقبله حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس المعظم بمكتب جلالته بقصر الرباط العامر وحضر المقابلة معالي الأستاذ أحمد عبدالله الغزالي وسعادة السفير أحمد عبدالعزيز الجاسم.

وقد قام الضيف بزيارة بعض مدارس ومنشآت المنطقة الجنوبية «ظفار» وأعجب كثيرًا بالنظم الجديدة في التربية والتعليم المطبقة في هذه المنطقة وخاصة المدرسة ذات الفصل الواحد.

وفي المساء أقامت السفارة الكويتية حفل عشاء على شرف الضيف في فندق الخليج حيث حضره أصحاب السمو وأفراد الأسرة المالكة الكريمة وأصحاب المعالي الوزراء والسفراء المعتمدون لدى السلطنة وكبار رجال الدولة.

وفي اليوم الرابع ٢٠ يناير قام معالي الوزير الضيف بزيارة لمدينة الإعلام حيث استقبله سمو السيد فهد آل سعيد وزير الإعلام والثقافة، وقد تبودلت خلال المقابلة الأحاديث الودية حول العلاقات الثنائية بين البلدين الشقيقين.

وحضر المقابلة سعادة الشيخ عامر على عمير وكيل وزارة التربية والتعليم وسعادة الأستاذ حسن محمد وكيل وزارة الإعلام والثقافة للشؤون الإدارية وسعادة السفير الكويتي المعتمد لدى السلطنة وأعضاء الوفد المرافق لمعالي الوزير الضيف.

وبعد انتهاء المقابلة قام معالي الوزير الكويتي والوفد المرافق له بزيارة للمتحف العماني حيث اطلع على ما يضمه من نماذج للحضارة العمانية العريقة عبر التاريخ.

كما زار معاليه مبنى التلفزيون والإذاعة واطلع على أقسامها المختلفة واستمع إلى شرح من المسؤولين حول الأجهزة الحديثة المستخدمة في هذين المرفقين الإعلاميين المهمين.

وقد أبدى معاليه إعجابه بما شاهده من معالم الحضارة الحديثة التي تحققت في عمان بفضل القيادة الحكيمة لجلالة السلطان قابوس المعظم.

وقام معالي الضيف الوزير بعد ذلك بزيارة لمدرسة جابر بن زيد الثانوية بالوطية وزيارة لمدرسة الزهراء الثانوية للبنات بمسقط.

وقد ركز معالي الوزير الضيف على مدى استيعاب الطلاب للمسائل التعليمية في دول المنطقة وخاصة دولة الكويت وقضاياها التعليمية وأبدى ترحيبه باستضافة الطالبات والطلاب الذين ينهون مرحلتهم الثانوية في كليات دولة الكويت.

ثم عقدت جلسة محادثات ختامية تم فيها استكمال المباحثات التي بدأت بين الجانبين يوم وصول الضيف الوزير، وتناولت تطوير التعاون التربوي بين البلدين الشقيقين.



وهنا ينتهي حديث المجلة.

هكذا تكون العلاقات الطيبة بين بلدين شقيقين، ولا شك في أن مثل هذه الزيارات قد أسهمت فيما بعد بخطوات زاد فيها التقارب والتعاون بين دول المنطقة التي كانت تتوق إلى مثل هذه الاتصالات لما يجمع كلًّا منها بالآخر من وشائج القربى والتاريخ والدين واللغة.

أما الأخ العزيز جاسم الخالد الداود المرزوق فقد قاد بدوره على أحسن وجه، وقدم صورة ناصعة لوطنه الذي وثق به فأسند إليه أعلى المهمات، والآن وقد آثر أن يبقى بعيدًا عن المسؤوليات الحكومية فهو باقٍ مع الناس يصل أصدقاءه، ويقوم بالمهمات الاجتماعية، وتجده في كل مكان لا يتأخر عن أداء واجب أو تلبية دعوة وهو لذلك قريب إلى قلوب الجميع لما يحسونه فيه من وفاء لهم وحرص على الاتصال بهم.

ولا يفوتني في النهاية أن أشكر أخي الأستاذ عبدالرحمن الخرجي، فهو الذي أهدى إليَّ - كعادته - المجلة التي تحدثت عن الزيارة، فكان حديثها والصور التي طرحتها معه ذخيرة طيبة سعدت بها وأفادت في عرض موضوعنا هذا.

****

## ملحقات خير

لعل من المفيد هنا أن نذكر في هذا الملحاق شيئًا عن نظام المقررات الذي تمت الإشاره إليه في هذا المقال.

إن الحديث عن هذا النظام، وكيف بدأ التفكير فيه، ثم نشأته ومسيرة العمل به حديث طويل، قد صدرت حوله العديد من الدراسات، وكان مما أدى إلى الأخذ به تلك البحوث المتعددة، والدراسات التي قامت بها لجان متخصصة عديدة، ولقد تم فيما بعد تشكيل لجنة سميت «لجنة تقويم نظام المقررات بالتعليم الثانوي»، وقد أصدرت اللجنة الرئيسية تقريرها الختامي في كتيب صدر في يونيو سنة ١٩٨٩م؛ حيث أشار إلى الجهود التي أدت إلى نشأة هذا النظام، ويهمني أن اقتطف منه للقارئ المقتطفات الآتية:

«شهدت السبعينيات وقفة تقويمية واسعة حول محتوى التعليم ونظمه، وطرائقه على المستويين العالمي والعربي، وترددت أصداؤها في الكويت التي شعرت أنها قطعت – بقدر واضح من النجاح – رحلة الكم فامتدت مظلة التعليم بمراحله المختلفة لتشمل المواطنين والوافدين، وتركز التساؤل حول مدى ملاءمة نوعية هذا التعليم لأهداف الكويت وحاجاتها ومطالب التنمية فيها.

ورغبة في تلمس سبل تطوير المرحلة الثانوية واختيار أنسب البنى والهياكل والمناهج التي تحقق ذلك؛ شكلت الوزارة لجنة لدراسة تطبيق نظام المقررات



الدراسية لهذه المرحلة، وقد تم في إطار هذه اللجنة مراجعة الدراسات والوثائق المتاحة حول هذا النظام عربيًّا وعالميًّا، كما أجرت اللجنة دراسات ميدانية لتعرف مشكلات المرحلة الثانوية، وقد شملت هذه الدراسة الميدانية زيارات للمدارس، ومقابلات واستبانات، وزيارات لبعض البلدان التي تطبق هذا النظام، وقدمت في نهاية عملها تقريرًا ختاميًّا دعت فيه إلى تطبيق النظام، وقدمت خطة زمنية مبرمجة للتنفيذ ومراحله.

بدأ تطبيق نظام المقررات في دولة الكويت بمدرسة صباح السالم مع بداية العام الدراسي ١٩٧٩/٧٨م وقد تبنى النظالم الأسس التالية:

**١- الانتقال بالمدرسة الثانوية الحالية ووظيفتها الأحادية في الإعداد للجامعة التي تبني المدرسة الثانوية المتكاملة الأبعاد التي تهدف إلى الإعداد للمواطنة وبدايات المهنة والدراسة الأعلى.**

**٢- إرساء مبدأ التعليم الذاتي في بناء المناهج وطرق التدريس.**

**٣- انطلاق المناهج من قاعدة ثقافية مشتركة بين جميع الدارسين.**

**٤- مراعاة مبدأ الفروق الفردية بما يتيح لكل طالب أن يحمل العبء الدراسي الذي يتفق واستعداداته وقدراته وظروفه.**

**٥- تحقيق مبدأ الاختيار أمام الطلاب من خلال تقديم عدد من المجالات الدراسية ليختار الطالب ما يناسب قدراته وميوله ومتطلبات الحياة والمهنة والجامعة.**

**٦- إنشاء نظام للتوجيه والإرشاد الدراسي.**

**٧ - مراعاة توافر مرونة في النظام الدراسي تسمح بوجود معايير بين الشعب المختلفة وفي مجالات الاختيار.**

٨ - الأخذ بنظام مرن للتقويم المستمر المتنوع في أساليبه.

٩ - بناء النظام المدرسي على مبدأ الديموقراطية في الحياة المدرسية.

١٠- الأخذ بمبدأ المتابعة والتطوير للتجربة.

وقد قامت الوزارة بواسطة باحثين منها ومن خارجها بإعداد دراسات كثيرة حول موضوع نظام المقررات ما بين تقويم للنظام أو مناهجه في مجالاتها المختلفة، وبين الأمور الإرشادية للمدرسين ولأولياء الأمور حتى تتكاتف كافة الجهات من الوزارة والمدرسة والبيت في الوصول إلى النتائج المرضية المطلوبة من هذا النظام، وقد اجتمع خلال الفترة من بداية دراسة النظام حتى سنة ١٩٨٤م أكثر من خمسة وستين بحثًا متنوعًا قامت بها أجهزة الوزارة المتخصصة، فكان في ذلك إثراء للعمل يزيد من تعميق الفكر المرتبط به.

ويكفي ما قدمت من مقتطفات للدلالة على حجم الجهد المبذول، والجدية والاستناد إلى آراء أناس لهم وزنهم في المجال التربوي ولا شك أن كل ذلك - أيضًا - ينفي شبهة الارتجال ويؤكد على الضوابط المهمة التي وضعت في سبيل إنجاح هذه التجربة الرائدة، وقد كانت الدورات التدريبية التي شملت كافة العاملين في المدرسة التي تسير على نظام المقررات، وإعداد المدرسة إعدادًا متكاملاً، والعناية بالمكتبة المدرسية ونظام الإشراف والتوجيه التربوي، والكثير من الأعمال التي حفّت هذه المدرسة عند قيامها من أهم الأمور التي ساعدت على النجاح، وهنا أود أن أؤكد للقارئ الكريم أنني أتحدث عن الفترة التي تنتهي في شهر مارس سنة ١٩٨٥م أما ما تلا ذلك من تغييرات فلا مجال لي للحديث عنه.

****



## مصرع الأمريكي بيل كارت في الكويت ١٩٢٩م(١)

كانت الأمور مرتبكة في الكويت وما حولها في الفترة التي حدثت فيها الأحداث التي أدت إلى ما حدث في سنة ١٩٢٧م، وكان الأمن في الصحراء شبه مفقود بسبب الصراعات التي كانت قائمة آنذاك، ومن الصعب علينا التذكير بها اليوم وإن كانت تفصيلاتها موجودة في مظانّها من الكتب والمذكرات العربية والأجنبية، ذلك لأن هذه الأمور إذا أثيرت أعادت المواجع وأحيت الفتن التي ينبغي أن نضعها وراءنا في الوقت الحاضر ما دامت الحياة قد استقرت في جزيرة العرب كافة، ولم يَعُدْ هناك مجال للإثارة، ونحن نحمد الله تعالى على ما أنعم به على هذه الجزيرة من نعمة الأمان والاطمئنان بعد تلك الفترات العصيبة التي عرفنا عن تفصيلاتها.

ولكن الحياة في الكويت كانت هادئة خلال سنة ١٩٢٩م، على خلاف السنة السابقة لها التي حدثت خلالها حادثة أطلق عليها حادثة الرقعي، وهي من نوع المناوشات التي أشرنا إليها قبل قليل، وقد حدثت في اليوم السابع والعشرين من شهر يناير لسنة ١٩٢٨م، ولقد كانت هذه هي آخر حادثة من نوعها تتم في البلاد أو على حدودها. ولكننا نجد في السنة المشار إليها تشكيل دائرة بلدية الكويت وتعيين مجلس إدارتها واختيار السيد سليمان العدساني لكي يكون أول مدير لهذه الدائرة، وعقد مؤتمر شاركت فيه الكويت وعدد من دول الجوار من أجل وضع حلول للمشكلات التي كانت قائمة في ذلك الوقت وأدت إلى عدد من المعارك والإصابات، وفي اليوم الثالث والعشرين من شهر مايو للسنة ذاتها عُيِّن هارولد ديكسون معتمدًا

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٩/١٢/٣٠م.

سياسيًا لبريطانيا في الكويت، وقد قام بالتمهيد لإقامته في بيت ديكسون المعروف حتى الآن بتخصيص موقع مستقل عن هذا البيت لكي يتم استعماله لأعمال البريد التي كانت القنصلية البريطانية مسؤولة عنه وقتذاك.

وفيما عدا بعض الأمراض التي انتشرت دون أن تكون لها صفة الأوبئة العامة فإن الأمور كانت هادئة كما ذكرنا ولم يكن هناك ما يكدر صفو الحياة، ولكن الأمر لا يخلو من حادث مهما كان بعيدًا عن اهتمامات الكويتيين، فقد ورد تقرير للوكيل السياسي البريطاني الذي سبق ديكسون في العمل شمل الفترة من اليوم السادس عشر إلى اليوم الحادي والثلاثين من شهر يناير السنة التي نتحدث عنها، وكان في ذلك التقرير ما يلي:

«وردت إلى الكويت أخبار تفيد أن أحد رؤساء القبائل قد أعد عدته لغزو قبيلة المنتفق العراقية. وكان هذا الشخص في شمالي الكويت مع جماعته حين مر بهم – لسوء حظه – شخص بريطاني يدعى واتسون، وهو سائح لا يحمل أية صفة رسمية، كان في سيارته متجهًا إلى الزبير حين فوجئ بإطلاق النار على السيارة التي كان يقودها، ولكنه تمكن من الإفلات، والعودة إلى الكويت من حيث أتى، وفي وقت مقارب لهذا الوقت أطلقت مجموعة أخرى النار على جماعة من الأمريكيين هم عدة أشخاص اثنان منهم من المعروفين في ذلك الزمان وهما شارلز كراين وهنري بلكارت ومعهما ابن الأول وخادمه، ونتيجة لذلك فقد مات بيل كارت متأثرًا بالرصاص الذي أطلق عليهم، وصارت لهذه الحادثة ضجة كبيرة لا في الكويت وحدها بل قد تجاوزتها إلى أبعاد أخرى يهمها متابعة ما يجري هنا.

كان بيل مقيمًا في مدينة البصرة باعتباره السكرتير الميداني لما يسمى: الإرسالية العربية، وهي بعثة أمريكية في الواقع، ولكنها سميت هكذا لأنها أُرسلت وخصصت للبلاد العربية، وقد أُرسلت من هناك بتمويل من هيئة للكنائس في الولايات المتحدة الأمريكية، وكتب عن ناتج عملها كتاب مهم تحت عنوان: «حكاية الإرسالية العربية»، حكى أعمال أعضاء هذه الإرسالية عندما وصلت إلى هذه



المنطقة ومنها ما حدث للرجلين اللذين روينا الحادث الذي حلّ بهما. إذن فقد كان بيل كارت مهتمًا بأعمال التبشير وممثلاً لهيئة تبشيرية كبرى تتخذ من أمريكا مقرًا لها. وقد جاء في الكتاب المشار إليه أن عددًا من البارعين في الرمادية الذين كانوا في الموقع أطلقوا النار في اليوم الحادي والعشرين من شهر يناير (١٩٢٩م) على السيارة التي تُقلُّ الرجلين، يقول الكتاب: «وجُرح بيل كارت جرحًا مميتًا حيث تلقّى طلقة في كتفه تقرب إلى العمود الفقري فأصابته بالشلل فورًا، ورجعت السيارة سريعًا إلي الخلف، وهي تجتاز الطريق الصحراوي السيئ إلى المكان الذي جاءت منه (مدينة البصرة) ولكن بيل كارت مات قبل وصوله، ولقد أدّى موته إلى إصابة الإرسالية كلها بالصدمة، وكذلك عدد كبير من المقيمين الذين يعرفونه» ويضيف: «كانت الخسارة بهنري بيل كارت كبيرة، وكان وقت اغتياله في السنة الخامسة والثلاثين من عمره، وقد قام بأعمال جيدة للهيئة التي أرسلته، وأظهر قدراته في مواقع كثيرة، وبخاصة عندما أقام بمساعدة زوجته مركز العمارة ليكون مقرًا لعمل الإرسالية المذكورة»، ثم يكيل الكاتب الثناء على القتيل قائلا: «كان مدافعًا قويًا عن قضية التبشير، وكان يرى أنه وأن يقوم بدوره لدى الإرسالية، وبرنامج عملها الفني والتعليمي، وكان واعيًا سياسيًّا، ومثاليًّا بقدر ما تنم على ذلك تصريحاته وخطبه، وهو يتمتع بروح الفكاهة، وله موهبة القدرة على تكوين صداقات من السكان الذين أرسل إليهم (العرب)، وكان متحدثًا لبقًا حين يشرح مهام الإرسالية التي هو سكرتيرها الممتاز، وهو إلى جانب ذلك من الشباب الواعد».

هذا ويعتبر بيل كارت رمزًا من رموز التبشير في المنطقة، وكان يقوم بأعمال كثيرة في هذا المجال وهو جزء من الهجمة التبشيرية الكبرى التي قام بها الغرب كما قامت بها المؤسسات التنصيرية في الولايات المتحدة وكانت جهوده كبيرة بصفته ممثلاً للإرسالية التي تولت الاهتمام بهذا الشأن الذي نشأت من أجله.

ونحن هنا في غنى عن القول بأن تلك الجهود لم تكلل بالنجاح على الرغم من أنه والجماعة التي ينتمي إليها قد قاموا ببذل الجهد المستطاع في سبيل نشر

ديانتهم، ولم يبق لكل ذلك من ذكرى إلا بعض المؤسسات الإنسانية التي تركت للحكومات تتولاها بعد أن غادر أفراد المؤسسات التبشيرية المنطقة التي ذكرنا وجودهم فيها.

ومع الجهود البارزة التي بذلها بيل كارت فإنه لم يقتل بسبب ذلك، ولكنه قتل لأنه وضع نفسه ومن معه في طريق هؤلاء الذين كانوا يتأهبون للقيام بغارة من غاراتهم، فوجدوا هذه المجموعة التي كانت في السيارة، وبدون أن يكون لهم علم مؤكد بمن فيها أطلقوا عليها النار فأصابوه. وقد ذهبت هذه العملية سدًى، فلا استفاد منها المغيرون، ولا عرفت السلطات سبيلاً إليهم، إلا في حالة وحيدة سوف نذكرها فيما بعد.

ومما نجده في الكتابات الغربية التي تناولت هذه الفترة أن الجانب الاقتصادي قد تغلب - أخيرًا - على أعمال المبشرين، وأن الباحثين عن الثروة من أبناء الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، قد تدفقوا على بلداننا من أجل ذلك وعلى الأخص فيما يتعلق بالتنقيب عن النفط واستثماره.

إذن فقد بدأ عصر النفط، وجاء رجال الأعمال الغربيون وممثلو شركات النفط والمصالح النفطية المتعلقة به من أجل البحث عن مصادره في المنطقة، وتم تأسيس شركة النفط الأنجلو فارسية التي سميت فيما بعد: شركة النفط الانجلو إيرانية، وبعد ذلك سميت بريتش بتروليوم في سنة ١٩٠٥م، وتم إنتاج وتكرير النفط في منطقة عبادان الإيرانية في سنة ١٩١٣م، و في سنة ١٩٢٢م؛ قدم إلى المنطقة مغامر نيوزيلندي هو المقدم فرانك هولمز، وذلك من أجل التفاوض بشأن إنتاج النفط، وكان ممثلاً للمصالح الأمريكية، وهو في ذلك الوقت يبحث عن امتياز نفطي في المملكة العربية السعودية، ثم اتجه إلى البحرين في سنة ١٩٢٥م، وإلى الكويت في سنة ١٩٢٤م وقد تم إنتاج النفط في هذه البلدان الثلاثة وأصبحت المنطقة بأسرها مطمعًا دوليًا فيما يتعلق بهذا النوع من الإنتاج الذي أطلق عليه اسم: الذهب الأسود.



ومن المعروف أن هذه البدايات التي قامت على أكتاف عدد من المغامرين الذين يقودون شركات تبحث عن الثروة النفطية قد فتحت الطريق إلى الإنتاج والتكرير والتصدير، وأحالت هذه البلدان إلى ورشة من ورش العمل الحضاري المهم، وتغير كثير منها من حال إلى حال أفضل بكثير. ثم تطورت الأمور. فيما بعد إلى أن صار أمر النفط كله بأيدي هذه البلدان بعد أن اكتسب أبناؤها خبرة جيدة في كافة الأعمال المؤدية إلى إنتاجه وتصديره، بل وتكريره.

وفي ظل الظروف الأولى قدم إلى هذه المنطقة تشارلز كراين (١٨٥٨ - ١٩٣٩) وكان هذا الرجل رمزًا للصداقة الأمريكية، والداعم للقضية العربية، وصار في سنة ١٩١٩م أحد أعضاء لجنة تقصي الحقائق التي أرسلها الرئيس ويلسون عندما كان في باريس (في مؤتمر باريس للسلام) وكان عمل هذه اللجنة مختصًّا بالسفر إلى منطقة الشرق الأوسط للتأكد من رغبات شعب المنطقة، وقد أوضحت اللجنة بعد عودتها الآراء القومية العربية التي طالبت بخروج فرنسا من منطقتهم العربية، وعدم ميل العرب لفرنسا، كما أبلغت اللجنة الرغبة الخاصة بطلب خروج الصهاينة من فلسطين. وعلى الرغم من اجتهاد تشارلز كراين وصحبه في الوصول إلى الحقائق، وتقديمها إلى الجهة التي أرسلتهم إلا أن التقرير الذي كتب في نهاية المهمة أهمل، ولم يُعلن عنه بصفة رسمية حتى أواخر سنة ١٩٢٢م، ولقد كان هذا التقرير دليلاً على أن الأمريكيين كانت لهم أفكار جيدة تصب في صالح قضية فلسطين إلى أنّ تسلط عليهم الصهاينة بأساليبهم المعروفة، فصارت هذه الدولة الكبيرة تسير في ركاب المتسلطين.

ومن الجدير بالذكر أن كراين قد تسلّم بعد انتهاء مهمة اللجنة خطابًا من رئيس المؤسسة العربية، ومن وفد فلسطين يفيد بأن العرب لن ينسوا أبدًا أعماله الطيبة وذلك بتبنيه لحقوقهم وتقديمها إلى الأمة الأمريكية، وفي الخطاب: «وأعطيت للغرب فكرة طيبة عن قضيتنا، ونحن نؤمن بأنك ما زلت حتى اليوم تدافع عن هذه القضية» وقد استمر كراين بالفعل في هذا السبيل.

ولقد حل كراين بالمنطقة التي يفيض فيها النفط أو أنه سوف يفيض ذلك لأنه رجل أعمال، له اهتمام بالقضايا الاقتصادية، ولقد كان صديقًا للرئيس الأمريكي الأسبق وودرو ويلسون (١٩١٣ – ١٩٢١) وكان رجل صناعة كوّن له ثروة من العمل في سباكة المعادن، وعمل دبلوماسيًّا في إحدى فترات حياته؛ وكانت له إلى جانب ذلك أنشطة سياسية متعددة، وكان يتعاطف مع العرب ومع الروس، مما لفت الأنظار إليه حين جاء إلى بغداد فوجد من التكريم الشيء الكثير مما سوف نراه بعد قليل، واتجه إلى البصرة وهو ينوي المجيء إلى الكويت، وفي ذلك البلد اتصل بابن وطنه بيل كارت الذي تحدثنا عنه كثيرًا فيما مضى وذكرنا أنه مهتم بأمر التبشير والتنصير، وأوحى كراين إلى بيل كارت أنه مع اهتمامه باقتناص الفرص التجارية المغرية، إلا أنه يتمسك بالمبادئ المسيحية، ويدعو إليها، ونتيجة لهذه المعلومات التي أدلى بها كراين على صاحبه فإن بيل كارت تجاوز مهماته التي جاء من أجلها إلى البصرة وقرر اصطحاب كراين إلى الكويت، حيث من المتوقع أن يجد هذا الأخير فرصته المالية التي يبحث عنها، وحدث بعد ذلك ما حدث مما وصفنا فيما سبق.

ولقد أثر مصرع بيل كارت تأثيرًا كبيرًا على عمله، وعلى الإرسالية العربية التي سبق وأن أشرنا إليها، فنزحت من البصرة، أما كراين فقد ذهب يبحث عن فرصة أخرى وحظ جديد، وإذا قرأنا ما كتبه عنه أحد كتاب تلك الفترة فإننا سوف نجده يقول عنه: «لا يعتبر كراين أحد العظماء، وهو في الوقت نفسه رجل غير عادي، وقد شعر بعض من يعرفه جيدًا أن معلوماته جيدة، ويرون أنه رجل موهوب، وله حساسية غير عادية نحو الرجال، ونحو ما يؤمنون به ولذلك فقد كانت اتجاهاته نحو العرب ونحو الروس والصينيين ملفتة للنظر».

ويضيف الكاتب: «وفي أحد الأيام سوف يكتب شخص ما كتابًا يستعين فيه بمراسلات كراين ومحلاته الكائنة في نيويورك لدى مؤسسة الشؤون العالمية التي أنشأها، وسوف نعرف كثيرًا من الحقائق عنه».



هذا، في الختام موجز كتبه الأستاذ عبدالله خالد الحاتم وأثبته في كتابه «من هنا بدأت الكويت» وذلك تحت عنوان: «قصة مقتل المستر بيل كارت» وقد جاء فيه ما ملخصه:

«المستر (كراين) من رجال المال والأعمال في أمريكا ومن أكثر المدافعين عن القضايا العربية، خصوصًا القضية الفلسطينية ويرى فيه اليهود خطرًا جسيمًا على مخططاتهم الرامية إلى تهويد فلسطين ولقد زار المستر (كراين) منطقة الشرق الأوسط مرارًا، وله في كل بلد يحل فيه مأثرة حسنة تقابل بالتقدير والاحترام ففي سنة ١٩٢٩م، زار المستر كراين بغداد، وكان موضع حفاوة وأقام له الحزب الوطني، الذي كان يرأسه جعفر أبوالتمن، حفلة استقبال كبيرة ألقى فيها الأستاذ الشاعر معروف الرصافي، هذه القصيدة، نقتطف بعضًا منها:

يا محبَّ الشرقِ أهلاً
بكَ يا مستر كراينْ
مرحبًا بالزائر المشْـ
ـهورِ في كلِّ المدائنْ
مرحبًا بالقادم المشْـ
ـكورِ في هذي المواطنْ
فضلكم بادٍ على الشَّر
قِ وشكر الشرق عالنْ
كم لكمْ من وقفاتٍ
دونه ضدَّ المشاحنْ
جئت يامستر كراينْ
فانظر الشرق وعاينْ
فهْوَ للغرب أسيرٌ
أسرَ مديونٍ لدائنْ
إن هذا الشرقَ والغرْ
بَ لمغبونٍ وغابنْ

وزار (كراين) البصرة ولكنه لم يشأ أن يغادرها إلى بلاده وهو على قاب قوسين من الكويت. فماذا عليه لو أنه تحمل القليل من المتاعب في سبيل زيارة هذه البلاد الرابضة على ضفاف الخليج، والوقوف بنفسه على أحوالها.

فقرر السفر، واستأجر سيارة لحسابه الخاص، وطلب من المستر (هنري بيل كارت) المبشر الامريكي التابع للجامعة الأمريكية في البصرة، ليكون معه في هذه الرحلة. وماكادت السيارة تغادر مركز صفوان وتتوسط في (الروضتين) حتى خرج اليها مجهولون وأطلقوا باتجاهها عدة عيارات نارية أصابت أحدها المستر (هنري بيل كارت) في رقبته، وكان جالسًا في المقعد الأمامي الذي كان من المفروض أن يحتله المستر كراين حسب عادته في ركوب السيارات. فأدار السائق سيارته بسرعة وعاد بها إلى البصرة، لإنقاذ المصاب. ولكن مستر بيل كارت توفي فور وصوله.

وبعد مدة جاء القاتل إلى الكويت وذهب إلى المستشفى الأمريكي للعلاج من مرض البواسير، فعرفوه، ولكن طبيب المستشفى قال له:

- نحن نعرف أنك أنت الذي قتلت المستر بيل كارت، وكن مطمئنًا، لأن الذي علينا هو أن نعالجك حتى تشفى وتعود إلى أهلك.

- هذا هو ماحدث بشأن مصرع بيل كارت في منطقة الروضتين الكويتية أثبتناها في هذا المقال باعتبارها من الحوادث التي جرت في بلادنا، وحتى لا تنسى مع مر الزمان.

****



## المحتوى

****